

International Islamic University

Islamabad – Pakistan.

Faculty of Islamic Studies.

(Usuluddin)

Department of Tafseer and

Quranic Sciences.



الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد – باكستان.
كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)
"قسم التفسير و علوم القرآن".

حديث القرآن عن الصحابة

(دراسة موضوعية)

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير (MS) في التفسير وعلوم القرآن

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور حسين محمد حسين

الأستاذ المساعد في قسم التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

محمد ظهير

رقم التسجيل: ۱۱-F/MSTQS/FU-۳۹۲

العام الجامعي:

۱۴۳۵ هـ الموافق ۲۰۱۴ م

TH/11/15/00 QW/L

MS
9221102
2 2 2

أجريت

بتاريخ: 21 / 05 / 2014 م .

مناقشة البحث الذي قدمه:

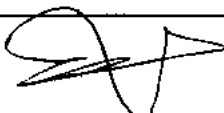
الطالب / محمد ظهير

بعنوان:

حديث القرآن عن الصحابة

(دراسة موضوعية)

أسماء أعضاء لجنة المناقشة وتوقيعاتهم:

الرقم	المناقشون	الاسم	التوقيع
1	المشرف على البحث	الأستاذ الدكتور حسين محمد حسين النعيري	
2	المناقش الخارجي	الأستاذ الدكتور رشيد أحمد	
3	المناقش الداخلي	الأستاذ الدكتور الشاه جنيد أحمد هاشمي	
الملحوظات			

ومنح الطالب ----- درجة .

بتقدير :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ.

الإهداء .

إلى والدي رحمه الله تعالى ووالدتي - حفظها الله - اللذان رباني وتعبا من أجل
تربيتي ورعايتي.

إليهما أهدي هذا البحث المتواضع داعيا وراجيا من الله العلي القدير أن يدخلهما
جنة النعيم.

كلمة شكر وثناء.

قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١)، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من لا يشكر الناس لا يشكر الله »^(٢).
انطلاقاً من هذه الآية الكريمة وهذا الحديث النبوي الشريف أرى من الواجب علي أن أقدم شكري وثنائي لأهل الشكر والثناء.

فأشكر مشرفي ومرشدي الأستاذ الدكتور حسين محمد حسين الذي تفضل بقبول الإشراف علي في هذه الرسالة. فله جزيل الشكر والثناء على ما أفادني به من نصائح غالية وتوجيهات عالية، وملاحظات قيمة، هذا كله رغم كثرة مشاغله التدريسية، وإشرافه على عدد هائل من رسائل الماجستير، فجزاه الله عني خير الجزاء.
كما أشكر كل أساتذتي الأفاضل في هذه الجامعة، وخاصة مشرفي الأول الأستاذ الدكتور نادى محمود حسن، وكل من ساعدني من زملائي برأي أو مشورة، وأمدني بمصدر أو كتاب، وخاصة نعمان وأخى حافظ محمد نصير وصديقي نصيب الرحمان وشجاع الرحمان وعبد الباسط ووسيم وغيرهم فجزاهم الله خيراً.
وأسأل الله أن يجزي الجميع خير الجزاء وأن يجعل كل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم (آمين).

(١) - سورة إبراهيم: آية ٧.

(٢) - أخرجه الترمذي في سننه، باب (ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك)، ٣٣٩/٤، حديث رقم: ١٩٥٤، وقال: هذا حديث صحيح، تدويعه: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، ن: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

المقدمة

وتشتمل على العناصر التالية :

١. التعريف بالموضوع:
٢. أهمية الموضوع:
٣. أسباب اختيار الموضوع:
٤. الدراسات السابقة:
٥. منهج البحث:
٦. خطوات البحث :
٧. خطة البحث:

المقدمة:

الحمد لله الذى أنزل كتابه المبين، تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة للمؤمنين، وأفضل الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه، شمس الهداية، ونجوم العرفان، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله. ثم أما بعد:

فقد اختار الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - ليكون سيد رسله وخاتم أنبيائه واختار دين الإسلام ليكون أكمل أديانه وخاتم تشريعاته، وكما اختار سبحانه نبيه من بين الأنبياء، ودينه من بين الأديان، اختار كذلك حملة هذا الدين ونقلته من بين سائر الناس، فكانوا هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. الذين آمنوا به وصدقوه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه، وزراء مخلصين وأنصارا محبين وأعوانا صادقين. وكانوا يتقلبون بين فنون العبادات ومختلف أنواع الطاعات، يصومون النهار ويقومون الليل، رحماء بينهم أشداء على أعدائهم متحلين بخشوع وورع وخلق وأدب، وقد حرصوا على ملازمة نبيهم صلوات الله وسلامه عليه حتى أخذوا عنه الكتاب والسنة.

وقد أثنى الله تعالى عليهم بأوصافهم الكريمة وعلمهم حقوقه وآداب نبيه و حقوق إخوانهم المسلمين وكيفية التعامل مع الكفار والمنافقين فى كتابه الكريم. وأردت أن أتناول بالبيان حديث القرآن عن الصحابة معتمداً على شهادة القرآن، لأنها أكبر شهادة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ ﴾^(١). فاخترت هذا الموضوع لأبرز الآيات التى تحدثت عن مناقب الصحابة، ولأبين منهج القرآن الكريم فى تعليمهم، وسميته "حديث القرآن عن الصحابة" وأدعو الله أن يوفقنى لإتمامه إنه ولى ذلك والقادر عليه.

(١) - سورة الأنعام: آية ١٩.

التعريف بالموضوع:

أذكر في هذا البحث مناقب الصحابة في ضوء القرآن ، وشهادة الله لهم بحقيقة الإيمان ، وتبشيرهم بالرحمة والرضوان ، ومنهج القرآن الكريم في تعليمهم .

أهمية الموضوع:

لا شك أن دراسة هذا الموضوع من الناحية القرآنية تدلنا دلالة قطعية على صدق الصحابة رضوان الله عليهم واخلاصهم وجهادهم ودفاعهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الدين كله .

وهذا يرد على انكار المنكرين وافتراء المفترين من المستشرقين والرافضة وغيرهم الذين شكوا في عدالة الصحابة رضوان الله عليهم وهذا التشكيك في الصحابة رضوان الله عليهم الذين أثنى الله عليهم خيرا في جميع المواطن ليس تشكيكا في الصحابة رضوان الله عليهم فقط ، وإنما هو تشكيك في الدين كله فإننا ما عرفنا القرآن الكريم والسنة النبوية إلا عن طريقهم فالتشكيك فيهم تشكيك في القرآن والسنة .

أسباب اختيار الموضوع:

أردت أن اتناول بالبيان ذكر الصحابة في القرآن معتمدا على شهادة القرآن التي هي أعظم شهادة ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ ﴾ (١) ، فهم قدوة الأمة وأسوتها الصالحة ، ومع هذه رأينا من يقدح فيهم ، ويطعن في عدالتهم ، وينتهك حرمتهم ، فكان لزاما على أهل العلم أن يزودوا عن ساحتهم ويدفعوا عنهم الشبهات والدعاوى المغرضة ، ومن ثم اخترت الحديث عنهم وتناول سيرتهم من خلال القرآن ، وأردت أن أبرز مناقبهم متمسكا بالقرآن الكريم لأسباب التالية .

(١) - سورة الأنعام: آية ١٩ .

(١) لأن الإقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم يؤدي إلى رضوان الله تعالى.
(٢) ولأن بعض الفرق من الأمة التي تدعى أنها تؤمن بكتاب الله نجدهم يجرحون الصحابة، فأردت أن أرد على تجريحهم ببيان فضائل الصحابة من خلال القرآن الكريم.

واخترت هذا الموضوع لأبرز الآيات القرآنية التي تحدثت عن مناقب الصحابة، وأيضاً أذكر منهج القرآن الكريم في تعليم الصحابة .
الدراسات السابقة:

بعد البحث وجدت عدة مقالات كتبت قريبا من الموضوع مثل ما يلي:
١. "صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة" لأستاذ الدكتور العيادة أيوب الكبيسي، كتب في المرحلة الماجستير ولكن لم يتناول الموضوع في ضوء القرآن.

٢. "الصحابة ومكانتهم عند المسلمين" لمحمود عيدان أحمد الدليمي.
٣. "منزلة الصحابة في القرآن" لمحمد صلاح الطاوي وهو بحث صغير في خمسين صفحة لم يتناول جميع الآيات التي نزلت بشأن الصحابة رضوان الله عليهم.

ولكن لم تكن هناك دراسة شاملة تستوفي الموضوع من المنظور القرآن في أبحاث الماجستير والدكتوراة ، لذا رأيت تناول الموضوع في رسالتي للماجستير لقيمه وأهميته.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث منهج التفسير الموضوعي . فقامت بجمع الآيات الخاصة بالصحابة رضى الله عنهم، بحيث رجعت إلى القرآن آية آية لاستخلاص الآيات التي تحدثت عن مناقب الصحابة، ثم بينت ما أورده المفسرون من آثار أو أقوال في معانيها.

خطوات البحث :

أما منهجي في كتابة هذا البحث فيتلخص في النقاط التالية :

١. جمعت الآيات المتعلقة بالبحث ووزعتها على حسب فصول ومباحث خطة البحث.

٢. عزوت الآيات القرآنية الى سورها مع بيان أرقامها.

٣. خرجت الأحاديث من مصادرها وبينت حكم العلماء عليه ما أمكنني ذلك.

٤. إن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما إكتفيت بذلك، وفي حالة عدم وروده في الصحيحين أو أحدهما، رجعت إلى مصادر السنة المعتمدة وذكرت حكم العلماء عليه.

٥. وخرجت الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين من مصادر السنة المعتمدة وإذا لم أجده فيها رجعت إلى مظانه في كتب التفسير.

٦. عزوت الأقوال إلى قائلها؛ فإن نقلت كلامهم بنصه وفصه كتبت في الهامش كتاب كذا ، وإن نقلت المعنى كتبت في الهامش انظر : كتاب كذا.

٧. وعند ذكر المصدر أو المرجع لأول مرة ذكرت بيانات تفصيلية عن الطبعة ودار النشر، ومكان الطبع وزمانه، وعند إعادة ذكر المصدر أو المرجع اكتفيت بذكر اسم الكتاب ومؤلفه والجزء والصفحة.

٨. شرحت الكلمات الغامضة التي وردت في ثنايا البحث.

٩. ترجمت للأعلام الواردة في الرسالة .

وضعت فهرس في آخر البحث للآيات القرآنية، والأحاديث و الآثار، والأعلام، والمصادر والمراجع، وموضوعات الرسالة ليصل القارئ إلى بغيته ببسوسهولة.

استعملت في رسالتي الرموز التالية، وقد أكتب الكلمة في بعض الأحيان دون رمزها.

ج جزء

ص صفحة

ن الناشر.

تد تحقيق.

تع تعليق.

ه هجرية.

م ميلادية.

حاولت في كل ما كتبت التزام الدقة والموضوعية وفق المنهج العلمي، مدعماً كل ما ذهبت إليه بالأمثلة والشواهد.

خطة البحث

قسمت بحثي هذا إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة:

وتشتمل على:

١. التعريف بالموضوع:
٢. أهمية الموضوع:
٣. أسباب اختيار الموضوع:
٤. الدراسات السابقة:
٥. منهج البحث:
٦. خطوات البحث :

التمهيد.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الاول: تعريف الصحابي .

المطلب الثاني: التعريف بأشهر المصنفات في فضائل الصحابة.

الفصل الأول: الأوصاف العامة للصحابة كما تحدث عنها القرآن الكريم

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: شدتهم على الكفار وتراحمهم مع بعضهم.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: شدتهم على الكفار.

المطلب الثاني: تراحمهم مع بعضهم.

المبحث الثاني: إخلاصهم وصدقهم وتقواهم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إخلاصهم.

المطلب الثاني: صدقهم وتصديقهم.

المطلب الثالث: تقواهم.

المبحث الثالث: رسوخ إيمانهم و أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: رسوخ إيمانهم.

المطلب الثاني: أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

المبحث الرابع: ملازمتهم للنبي -صلى الله عليه وسلم- وعدم انصرافهم عنه

الفصل الثاني: الأوصاف الخاصة لبعض الصحابة كما تحدث عنها القرآن

الكريم.

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: أوصاف الصحابة الذين حضروا الغزوات.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: أوصاف الصحابة الذين حضروا بدرًا.

المطلب الثاني: أوصاف الصحابة الذين حضروا أحداً وحمراء لأسد.

المطلب الثالث: أوصاف الصحابة الذين حضروا الخندق.

المطلب الرابع: أوصاف الصحابة الذين حضروا صلح الحديبية.

المبحث الثاني: أوصاف المهاجرين والأنصار.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أوصاف المهاجرين.

المطلب الثاني: أوصاف الأنصار.

المبحث الثالث: أوصاف من أسلم من أهل الكتاب.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أوصاف مسلمة أهل الكتاب عامة.

المطلب الثاني: أوصاف بعض مسلمة أهل الكتاب خاصة.

المبحث الرابع: أوصاف الصحابة الذين تحدث عنهم القرآن منفردين.

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: ما نزل من القرآن في أوصاف أبي بكر -رضي الله عنه.

المطلب الثاني: ما نزل من القرآن في موافقات عمر -رضي الله عنه وأوصافه.

المطلب الثالث: ما نزل من القرآن في أوصاف زيد بن حارثة -رضي الله عنه.

المطلب الرابع: ما نزل من القرآن في أوصاف عبدالله ابن أم مكتوم -رضي الله.

المطلب الخامس: ما نزل من القرآن في عمار وغيره -رضي الله عنهم.

المبحث الخامس: أوصاف أهل بيت رسول الله.

التمهيد: من هم أهل البيت؟

المطلب الأول: الأوصاف العامة لأهل بيت النبي "صلى الله عليه وسلم".

المطلب الثاني: الأوصاف الخاصة لأهل بيت النبي "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

الفصل الثالث: منهج القرآن الكريم في تعليم الصحابة.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآيات التى نزلت لبيان أخطاءوقع فيها الصحابة فى الغزوات.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الاول: المواقف التى عولجت فيها أخطاءوقع فيها الصحابة فى غزوةأحد.

المطلب الثانى: المواقف التى عولجت فيها أخطاءوقع فيها الصحابة فى غزوة الفتح ويوم حنين.

المطلب الثالث: المواقف التى عولجت فيها أخطاءوقع فيها الصحابة فى غزوة تبوك.

المبحث الثانى: الآيات التى نزلت لتعليم الصحابة.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الاول: المواقف التى علمت الصحابةالأدب مع رسول الله.

المطلب الثانى: تعليم الصحابة أدب التعامل مع اخوانهم.

المبحث الثالث: الآيات التى نزلت لتعليم أزواج النبى صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة:

تحدثت فيها عن نتائج البحث.

قائمة المصادر والمراجع والفهارس.

أثبت فيها قائمة المصادر والمراجع وذكرت أربعة فهارس.

أولها: فهرس الآيات القرآنية.

وثانيها: فهرس الأحاديث النبوية.

وثالثها: فهرس الأعلام المترجم لهم.

ورابعها: فهرس لموضوعات الرسالة.

التمهيد

المطلب الاول: تعريف الصحابي.

المطلب الثاني: التعريف بأشهر المصنفات في فضائل الصحابة.

التمهيد: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الاول: تعريف الصحابي.

قبل أن أدخل في الموضوع أريد أن أذكر تعريف الصحابي وأبرز هذه الكلمة لغة واصطلاحاً.

الصحبة لغة:

الصحابي لغة مشتق من الصحبة، وهي المصاحبة والمعاشرة، جاء في لسان العرب: صحبه يصحبه صُحبة بالضم وصحابة بالفتح، وصاحبه عاشره والصَّحْب جمع الصحاب مثل راكب وركب والأصحاب جماعة الصَّحْب مثل فرخ وأفراخ والصحاب المُعاشِر^(١).

وقال صاحب مختار الصحاح: [صحب] ص ح ب : صَحِبَهُ من باب سلم صَحَابَةٌ و صُحْبَةٌ أيضا بالضم وجمع الصَّاحِبِ صحب كراكب وركب و صُحْبَةٌ كفاره وفرهة و صِحَابٌ كجائع وجياح و صُحْبَانٌ كشاب وشبان و الأصحابُ جمع صَحْبٍ كفرخ وأفراخ و الصَّحَابَةُ بالفتح (الأصْحَابُ) وَهِيَ فِي الْأَصْلِ مَصْنَرٌ.^(٢)

وجاء في تاج العروس صحب : (صَحِبَهُ كَسَمِعَهُ) يَصْحَبُهُ (صَحَابَةٌ) بِالْفَتْحِ (وَيُكْسَرُ وَصُحْبَةٌ) بِالضَّمِّ كَصَاحَبَتِهِ : (عَاشَرَهُ) . وَالصَّاحِبُ : الْمُعَاشِرُ^(٣).

وجاء في المعجم الوسيط: (صحبه) صحابة وصحبة رافقه ويقال في الدعاء صحبتك الله حفظك ورافقتك عنايته (أصحاب) فلان اتخذ أصحابا وكبر ولده ورافقه واعتراه شيء من

(١) - لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري ، مادة صحب، ٥١٩/١، الطبعة الأولى ١٧ رجب ١٣٠٠.

(٢) - مختار الصحاح ، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مادة صحب، ٣٥٦/١، الطبعة التاسعة ١٩٦٢ الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

(٣) - تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبي الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) مادة صحب ، ١٨٥/٣، ن: دار الهداية.

أَلَسْ فَجَعَلَ يَحْدُثُ نَفْسَهُ وَلَهُ اتِّقَادٌ لَهُ وَاتِّبَعُهُ وَقُلَانَا اتَّخَذَهُ صَاحِبًا وَقُلَانَا الشَّيْءَ جَعَلَهُ صَاحِبًا لَهُ (صاحبه) مصاحبة وصحابا رافقه.(١)

الصحابى اصطلاحاً:

أما الصحابى فى الاصطلاح فقد اختلف العلماء فى تعريفه على أقوال، واشترطوا شرائط مختلفة، فبعضهم اشترط رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى حالة الإيمان وبعضهم اشترطوا اللقاء مع النبى صلى الله عليه وسلم لأن بعض الصحابة كانوا عميانا مع هذا هم يعدون من الصحابة مثل عبد الله ابن أم مكتوم رضى الله عنه_ وبعضهم اشترطوا بلوغ الرأى ولكن هذا الشرط مردود لأن بعض الصحابة كانوا صغارا مثل الحسن بن على والحسين بن على وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم وغير هم من الصحابة، ومع هذا فهم من الصحابة من غير اختلاف.

فمن أهم التعاريف للصحابى ما يلى:

"المعروف عند المحدثين أنه كل مسلم رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم"(٢)

وقال الإمام البخارى: "ومن صحب النبى صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه"(٣)

(١) - المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، مادة صحب ، ٥٠٧/١، ن: دار الدعوة.

(٢) - تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى لعبد الرحمن بن أبى بكر، جلال الدين السيوطى (المتوفى: ٩١١هـ)، ٦٦٧/٢، ن: دار طيبة.

(٣) - انظر: صحيح البخارى ، كتاب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٢/٥، ن: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

وقال الحافظ ابن حجر^(١): هو مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤْمِنًا بِهِ، ومات على الإسلام، ولو تَخَلَّلَتْ رِدَّةٌ فِي الْأَصْح. والمراد باللقاء: ما هو أعمُّ: من المجالسة، والمماشاة، ووصول أحدهما إلى الآخر، وإن لم يكالِمُهُ، وَيَدْخُلُ فِيهِ رُؤْيَا أَحَدِهِمَا الْآخَرَ، سواء كان ذلك بِنَفْسِهِ أَمْ بِغَيْرِهِ. والتعبير بِاللَّقَى أَوْلَى مِنْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ: الصَّحَابِيُّ مَنْ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّهُ يُخْرِجُ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَنَحْوَهُ مِنَ الْعُمَيَّانِ، وَهُنَّ صَحَابَةٌ بَلَا تَرْدُدٍ. (٢) وقد نقل ابن حجر بعض الآراء المختلفة حول الصحابي فقال:

"ومنهم من بالغ فكان لا يعد في الصحابة إلا من صحب الصحبة العرفية كما جاء عن عاصم الأحول^(٣) قال رأى عبد الله بن سرجس^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أنه لم يكن له صحبة أخرجه^(٥) أحمد هذا مع كون عاصم قد روى عن عبد الله بن سرجس

(١) - هو أحمد بن علي بن محمد الكتاني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر: ومولده ووفاته بالقاهرة (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (فلسطين) الأعلام للزركلي ١/١٧٩.

(٢) - نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، ١/٢٣٨، ن: مطبعة سفير بالرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

(٣) - هو عاصم بن سليمان الأحول أبو عبد الرحمن البصري، قال عنه ابن حجر: ثقة من الرابعة، توفي سنة ١٤١ هـ وقيل: ١٤٢ هـ، وقيل سنة ١٤٣ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ) ١٣/٦، ن: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

(٤) - هو عبد الله بن سرجس، المزنّي الصحابي المعمر، سكن البصرة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر وأبي هريرة وغيرهم. وعنه روى عاصم الأحول وقتادة وعبد الله بن عمران الطلحي وغيرهم، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم سبعة عشر حديثاً، روى مسلم منها ثلاثة. سير أعلام النبلاء للذهبي ٣/٤٢٦.

(٥) - أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٣٤/٣٧٥، وقال المحقق "شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون" هذا الأثر إسناده صحيح، ن: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

هذا عدة أحاديث وهي عند مسلم وأصحاب السنن وأكثرها من رواية عاصم عنه ومن جعلتها قوله إن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له فهذا رأي عاصم أن الصحابي من يكون صاحب الصحبة العرفية^(١) وكذا روى عن سعيد بن المسيب^(٢) أنه كان لا يعد من الصحابة إلا من أقام مع النبي - صلى الله عليه وسلم - سنة فصاعداً أو غزا معه غزوة فصاعداً.^(٣) وغير ذلك من التعريفات الأخرى.

و أرجح التعاريف وأجمعها ما اختاره ابن حجر وصححه حيث قال: "وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - مؤمناً به ومات على الإسلام فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته أو قصرت ومن روى عنه أو لم يرو عنه ومن غزا معه أو لم يغز معه ومن رآه ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى"^(٤). بعد ذكر تعريف الصحابي أذكر طبقات الصحابة هنا.

طبقات الصحابة.

قد اختلف العلماء في عدد طبقات الصحابة ، ولكن المشهور ما ذهب إليه الحاكم، وذكر اثنتي عشرة طبقة للصحابة ، وهذه الطبقات هي:

- ١ - قوم تقدم إسلامهم بمكة، كالخلفاء الأربعة.
- ٢ - الصحابة الذين أسلموا قبل تشاور أهل مكة في دار الندوة.

(١) - فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، ٤/٧، ن: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

(٢) - هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب. قرشي، مخزومي، من كبار التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. توفي بالمدينة. انظر: تقريب التهذيب ٢٤١/١، والأعلام للزركلي ٣ / ١٥٥.

(٣) - فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ٤/٧.

(٤) - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ١٥٨/١، ن: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

- ٣ - مهاجرة الحبشة.
- ٤ - أصحاب العقبة الأولى.
- ٥ - أصحاب العقبة الثانية، وأكثرهم من الأنصار.
- ٦ - أول المهاجرين الذين وصلوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بقاء قبل أن يدخل المدينة.
- ٧ - أهل بدر.
- ٨ - الذين هاجروا بين بدر والحديبية.
- ٩ - أهل بيعة الرضوان في الحديبية.
- ١٠ - من هاجر بين الحديبية وفتح مكة، كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبي هريرة.
- ١١ - مسلمة الفتح، الذين أسلموا في فتح مكة.
- ١٢ - صبيان وأطفال رأوا النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح وفي حجة الوداع وغيرها^(١).

المطلب الثاني: التعريف بأشهر المصنفات في فضائل الصحابة.

- المصنفات في فضائل الصحابة تنقسم إلى ثلاثة أقسام.
- القسم الأول: مصنفات في فضائل الصحابة خاصة.
- القسم الثاني: مصنفات حديثة ذكرت فضائل الصحابة مع ذكر أحاديث أخرى كثيرة.
- القسم الثالث: مصنفات ذكرت فضائل الصحابة عند التراجع لهم.
- القسم الأول: مصنفات في فضائل الصحابة خاصة.

(١) - انظر: معرفة علوم الحديث لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد الطهماني النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ) ١/٢٢-٢٤.

١. أبوبكر الصديق أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ، وَأَحَقُّهُمْ بِالْخِلَافَةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَاسِمِ الْعَاصِمِيِّ الْحَنْبَلِيِّ (المتوفى: ١٤٢١هـ).

٢. الإِجَابَةُ لِإِزَادِ مَا اسْتَدْرَكَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَةِ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بِدْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَهَادِرِ الزَّرْكَشِيِّ الشَّافِعِيِّ (المتوفى: ٧٩٤هـ).

٣. الأسَالِيبُ الْبَدِيعَةُ فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ وَإِقْنَاعِ الشَّيْعَةِ (مطبوع بهامش كتاب شواهد الحق) لِيُوسُفَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يُونُسَ النَّبْهَانِيِّ (المتوفى: ١٣٥٠هـ).

٤. أَصْحَابُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ لِأَبِي مُحَمَّدٍ ثَنَاءِ اللَّهِ سَعْدٍ (بالأردنية- معاصر).

٥. تَارِيخُ الْخُلَفَاءِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، جَلَالُ الدِّينِ السَّيُوطِيُّ (المتوفى: ٩١١هـ).

٦. تَنْزِيهِ الْأَصْحَابِ عَنْ تَنْقِصِ أَبِي تَرَابٍ لِحُمُودِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُمُودِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التَّوْجِرِيِّ (المتوفى: ١٤١٣هـ).

٧. الْجَوْهَرَةُ فِي نَسَبِ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ الْعَشْرَةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْأَنْصَارِيِّ التَّلَمَسَانِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْبَرْيِ (المتوفى: بعد ٦٤٥هـ).

٨. حَيَاةُ الصَّحَابَةِ لِمُحَمَّدِ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ إِلْيَاسَ بْنِ مُحَمَّدٍ إِسْمَاعِيلَ الْكَانْدَهْلَوِيِّ (المتوفى: ١٣٨٤هـ).

٩. صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ لِعِيَادَةِ أَيُّوبَ الْكَبِيرِيِّ (معاصر).

١٠. فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم لأبي نعيم الأصبهاني لأبي نعيم أحمد بن

عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)

١١. فضائل الصحابة لمحمد حسن عبدالغفار (معاصر).

١٢. كتاب فضائل الصحابة لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي

الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ).

١٣. كتاب فضائل الصحابة لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال

بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ).

١٤. كتاب فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض صلوات الله عليهم

لمحمد بن خليفة الرياح^(١) (المتوفى: ٣٨٥هـ).

القسم الثاني: مصنفات حديثة ذكرت فضائل الصحابة مع ذكر أحاديث أخرى كثيرة.

١. أبواب المناقب عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي ذكرها الترمذي في سننه.

٢. كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذكره البخاري في صحيحه.

٣. كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذي ذكره البخاري في صحيحه.

القسم الثالث: مصنفات ذكرت فضائل الصحابة عند التراجع لهم.

١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد

البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ).

(١) هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني.

٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ).

٣. الإصابة في تميز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ).

٤. ألقاب الصحابة والتابعين في المسنين الصحيحين لأبي علي الحسين بن محمد الغساني وكان يكره أن يقال له الجبائي (المتوفى: ٤٩٨هـ).

٥. ربح النسر فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ).

٦. طبقات ابن سعد لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ).

٧. طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث لأبي بكر أحمد بن هارون بن روح البرديجي (المتوفى: ٣٠١هـ).

٨. معجم الصحابة لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (المتوفى: ٣٥١هـ).

٩. معجم الصحابة لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (المتوفى: ٣١٧هـ).

١٠. معرفة الصحابة لابن منده لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ).

١١. معرفة الصحابة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ).

١٢. من عاش مائة وعشرين سنة من الصحابة لابن منده ليحيى بن عبد الوهاب
بن محمد ابن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي الأصبهاني، أبو زكريا، ابن منده
(المتوفى: ٥١١هـ).

الفصل الأول

الأوصاف العامة للصحابة كما تحدث عنها القرآن الكريم

المبحث الأول: شدتهم على الكفار وتراحمهم مع بعضهم.

المبحث الثاني: إخلاصهم و صدقهم و و تقواهم.

المبحث الثالث: رسوخ إيمانهم و أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

المبحث الرابع: ملازمتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وعدم انصرافهم عنه.

الفصل الأول: الأوصاف العامة للصحابة كما تحدث عنها القرآن الكريم

ذكر الله سبحانه وتعالى أوصاف الصحابة في كتابه المبين أكثر من مرة، فذكر أحياناً أوصافهم جماعات وأحياناً أفراداً. وبذلك ذكرت أوصاف الصحابة في فصلين من هذه الرسالة، ذكرت في الفصل الأول أوصافهم كما تحدث عنها القرآن الكريم عامة، وفي الفصل الثاني ذكرت أوصافهم كما تحدث عنها القرآن الكريم خاصة.

أما الفصل الأول فسأذكر فيه ما ورد في أوصاف أصحاب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - التي تتعلق بالصحابة عامة ولا تخصيص لأحد في هذه الأوصاف بل كل صحابي يدخل في هذه الأوصاف.

المبحث الأول

شدتهم على الكفار وتراحمهم مع بعضهم.

المطلب الأول: شدتهم على الكفار.

المطلب الثاني: تراحمهم مع بعضهم.

المبحث الأول: شدتهم على الكفار وتراحمهم مع بعضهم.

سأذكر في هذا المبحث كيفية تعامل الصحابة مع الناس، والناس في ذلك الزمان على ثلاثة أنواع أحدها الكفار، وثانيها المؤمنون ، وثالثها المنافقون، ذكر الله سبحانه وتعالى كيفية تعامل الصحابة مع الكفار و المؤمنين، فقال تعالى: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ... ﴾^(١) أما المنافقون فلم يذكر الله تعالى كيفية تعامل الصحابة معهم صراحة، لأن الصحابة كانوا لا يعلمون أسماء المنافقين إلا حذيفة^(٢) -رضي الله عنه- أخبره النبي -صلى الله عليه وسلم- أسماء المنافقين. مع هذا في بعض الأحيان لو رأى الصحابة آية علامة من النفاق في رجل ما، تعاملوا معه بكل شدة وهذه الشدة كانت أكثر من الشدة على الكفار وذلك كما ذكر المفسرون قصة سبب نزول آية ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَزَجًا مِمَّا قُضِيَتْ وَتُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾^(٣) والآية ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٤)

وغيرها من الآيات الأخرى. وسأذكر بعض التفصيل لهذه القصص وغيرها من القصص الأخرى في الفصل الثاني.

أما في هذا المبحث فسأذكر فيه وصفى الصحابة وهما شدتهم على الكفار وتراحمهم مع بعضهم وبذلك يشتمل هذا المبحث على مطلبين.

(١) - سورة الفتح: آية ٢٩.

(٢) - هو حذيفة بن اليمان العسبي : من كبار الصحابة. ولد بالمدينة، وروى حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير وعن عمر . روى عنه جابر وجندب ، ومن التابعين ابنه بلال، ورعي بن خراش، وغيرهم. وشهد حذيفة فتوح العراق، وله بها آثار، توفى سنة ٣٦ هـ انظر: الإصابة لابن حجر ٤٠/٢ ، والأعلام للزركلي ١٧١/٢.

(٣) - سورة النساء: آية ٦٥.

(٤) - سورة النساء: آية ٦٥.

المطلب الاول: شدتهم على الكفار.

ذكر الله سبحانه و تعالى في كثير من الآيات القرآنية أن الصحابة كانوا أشداء على الكفار وبعض الآيات تدل على أن الله تعالى أمرهم أن اشتدوا على الكفار. فسأبرز في هذا المطلب، الوصف المذكور في العنوان من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقصص التاريخية التي تدل على شدة الصحابة على الكفار.

قال الله تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)

ذكر الله تعالى في هذه الآية أوصاف الذين كانوا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وهم الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم أجمعين- منها، الشدة على الكفار، يعنى غليظة عليهم قلوبهم وقلية بهم رحمتهم ولا تأخذهم فيهم رافة.^(٢)

قال ابن عاشور^(٣) إن المراد بالشدة على الكفار: هي الشدة في قتالهم وإظهار العداوة لهم، وهذا وصف مدح لأن المؤمنين الذين مع النبي صلى الله عليه وسلم كانوا هم فئة الحق

(١) - سورة الفتح: آية ٢٩.

(٢) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ٢٦٢/٢٢ ن: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٣) - هو محمد الطاهر بن عاشور: ولد سنة ١٢٩٦هـ، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، توفي سنة ١٣٩٣ هـ، الأعلام للزركلي ١٧٤/٦.

ونشر الإسلام فلا يليق بهم إلا إظهار الغضب لله والحب في الله والبغض في الله من الإيمان^(١).

والصحابه كلهم يدخلون في هذا الوصف كما ذكر أكثر المفسرين. مثلاً؛ قال الإمام الرازي : "والذين معه جميعهم أشداء على الكفار رحماء بينهم لأن وصف الشدة والرحمة وجد في جميعهم"^(٢).

وقال ابن عاشور: المراد بالذين معه: "أصحابه كلهم لا خصوص أهل الحديبية"^(٣). ولكن ذكر بعض المفسرين أن المراد بالذين معه هم من شهد الحديبية، مثلاً؛ قال القرطبي^(٤) "أهل الحديبية أشداء على الكفار، أي غلاظ عليهم كالأسد على فريسته، قاله ابن عباس وقيل: المراد بـ"الذين معه" جميع المؤمنين"^(٥).

(١) - التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ٢٠٤/٢٦ ن: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(٢) - مفاتيح الغيب "التفسير الكبير" لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ٨٩/٢٨ ن: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

(٣) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٠٣/٢٦.

(٤) - هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرّج الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسبوط، بمصر) وتوفي فيها سنة ٦٧١هـ، انظر: طبقات المفسرين للداوودي ٦٩/٢، و الأعلام للزركلي ٣٢٢/٥.

(٥) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٢/١٦.

وقال أبو حيان الأندلسي^(١) والذين معه هم من شهد الحديبية، قاله ابن عباس^(٢).

والذى يترجح لي أنّ القول الأول هو الصحيح.

١. لأنّ أكثر المفسرين اختاروا هذا القول وهو أنّ الصحابة كلهم يدخلون في هذا الوصف.

٢. ولأنّ القرطبي قال "وكون الصفات في جملة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

هو الأشبه" بعد ذكر القول الثاني^(٣).

٣. ولأنّ أبا حيان نقل قول الجمهور "جميع أصحابه أشداء، جمع شديد"^(٤).

٤. ولأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

والآيات الأخرى التى تدل على نفس الموضوع ذكرها ابن كثير^(٥) فى تفسيره هذه الآية وهى ، قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى :

١. ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٦)

(١) - هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيّان الغرناطي الأندلسي الجياني، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير. ولد في إحدى جهات غرناطة سنة ٦٥٤هـ، ورحل إلى القاهرة. وتوفي فيها سنة ٧٤٥هـ. انظر: طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي (المتوفى: ٩٤٥هـ) ٢/٢٨٧ ن: دار الكتب العلمية-بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ ، والأعلام للزركلى ٧/١٥٢.

(٢) - البحر المحيط فى التفسير لأبى حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ٩/٥٠٠ ن: دار الفكر - بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(٣) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/٢٩٢.

(٤) - البحر المحيط فى التفسير لأبى حيان الأندلسي ٩/٥٠٠.

(٥) - هو إسماعيل بن عمر بن كثير ، أبو الفداء، عماد الدين: ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة ٧٠١ هـ، وانتقل إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ. وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤ هـ. من كتبه تفسير القرآن الكريم والبداية والنهاية فى التاريخ. انظر: الأعلام للزركلى ١/٣٢٠.

(٦) - سورة المائدة: آية ٥٤.

فهذه الآية تدل على نفس الوصف ، لأن المراد بالكلمة "أعزة" هي الشدة كما قال صاحب تاج العروس " عز علي ذلك، أي حق واشتد وشق".^(١)

وقال الرازي^(٢) "أعزة على الكافرين أي يظهرون الغلظة والترفع على الكافرين. وقيل: يعازونهم أي يغالبونهم من قولهم: عزه يعزه إذا غلبه، كأنهم مشددون عليهم بالقهر والغلظة."^(٣)

وقال البيضاوي^(٤) أعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه.^(٥) وقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً...﴾^(٦)

(١) - انظر: تاج العروس للزبيدي ٣٦٢/١٠.

(٢) - هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري، أبو عبد الله، الإمام المفسر. وهو قرشي النسب ، من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولد في الري سنة ٥٤٤ هـ ، توفي سنة ٦٠٦ هـ .انظر: طبقات المفسرين لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ) ١١٤/١-١١٥ ، ن: مكتبة وهبة - القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦، و الأعلام للزركلي ٣١٣/٦.

(٣) - التفسير الكبير للرازي ٣٨١/١٢.

(٤) - هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي أبو سعيد، أو أبو الخير، قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس -قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها سنة ٦٨٥ هـ . انظر: طبقات المفسرين للداوودي ٢٤٨/١ و الأعلام للزركلي ١٠٩/٤.

(٥) - أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥ هـ) ١٣٢/٢ ، ن: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

(٦) - سورة التوبة: آية ١٢٣.

هذه الآية تبين أحد أسباب شدة الصحابة على الكفار وهو أن الله تعالى أمرهم أن يقاتلوا الكفار، ولابد أن يجد الكفار فيهم غلظة، «وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً» شدة أي أغلظوا عليهم»^(١).

والمراد بالغلظة الشدة والاستطالة والمغالظة، أي العداوة.^(٢) وقال الزمخشري^(٣): الغلظة كالشدة، والغلظة كالضغطه، والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجراة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والأسر^(٤).

ونذكر الرازي: معنى الشدة و عين المراد بهذه الشدة وقال: إن الغلظة ضد الرقة، وهي الشدة في إحلال النعمة، وهذه الغلظة إنما تعتبر فيما يتصل بالدعوة إلى الدين. وذلك إما بإقامة الحجة والبينة، وإما بالقتال والجهاد، فأما أن يحصل هذا التغليب فيما يتصل بالبيع والشراء والمجالسة والمؤاكلة فلا.^(٥) وهناك آية أخرى تدل على نفس الموضوع وهي ، قول الله تعالى:

(١) - تفسير الجلالين ٢٦٣/١ لجلال الدين محمد بن أحمد المحطلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، ن: دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولى.

(٢) - انظر: تاج العروس للزبيدي ٢٠/٢٤٤-٢٤٥.

(٣) - هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الحوارزمي، النحوي، اللغوي، المعتزلي، المفسر، يلقب جار الله، ولد في زمخش (خوارزم) سنة ٤٦٧ هـ. توفي ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ. وكان معتزلي المذهب، مجاهراً، شديد الإنكار على المتصوفة ، انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ١/٢٠١-٢٠٢، والأعلام للزركلي ٧/١٧٨.

(٤) - انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ٢/٣٢٤ ، ن: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ .

(٥) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٦/١٧٤.

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(١)

يعنى أن الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم- كانوا لا يوادون من حاد الله أى لا يحبون أعداء الله ورسوله ولو كانوا أي المحادون آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم. وذكر المفسرون فى سبب نزول هذه الآية القصص التى تبين كيف كان الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم- أشداء على الكفار ولو كان الكفار من أسرهم.

منها: ما ذكره القرطبي فى سبب نزول هذه الآية فقال: « نزلت في أبي عبيدة بن الجراح^(٢)، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد وقيل: يوم بدر. وكان الجراح يتصدى لأبي عبيدة وأبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصد إليه أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله حين قتل أباه: لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية. ^(٣) »

(١) - سورة المجادلة: آية ٢٢.

(٢) - هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة، أبو عبيدة، اشتهر بكنيته ونسبه إلى جده، فيقال: أبو عبيدة بن الجراح. وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، توفي سنة ثمان عشرة، وعمره ثمان وخمسون سنة.

انظر: أسد الغابة فى معرفة الصحابة لأبى الحسن علي بن أبى الكرم الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) ٣/١٢٤، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٣) - انظر: الجامع لأحكام القرآن تفسیر القرطبي لشمس الدين القرطبي ٣٠٧/١٧، ن: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. والحديث أخرجه الحاكم فى مستدرکه بالفاظ متقاربة (ولكن ذكر راوى آخر لهذا الحديث وهو عبد الله بن شاذب) كتاب معرفة الصحابة رضى الله عنهم ، ذكر مناقب أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ٣/٢٩٦ ، حديث رقم ٥١٥٢، ن: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠، وسكت عنه الذهبى فى التلخيص.

وذكر الرازي وابن كثير نفس القصة وغيرها من القصص التي تبين أن الصحابة كانوا أشداء على الكفار. (١)

ومن الأحاديث التي تدل على أن الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - كانوا أشداء على الكفار.

ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عند ما نقل قصة المكالمة بين رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم وعُروَةَ بْنِ مَسْعُودٍ النَّقَّيِّ (٢) في موقعة الحديبية.

"وجعل يكلم النبي صَلَّى الله عليه وسلم، فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة (٣) قائم على رأس النبي صَلَّى الله عليه وسلم، ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صَلَّى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف، وقال له: آخر يدك عن لحية رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، فرفع عروة رأسه، فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة،" (٤)

وقال الحافظ ابن حجر في توضيح هذه الرواية "وفي رواية أبي الأسود عن عروة فلما أكثر المغيرة مما يقرع يده غضب وقال ليت شعري من هذا الذي قد آذاني من بين أصحابك والله لا أحسب فيكم ألام منه ولا أشر منزلة وفي رواية ابن إسحاق فتبسم رسول الله صَلَّى

(١) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٤٩٩/٢٩ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢٤/٤.

(٢) - هو عروة بن مسعود بن معتب النقي كان كبيراً في قومه بالطائف، وكانت له اليد البيضاء في تقرير الصلح، وجاء للمصالحة مع النبي صلى الله عليه وسلم من قريش. ولما أسلم ودعا قومه إلى الإسلام، فخالفوه، ورماه أحدهم بسهم فقتله. انظر: الإصابة لابن حجر ٤٠٨/٤، والأعلام للزركلي ٢٢٧/٤.

(٣) - هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود النقي، صحابي، يقال له "مغيرة الرأي"، ولد في الطائف. تأخر إسلامه إلى السنة الخامسة للهجرة، وشهد الحديبية واليمامة وفتح الشام، وذهبت عينه يوم اليرموك، انظر: الإصابة لابن حجر ١٥٦/٦، الأعلام للزركلي ١٥٣/٧.

(٤) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الخرب وكتاب الشروط ١٩٣/٣، حديث رقم: ٢٧٣١.

الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له عروة من هذا يا محمد قال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة وكذا أخرجه ابن أبي شيبة من حديث المغيرة بن شعبة نفسه بإسناد صحيح وأخرجه ابن حبان^(١) فهذا يظهر أن الصحابة كانوا أشدّاء على الكفار قولاً و فعلاً كما قال المغيرة بن شعبة لابن أخيه عروة آخر يدك، وضرب يده بنعل السيف، فهذا يدل على كيفية شدتهم على الكفار، ولَوْ كَانُوا مِنْ عَشِيرَتِهِمْ.

وذكر ابن جرير الطبري^(٢) في تفسيره ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَتَخَذَ أَغْنِيَاءَ...﴾^(٣) الآية قصة أبي بكر رضى الله عنه عندما ذهب إلى فنحاص (أحد علماء اليهود)^(٤) ودعاه إلى الإسلام وقال له: (اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل! قال فنحاص: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير! وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم! ينهاكم عن الربا ويعطيناه! ولو كان عنا غنياً ما أعطانا الربا! فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله.)^(٥)

(١) - فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، ٣٣٣/٥ ن : دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

(٢) - هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبوجعفر، من طبرستان، استوطن بغداد وتوفي بها. كان حافظاً لكتاب الله، فقيهاً في الأحكام، عالماً بالسُنن وطرقها، وقيل إن فيه تشييعاً سيراً وموالاة لا تضر. انظر: طبقات المفسرين للداوودي ١١٠/٢ والأعلام للزركلي ٦/٢٩٤.

(٣) - سورة آل عمران: آية ١٨٢.

(٤) - لم أعثر على ترجمته.

(٥) - جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٧/٤٤٢.

فهذا أيضا يدل على شدتهم على الكفار لأن فنحاص عندما قال الشيء الذي لا يليق بشان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غضب أبوبكر -رضي الله عنه- بكل شدة وضرب وجهه ضربة شديدة.

وذكر الإمام السهيلي^(١) في شرح سيرة ابن هشام قصة أبي بكر وابنه عبدالرحمن. أن عبد الرحمن بن أبي بكر^(٢) قال لأبيه بعدما أسلم: يا أبت لقد أهدفت لي يوم بدر مرارا فصدفت عنك، فقال والله لو كنت أهدفت لي أنت ما صدفت عنك^(٣).

(١) - هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي حافظ، عالم باللغة والسير، ولد في مالقة سنة ٥٠٨، وعمي وعمره ١٧ سنة. ونبغ، فأقام بمراكش يصنف كتبه إلى أن توفي بها سنة ٥٨١ نسبه إلى سهيل من قرى مالقة، الأعلام للزركلي ٣/٣١٣.

(٢) - هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان وهو عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة القرشي التيمي، يكنى أبا عبد الله، أو أبا محمد، وأبوه عثمان، وأمه أم رومان. سكن المدينة، وتوفي بمكة ودفن بها، انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٣/٤٦٢.

(٣) - الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ) ٥/١١١، ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

المطلب الثاني: تراحمهم مع بعضهم.

ذكر الله سبحانه و تعالى في كثير من الآيات القرآنية أن الصحابة كانوا رحماء فيما بينهم وبعض الآيات دلت على أن الله تعالى ألف بين قلوب المؤمنين وجعلهم إخواناً. وسأبرز في هذا المطلب ،الوصف المذكور في العنوان من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقصص التاريخية التي تدل على أن الصحابة كانوا رحماء فيما بينهم.

قال الله تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)

ذكر الله تعالى في هذه الآية من أوصاف الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، التراحم مع بعضهم، يعنى رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم لهم.يعنى ألقى الله في قلوب بعضهم الرحمة لبعض.

والصحابه كلهم يدخلون في هذا الوصف كما ذكر الإمام الرازى في تفسير هذه الآية قال: والذين معه جميعهم أشداء على الكفار رحماء بينهم لأن وصف الشدة والرحمة وجد في جميعهم^(٢).

(١) - سورة الفتح: آية ٢٩.

(٢) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير. ٢٢/٢٦٢، والتفسير الكبير للرازى ٢٨/٨٩.

قال الألويسي: وبلغ من تراحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه وعانقه. ثم بعد ذلك ذكر الحديث عن البراء قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه غفر لهما»^(١) وذكر أكثر المفسرين الآية الأخرى التي تبين نفس الوصف في تفسير هذه الآية وهي. قوله تعالى:

﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٢) ذكر الخازن في تفسير "رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ" أي: متعاطفون متواتون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد. كما قال في حقهم (أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ)^(٣)

أما المراد بكلمة "أَذِلَّةٌ" فقال ابن الأعرابي^(٤): معناها رحماء، رفيقين على المؤمنين، غلاظ شداد على الكافرين^(٥).

(١) - انظر: تفسير روح المعاني للألويسي ٢٧٦/١٣ ، والحديث أخرجه أبو داود في سننه ، أبواب النوم ، باب المصافحة ، ٥٠٢/٧ ، حديث رقم: ٥٢١١ ، وقال المحقق شغيب الأرنؤوط في هامش أبي داود: صحيح لغيره دون قوله: "وحمدا الله عز وجل".

(٢) - سورة المائدة: آية ٥٤.

(٣) - انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد أبي الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ١٧٢٤هـ) ١٧٢/٤ ن: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(٤) - هو محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله. وكان من أكابر أئمة اللغة المشار إليهم في معرفتها، من أهل الكوفة. ولد سنة ١٥٠هـ، قيل ولد في الليلة التي مات فيها أبو حنيفة، ومات بسامراء سنة ٢٣١هـ. انظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء لعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبي البركات، (المتوفى: ٥٧٧هـ) ١٢٣/١ ن: مكتبة المنار، الزرقاء الأردن الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ، والأعلام للزركلي ١٣١/٦.

(٥) - تاج العروس للزبيدي ١٣/٢٩.

وقال ابن عاشور: المراد هنا الذل بمعنى لين الجانب وتوطئة الكنف، وهو شدة الرحمة والسعي للنفع، ولذلك علق به قوله: على المؤمنين. ولتضمن أدلة معنى مشفقين حانين عدي بعلی دون اللام، أو لمشاكلة (على) الثانية في قوله: على الكافرين^(١).

وهناك آية أخرى تدل على نفس الموضوع وهي قوله تعالى:

﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءُ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا....﴾ (٢) الآية

هذه الآية تبين ألفة الصحابة فيما بينهم وشبه الله تعالى هذه الألفة بالأخوة وجعل هذه الألفة نعمة لهم وقال اذكروا، أيها المؤمنون، نعمة الله عليكم التي أنعم بها عليكم، حين كنتم أعداء و يقتل بعضكم بعضا، عصبية في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله، فألف الله بالإسلام بين قلوبكم، وجعل بعضكم لبعض إخوانا بعد إذ كنتم أعداء تتواصلون بألفة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه^(٣).

قال ابن عاشور: إن التذكير في هذه الآية خاص بمن أسلم من المسلمين بعد أن كان في الجاهلية، لأن الآية خطاب للصحابة ولكن المنة به مستمرة على سائر المسلمين. ثم صرح به وقال "الخطاب للمؤمنين وهم يومئذ المهاجرون والأنصار"^(٤).

والآية الثالثة في هذا الباب هي قوله تعالى:

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٥)

(١) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٣٧/٦.

(٢) - سورة آل عمران: آية ١٠٣.

(٣) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٧٧/٧.

(٤) - التحرير والتنوير ، لابن عاشور ٣٣/٤.

(٥) - سورة الأنفال: آية ٦٣.

قَالَ ابن جرير إِنَّ هذه الآية نزلت في الأوس والخزرج لأنه قَالَ في تفسير الآية " وجمع بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج، بعد التفرق والتشتت، على دينه الحق، فصيرهم به جميعاً بعد أن كانوا أشتاتاً، وإخواناً بعد أن كانوا أعداء".^(١)

و ذكر ابن كثير نفس المفهوم في الآية السابقة وقال إن تلك الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج لأن بينهما حروب كثيرة في الجاهلية، ولكن لما جاء الإسلام فدخلوا فيه وصاروا إخواناً متحابين بجلال الله، متواصلين في ذات الله، متعاونين على البر والتقوى، وبعد ذلك نقل هذه الآية المذكورة.^(٢)

ومن الأحاديث التي تدل على أن الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، كانوا "رحماء فيما بينهم"، ما ذكره أصحاب السير وأخرجه الحاكم في المستدرك والطبراني في المعجم الكبير والبيهقي في شعب الإيمان، القصة المشهورة في إثارة الصحابة هي: أن الحارث بن هشام^(٣)، وعكرمة بن أبي جهل^(٤)، وعياش بن أبي ربيعة^(٥) ارتأوا يوم اليرموك

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٤٥/١٤.

(٢) - انظر: تفسير ابن كثير ٩٠/٢.

(٣) - هو حارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبو عبد الرحمن القرشي المخزومي، وهو آخر أبي جهل لأبويه، وابن عم خالد بن الوليد، استشهد يوم اليرموك، وقيل: بل مات في طاعون عمواس. ولما توفي تزوج عمر بن الخطاب امرأته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، أخت خالد بن الوليد، وهي أم عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٦٤٣/١.

(٤) - هو عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي وكنيته أبو عثمان. أسلم بعد الفتح بقليل، وكان شديد العداوة لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجاهلية، وكان فارساً مشهوراً، ولما فتح رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة هرب منها، ولحق باليمن. انظر: أسد الغابة ٦٧/٤.

(٥) - عياش بن أبي ربيعة واسم أبي ربيعة: عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، يكنى: أبا عبد الرحمن، وقيل: أبو عبد الله. وهو آخر أبي جهل لأمه، وابن عمه، كان إسلامه قديماً أول

فدعا الحارث بماء ليشربه فنظر إليه عكرمة، فقال الحارث: ادفعوه إلى عكرمة، فنظر إليه عياش بن أبي ربيعة، فقال عكرمة: ادفعوه إلى عياش، فما وصل إلى عياش ولا إلى أحد منهم حتى ماتوا وما ذاقوه^(١)

فهذه الرواية تبين كيفية تراحم الصحابة مع بعضهم وكيف كانوا يؤثرون على أنفسهم غيرهم، وهذا أحد الأمثلة من قصصهم.

وقصة إيمان عمير بن وهب^(٢) الذي اشترط مع صفوان بن أمية بن خلف^(٣) أن يقتل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ويرجع بأسارى بدر، فجاء عمير إلى المدينة فعندما رآه عمر - رضي الله عنه - غضب عليه وجاء به إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأخبره أن عمير جاء متقلدا سيفاً، فسأله النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن بعض الأشياء فكتم عن النبي، ولكن عندما أخبره النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بأنه أتى لكذا وكذا فقال عمير:

الإسلام، وهاجر إلى أرض الحبشة، وقتل عياش يوم اليرموك، وقيل: مات بمكة. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٣٠٨/٤.

(١) - أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر مناقب عكرمة بن أبي جهل واسم أبيه مشهور ٢٧٠/٣، حديث رقم: ٥٠٥٨، والطبراني في المعجم الكبير ٢٥٩/٣، حديث رقم: ٣٣٤٢، والبيهقي في شعب الإيمان ١٤٣/٥، حديث رقم: ٣٢٠٩.

(٢) - هو عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي، يكنى أبا أمية. كَانَ لَهُ قدر وشرف في قريش، وهو ابن عم صفوان بن أمية بن خلف. ذهب إلى المدينة فأمن ورجع إلى قريش ودعاهم إلى الإسلام، فأسلم بشر كثير. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٧٩٨/٣.

(٣) - هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي القرشي المكي، أبو وهب: صحابي، فصيح جواد. كان من أشراف قريش في الجاهلية، وقتل أبوه مع أبي جهل. أسلم بعد الفتح، وروى أحاديث، وحسن إسلامه، وشهد اليرموك أميراً على كردوس، توفي سنة ٤١ هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) ٧١٨/٢ ن: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٥٦٣/٢، والأعلام للزركلي ٢٠٥/٣.

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله، كنا نكذبك بالوحي، وبما يأتيك من السماء، وقد آمنت بالله ورسوله. ففرح المسلمون حين هداه الله. فعند ما أسلم بين عمر-رضي الله تعالى عنه- رأيته فيه فقال: والذي نفسي بيده لخنزير كان أحب إلي من عمير حين طلع، ولهو اليوم أحب إلي من بعض ولدي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، اجلس يا عمير نؤانسك. وقال لأصحابه: علموا أخاكم القرآن.^(١) فهذه القصة تبرز أن الصحابة كانوا يتحابون ويتراحمون فيما بينهم وسبب هذه المودة، الإسلام كما يفهم من قول عمر بن الخطاب-رضي الله عنه.

(١) انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٧٩٨/٣.

المبحث الثانى

إخلاصهم وصدقهم وتقواهم.

المطلب الأول: إخلاصهم.

المطلب الثانى: صدقهم وتصديقهم.

المطلب الثالث: تقواهم.

المبحث الثاني: إخلاصهم وصدقهم وتقواهم.

الصحابه-رضوان الله عنهم- عملوا كل الأعمال مثل العبادة ، والهجرة ، والنصرة ، والشدة على الكفار ، والتراحم فيما بينهم ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر وغير ذلك من الأمور ، بالإخلاص والتقوى، يعنى كان المطلوب من هذه الأعمال عندهم فقط مرضاة الله تعالى وكانوا يلتزمون بأعمالهم الصالحة فضلا من الله، ولا يرجون أجر أعمالهم من غيره. وقد أثنى الله تعالى عليهم فى كثير من الآيات القرآنية فبين أنهم كانوا يصلون ويهاجرون و يتناصرون ابتغاء مرضاة الله. وأيضا أثنى الله تعالى عليهم بصدقهم ، لأنهم كانوا هم الصادقين فى أقوالهم ، و فى أعمالهم أيضا، و أثنى الله عليهم لتقواهم، فقال : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾^(١).

وسأذكر فى هذا المبحث إخلاص الصحابة وصدقهم و تقواهم فى ضوء القرآن. وبذلك يشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب.

(١) - سورة الزمر: آية ٣٣.

المطلب الأول: إخلاصهم.

ذكر الله تعالى في كتابه المبين أكثر من مرة أعمال الصحابة و أتى عليهم بأنهم عملوا هذه الأعمال لوجه الله تعالى وكانوا يطمعون أن يرضى ربه عنهم بهذه الأعمال وقد رضى عنهم أجمعين كما صرح القرآن الكريم في كثير من الآيات. وسأذكر في هذا المطلب الآيات التي تدل على إخلاص الصحابة في أعمالهم المختلفة ، مثل الصلاة والزكاة والشدة على الكفار ، والتراحم فيما بينهم والهجرة والنصرة وغيرها.

أولاً: الإخلاص في العبادة:

ذكر الله تعالى إخلاص الصحابة في التعامل مع الكفار ، و التعامل مع المؤمنين ، وعبادتهم ، وخاصة في صلاتهم أى ركوعهم وسجودهم. فى قوله تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ يَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)

أخبر الله تعالى فى هذه الآية عن شدتهم على الكفار وتراحمهم فيما بينهم وكثرة ركوعهم وسجودهم يعنى صلاتهم وغيرها من الأعمال الصالحة ، ومداومتهم عليها ووصفهم بالإخلاص لله تعالى فى هذه الأعمال الصالحة، بأنهم يعملون الصالحات ويكثرُونَ فيها، وهذا يظهر بالعلامة التى تظهر فى وجوههم من أثر السجود. ويلتمسون بهذه الأعمال فضلاً من الله ويريدون أن يرضى عنهم ربه ولا يرجون شيئاً آخر من أعمالهم من غيره. و"الفضل" رحمته إياهم، بأن يتفضل عليهم، فيدخلهم جنته ، و"رِضْوَانًا" بأن يرضى عنهم ربه، لأن الرضوان من الله أكبر ولا شئ بعده، فهذا يدل على إخلاصهم.^(٢)

(١) - سورة الفتح: آية ٢٩.

(٢) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٢/٢٦١ ، وتفسير ابن كثير ٧/٣٦١.

قال الإمام الرازي: يبتغون فضلا من الله ورضوانا لتمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم، وركوع المرائي وسجوده، فإنه لا يبتغي به ذلك. وفيه إشارة إلى معنى لطيف وهو أن الله تعالى قال الراكعون والساجدون لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ^(١) وقال الراكع يبتغي الفضل ولم يذكر الأجر لأن الله تعالى إذا قال لكم أجر كان ذلك منه تفضلا، وإشارة إلى أن عملكم جاء على ما طلب الله منكم، لأن الأجرة لا تستحق إلا على العمل الموافق للطلب من المالك، والمؤمن إذا قال أنا أبتغي فضلك يكون منه اعترافا بالتقصير فقال: يبتغون فضلا من الله ولم يقل أجرا^(٢).

وقال ابن عاشور: هذا ثناء عليهم بشدة إقبالهم على أفضل الأعمال المزكية للنفس، وهي الصلوات مفروضا ونافلتها وأنهم يتطلّبون بذلك رضى الله ورضوانه. وفي سوق هذا في مساق الثناء إيماء إلى أن الله حقق لهم ما يبتغونه^(٣).

ثانيا: الإخلاص فى الهجرة والجهاد:

ذكر الله تعالى إخلاص الصحابة فى الهجرة والجهاد فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤) يرى أكثر المفسرين أن هذه الآية نزلت فى عبد الله بن جحش^(٥) وأصحابه. كما ذكر ابن جرير فى تفسيره سبب نزول هذه الآية وقال: عن جندب بن عبد الله^(٦) قال: لما

(١) - سورة فاطر: آية ٣٠.

(٢) - التفسير الكبير للرازي ٨٩/٢٨.

(٣) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٠٥/٢٦.

(٤) - سورة البقرة: آية ٢١٨.

(٥) - هو عبد الله بن جحش الأسدي بن رباب، براء وتحتانية وآخره موحدة، ابن يعمر الأسدي. أحد السابقين. هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرا. دعا الله يوم أحد أن يرزقه الشهادة فقتل بها ودفن هو وحمة فى قبر واحد، وكان له يوم قتل نيف وأربعون سنة. انظر: الإصابة لابن حجر ٣١/٤.

(٦) - هو جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ثم العلقي يكنى أبا عبد الله له صحبة وربما نسب إلى جده ويقال جندب بن خالد بن سفيان روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن حذيفة وعنه أنس بن

كان من أمر عبد الله بن جحش وأصحابه وأمر ابن الحضرمي ما كان، قال بعض المسلمين: إن لم يكونوا أصابوا في سفرهم -أظنه قال: - ورزأ، فليس لهم فيه أجر. فأنزل الله: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"^(١).

وأيضا ذكر الرازي والقرطبي والبيضاوي وغيرهم نفس سبب النزول لهذه الآية^(٢).

ولكن هذه الآية عامة لجميع الصحابة - رضوان الله عنهم أجمعين - لوجوه.

١. لأن أكثر المفسرين قالوا إن هذه الآية عامة في من اتصف بهذه الأوصاف ، و
باقية في كل من فعل ما ذكر الله عز وجل^(٣).

٢. ولأن ابن جرير نقل رواية بسنده عن قتادة^(٤) قال: أثني الله على أصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أحسن الثناء فقال: "إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم"، هؤلاء خيار هذه

سيرين والحسن البصري وغيرهم ، قيل مات في فتنة بن الزبير. انظر: الإصابة لابن حجر ٦١٣/١ ، وتهذيب التهذيب ١١٧/٢.

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣١٩/٤، والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب الجيم ١٦٢/٢ ، حديث رقم: ١٦٧ عن جندب بن عبد الله مطولا.

(٢) - انظر: التفسير الكبير ٣٩٤/٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٠/٣، والبيضاوي ١٣٧/١.

(٣) - انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٥٤٢ هـ) ٢٩١/١ ، ن: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٠/٣ ، و البحر المحيط ٣٩٤/٢.

(٤) - هو قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مولده في سنة ستين. مفسر حافظ. قوة المفسرين والمحدثين، قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث، مات بواسط في الطاعون سنة ١١٨ هـ. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ) ٢٥/٢ ن: مكتبة ابن تيمية ، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١ هـ ، والأعلام للزركلي ١٨٩/٥.

الأمة. ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون، وأنه من رجأ طلب، ومن خاف هرب^(١).

٣. ولأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

هذه الآية عامة لجميع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كما ذكرت في وجوه الترجيح ، ولكن في بعض الآيات أثنى الله تعالى على المهاجرين خاصة بإخلاصهم، لأنهم تركوا الديار والأموال حباً لله ولرسوله. كما قال الله تعالى: ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾*^(٢)

هذه الآية تبين إخلاص المهاجرين في هجرتهم ، بأنهم تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، وخالفوا قومهم ، وخرجوا حباً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدة، بأن كانوا يعصبون الأحبار على بطونهم ليقيموا بها أصلابهم من الجوع، وكانوا يتخذون الحفيرة في الشتاء مالهم دثار^(٣). فهذا كله تحمّله لوجه الله وهم يطلبون الفضل من الله.

قال الإمام الرازي: المراد بالفضل الثواب من الله وقيل ثواب الجنة وقيل رزقاً في الدنيا و الجنة في الآخرة، والمراد بالرضوان "ورضوان من الله أكبر"^(٤) يعني هم يريدون أن يرضى عنهم ربهم فقط^(٥).

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣٢٠/٤.

(٢) - سورة الحشر: آية ٨-٩.

(٣) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٨١/٢٣ ، والكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) ٢٧٨/٩ ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

(٤) - سورة التوبة: آية ٧٢.

(٥) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٥٠٧/٢٩.

وقال ابن عاشور: اسم الإشارة في قوله "أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ" لتعظيم شأنهم وللتنبية على أن استحقاقهم وصف الصادقين لأجل ماسبق اسم الإشارة من الصفات وهي أنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم وابتغواهم فضلاً من الله ورضواناً ونصرهم الله ورسوله فإن الأعمال الخالصة فيما عملت لأجله يشهد للإخلاص فيها ما يلحق عاملها من مشاق وأذى وإضرار، فيستطيع أن يخلص منها لو ترك ما عمله لأجلها أو قصر فيه^(١).

والأحاديث التي تدل على إخلاص الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين- كثيرة جداً. لأنهم كانوا لا يعملون إلا لمرضاة الله تعالى، وهذا ثابت من الأحاديث والقصص الكثيرة. فأذكر بعضها كنموذج فقط.

عن شداد بن الهاد: أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه، ثم قال أهاجر معك فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم سبياً فقسم وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما هذا؟ قال: قسمته لك قال: ما على هذا اتبعتك، ولكنني اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: إن تصدق الله بصدقك. فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم هو قالوا: نعم، قال: صدق الله فصدقته: ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك^(٢).

(١) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٨٩/٢٨.

(٢) - أخرجه النسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهداء، ٦٠/٤، حديث رقم:

١٩٥٣ وقال الشيخ الألباني في هامش النسائي: صحيح.

وعن أبي هريرة، " أن عمرو بن أقيش^(١)، كان له ربا في الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه، فجاء يوم أحد، فقال: أين بنو عمي؟ قالوا بأحد، قال: أين فلان؟ قالوا بأحد، قال: فأين فلان؟ قالوا: بأحد، فلبس لامته وركب فرسه، ثم توجه قبلهم، فلما رآه المسلمون، قالوا: إليك عنا يا عمرو، قال: إني قد آمنت، فقاتل حتى جرح، فحمل إلى أهله جريحا، فجاءه سعد بن معاذ، فقال لأخته: سليه حمية لقومك، أو غضبا لهم أم غضبا لله؟ فقال: بل غضبا لله ولرسوله، فمات فدخل الجنة، وما صلى لله صلاة " ^(٢)

(١) - هو - عمرو بن ثابت بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري. وقد ينسب إلى جده فيقال عمرو بن أقيش. وأمّه بنت اليمان أخت حذيفة. وكان يلقب أصيرم واستشهد بأحد. انظر: الإصابة لا بن حجر ٤/ ٥٠٠، ترجمة رقم: ٥٨٠١.

(٢) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد باب فيمن يسلم ويقتل مكانه في سبيل الله عز وجل ، ٢٠/٣ ، حديث رقم: ٢٥٣٧ ، وقال المحقق شعيب الأرناؤوط في هامش أبي داود: إسناده حسن.

المطلب الثاني: صدقهم وتصديقهم.

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أكثر من مرة أنَّ الصحابة كانوا صادقين، وكانوا يوفون بالعهد، سواء كان هذا العهد مع الله أو مع الناس. وحققوا دعواهم بالجهاد والأعمال الصالحة. وأيضاً كانوا يصدقون النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويصدقون الدين الذي جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. فأثنى الله تعالى عليهم بهذا بين الوصفين وأعطاهم الجزاء على صدقهم كما قال: ﴿لِيَجْزِيََ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ...﴾^(١).

وسأذكر في هذا المطلب الآيات التي تدل على صدقهم، وتصديقهم.

الوصف الأول: صدقهم.

أثنى الله تعالى على الصحابة بصدقهم وإيفاء عهودهم في قوله تعالى:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيََ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ...﴾^(٢)

أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء، وحين البأس (فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ) يقول: فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله وأوجبه على نفسه، فاستشهد بعضهم يوم بدر، وبعض يوم أحد، وبعض في غير ذلك من المواطن (وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ) قضاءه والفراغ منه، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهدده، والنصر من الله، والظفر على عدوه^(٣).

قال الإمام الرازي: هذه الآية إشارة إلى وفائهم بعهدهم الذي عاهدوا الله على أنهم لا يفارقون نبيه إلا بالموت فمنهم من قضى نحبه أي قاتل حتى قتل فوقى بنذره والنحب النذر، ومنهم من هو بعد في القتال ينتظر الشهادة وفاء بالعهد وما بدلوا تبديلاً بخلاف المنافقين فإنهم قالوا لا نولي الأديار فبدلوا قولهم وولوا أديارهم وقوله: ليجزى الله الصادقين

(١) - سورة الأحزاب: آية ٢٤.

(٢) - سورة الأحزاب: آية ٢٣-٢٤.

(٣) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٠/٢٣٧.

بصدقهم أي بصدق ما وعدهم في الدنيا والآخرة كما صدقوا مواعيدهم ويعذب المنافقين الذين كذبوا وأخلفوا^(١).

والآية الأخرى التي تبين صدق المهاجرين هي قوله تعالى:

﴿الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾*^(٢)

قال المفسرون: الصادقون فيما يقولون، يعني عندما هجروا لذات الدنيا وتحملوا شوائدها لأجل الدين ظهر صدقهم في دينهم. فهم الكاملون في الصدق في دعواهم الإيمان حيث فعلوا ما يدل أقوى دلالة عليه^(٣).

فهذه الآية تدل على صدق المهاجرين كما هو واضح من ظاهر الآية.

وذكر الله تعالى أوصاف المؤمنين المخلصين وميزهم من المنافقين والأعراب الذين قالوا امنا ولم يدخل الإيمان في قلوبهم و(مَنْ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ...) ^(٤) في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾*^(٥)

بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أوصاف المؤمنين المخلصين وميزهم عن المنافقين، بأن المؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله، ثم لم يشكوا في وحدانية الله، ولا في نبوة نبيه صلى الله عليه وسلم، وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله، والعمل بما وجب عليه من

(١) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٦٣/٢٥.

(٢) - سورة الحشر: آية ٨.

(٣) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٨١/٢٣، و التفسير الكبير للرازي ٥٠٨/٢٩،

وتفسير روح المعاني للألوسي ٢٤٥/١٤.

(٤) - سورة المائدة: آية ٤١.

(٥) - سورة الحجرات: آية ١٥.

فرائض الله بغير شك منه في وجوب ذلك عليه وجاهدوا المشركين بإنفاق أموالهم، وبذل مهجهم في جهادهم، على ما أمرهم الله به من جهادهم، وذلك سبيله لتكون كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، هؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الصادقون في قولهم: إنا مؤمنون، لا من دخل في الملة خوف السيف ليحقق دمه وماله^(١).

قال الإمام الرازي: إرشادا للأعراب الذين قالوا آمنا إلى حقيقة الإيمان فقال إن كنتم تريدون الإيمان فالمؤمنون من آمن بالله ورسوله ثم لم يرتابوا، يعني أيقنوا بأن الإيمان إيقان، وثم للتراخي في الحكاية، كأنه يقول آمنوا، ثم أقول شيئا آخر لم يرتابوا، ويحتمل أن يقال هو للتراخي في الفعل تقديره آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم من الحشر والنشر، وقوله تعالى: وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم يحقق ذلك، أي أيقنوا أن بعد هذه الدار دارا فجاهدوا طالبين العقبى، وقوله أولئك هم الصادقون في إيمانهم، لا الأعراب الذين قالوا قولا ولم يخلصوا عملا^(٢).

وقال أبو حيان الأندلسي: أولئك هم الصادقون: أي في قولهم آمنا، حيث طابقت ألسنتهم عقائدهم، وظهرت ثمرة ذلك عليهم بالجهاد بالنفس والمال. وفي سبيل الله يشمل جميع الطاعات البدنية والمالية، وليسوا كأعراب بني أسد في قولهم آمنا، وهم كاذبون في ذلك^(٣). وهذه الآية وإن كانت عامة لجميع المؤمنين، ولكن أول من جاء بهذه الأوصاف هم الصحابة، لذا ذكرت هذه الآية في بيان صدق الصحابة رضوان الله عليهم.

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣١٨/٢٢.

(٢) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١١٧/٢٨.

(٣) - البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي ٥٢٤/٩.

الوصف الثاني: تصديقهم.

والآية التي تدل على تصديقهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - هي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(١)

اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى "صَدَّقَ بِهِ" فنذكر بعض المفسرين أن المراد به شخص معين ، والآية نزلت له ، ثم اختلفوا في تعيين هذا الشخص ، فبعضهم قالوا المراد به رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه ، وبعضهم قالوا ، هو أبوبكر - رضى الله عنه - وبعضهم قالوا المراد به على بن أبى طالب - عليه السلام -^(٢).

وبعضهم قالوا إن المراد به ، المؤمنون أو المسلمون في زمن النبي - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعنى جميع الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - وكل من كان موصوفا بهذه الصفة ، كما صرح به ابن جرير وغيره^(٣).

قال ابن عاشور وإذ قد كان المصدقون بالقرآن أو بالنبي صلى الله عليه وسلم من ثبت له هذا الوصف كان مرادا به أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم^(٤).
والذى يترجح لى فى هذا الباب أن القول الثانى وهوان المراد به جميع الصحابة رضوان الله عليهم - هو الصحيح.

(١) - سورة الزمر: آية ٣٣.

(٢) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٩٠/٢١-٢٩١ ، وتفسير البيضاوى ٤٢/٥ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٥٦/١٥.

(٣) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٩٠/٢١ ، ، والتفسير الكبير للرازي ٤٥٣/٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٥٥/١٥.

(٤) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٨/٢٤.

لأن أكثر المفسرين إختاروه ورجحوه^(١).

١. ولأن قرءة ابن مسعود فى هذه الآية ، هى بصيغة الجمع وهى "وَالَّذِينَ جَاءُوا
بِالصِّدْقِ وَصَدَّقُوا بِهِ"^(٢) فهذا أيضا يؤيد ما اخترت من الأقوال المختلفة.
٢. ولأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وبعد ما ذكرت وجوه الترجيح للقول الثانى فعلم أن هذه الآية نزلت فى مدح جميع
الصحابه وأثنى الله عليهم بتصديقهم لكتابه و لنبيه - صلى الله عليه وسلم - .
ومن الأحاديث التى تدل على صدقهم وتصديقهم ما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده قال
إن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرسا من أعرابي، فذهب النبي صلى الله عليه وسلم
ليقضيه ثمن فرسه، وفى نفس الوقت زاد رجل فى السوم على ثمن الفرس الذى ابتاعه به
النبي صلى الله عليه وسلم، فنادى الأعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن كنت
مبتاعا هذا الفرس فابتعه، وإلا بعته. فقام النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع نداء
الأعرابي، فقال: " أوليس قد ابتعته منك؟ " قال الأعرابي: لا والله ما بعته. فقال النبي
صلى الله عليه وسلم: " بلى قد ابتعته منك " فقال الأعرابي: هلم شهيدا يشهد أنى بايعتك،
فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: وبلك إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليقول
إلا حقا. حتى جاء خزيمه^(٣) لمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم ومراجعة الأعرابي، وقال:
أنا أشهد أنك قد بايعته. فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على خزيمه فقال: " بم تشهد؟ "

(١) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ٢٩٠/٢١ ، ، والتفسير الكبير للرازي ٤٥٣/٢٣ ،
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٥٥ / ١٥ ، وتفسير البيضاوي ٤٢/٥ و التحرير والتنوير لابن
عاشور ٨/٢٤ .

(٢) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ٢٩١/٢١ .

(٣) - هو خزيمه بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الأنصاري الأوسي ثم من بني خزيمة، يكنى:
أبا عماره. وهو ذو الشهادتين، جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين، وشهد بدرا،
وما بعدها من المشاهد كلها، وقتل فى صفين سنة سبع وثلاثين. أسد الغابة لابن الأثير ١٧٠/٢ .

فقال: بتصديقك يا رسول الله. فجعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهادة خزيمة شهادة رجلين^(١)

وروى البخارى فى صحيحه عن زيد بن ثابت^(٢)، قال: «لما نسخنا الصحف فى المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب، كنت كثيرا أسمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأها لم أجدها مع أحد، إلا مع خزيمة الأنصاري الذي جعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهادته شهادة رجلين»^(٣)

وهذه القصة مذكورة فى البخارى ثلاث مرات وفى كل مقام قال زيد بن ثابت إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل شهادة خزيمة الأنصاري شهادة رجلين.

(١) - أخرجه الإمام أحمد فى مسنده، كتاب تنمة مسند الأنصار باب خزيمة بن ثابت ٢٠٦/٣٦ (بتصرف) ، وقال المحقق شعيب الأرناؤوط - فى الهامش، إسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٢) - هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لؤذان بن عمرو الأنصاري الخزرجي ثم النجاري. كنيته: أبو سعيد، وقيل: أبو عبد الرحمن. وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي وغيره، وكتب القرآن فى عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما. وتوفى سنة خمس وأربعين. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ١٢٧/٢.

(٣) - أخرجه البخارى فى صحيحه باب فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا كتاب تفسير القرآن ١١٦/٦ ، حديث رقم: ٤٧٨٤.

المطلب الثالث: تقواهم.

ذكر الله تعالى تقوى الصحابة في كتابه الكريم وأثنى عليهم بتقواهم ، واختار قلوبهم للتقوى وأعطاهم بسبب تقواهم ، المغفرة يعنى إزالة السيئات في الدنيا والأجر العظيم في الآخرة ، في قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ *﴾ (١)

ذكر الله تعالى في هذه الآية تقوى الصحابة بأن هؤلاء الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله، هم الذين اختبر الله قلوبهم بامتحانهم إياها، فاصطفاهم وأخلصها للتقوى، يعنى لاتقائه بأداء طاعته، واجتناب معاصيه، كما يمتحن الذهب بالنار، فيخلص جيدها، ويبطل خبثها. (٢)

قال الإمام الرازى: إن الله تعالى امتحن قلوبهم بمعرفته ، ليرزقهم الله التقوى التي هي حق النقا، وهي التي لا تخشى مع خشية الله أحدا. (٣) وذكر نقطة لطيفة وهي: أن الله علم ما في قلوبهم من تقواه، وامتحن قلوبهم للتقوى التي كانت فيها، ولولا أن قلوبهم كانت مملوءة من التقوى لما أمرهم بتعظيم رسوله وتقديم نبيه على أنفسهم، بل كان يقول لهم آمنوا برسولي ولا تؤنوه ولا تكذبوه، فإن الكافر أول ما يؤمن، يؤمن بالاعتراف بكون النبي صلى الله عليه وسلم صادقا، وبين من قيل له لا تستهزئ برسول الله ولا تكذبه ولا تؤذه، وبين من قيل له لا ترفع صوتك عنده ولا تجعل لنفسك وزنا بين يديه ولا تجهر بكلامك الصادق بين يديه، بون عظيم. (٤)

(١) - سورة الحجرات: آية ٣.

(٢) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٨٢/٢٢.

(٣) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٩٦/٢٨.

(٤) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٩٦/٢٨.

قال الفراء^(١): أي أخلصها للتقوى. وقال الأخفش^(٢): أي اختصها للتقوى. وقال ابن عباس: " امتحن الله قلوبهم للتقوى " طهرهم من كل قبيح، وجعل في قلوبهم الخوف من الله والتقوى. وقال عمر رضي الله عنه: أذهب عن قلوبهم الشهوات. والامتحان افتعال من محنت الأديم محنا حتى أوسعته. فمعنى امتحن الله قلوبهم للتقوى وسعها وشرحها للتقوى. وعلى الأقوال المتقدمة: امتحن قلوبهم فأخلصها، كقولك: امتحنت الفضة أي اختبرتها حتى خلصت.^(٣) والآية الأخرى التي تبين نقواهم هي قوله تعالى:

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٤)

قد اختلف العلماء في تعيين المراد بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ...﴾^(٥) كما ذكرت في المطلب الأول من هذا البحث وبينت الرأي الراجح و بناء على هذا الرأي الراجح ، وهو أن المراد من هذه الآية الصحابة كلهم. ولكن ليس الخلاف بين العلماء في المراد بـ " أولئك هم المتقون " يعني أن الصحابة كلهم متقون في ضوء هذه الآية كما قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: " أولئك هم المتقون " هؤلاء الذين هذه صفتهم. هم الذين

(١) - هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلماً، عالماً بأيام العرب وأخبارها، يميل إلى الاعتزال. توفي سنة ٢٠٧ هـ. انظر: الأعلام للزركلي ١٤٥/٨.

(٢) - هو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط: نحوي، عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ. سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه. وصنف كتباً، توفي سنة ٢١٥ هـ. انظر: الأعلام للزركلي ١٠٢/٣.

(٣) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٠٨/١٦-٣٠٩.

(٤) - سورة الزمر: آية ٣٣-٣٥.

(٥) - سورة الزمر: آية ٣٣.

اتقوا الله بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد، وأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، فخافوا عقابه^(١).

قال الإمام الرازي: إنه تعالى أثبت للذي جاء بالصدق وصدق به أحكاماً كثيرة. فالحكم الأول: أولئك هم المتقون وتقريره أن التوحيد والشرك ضدان، وكلما كان أحد الضدين أشرف وأكمل كان الضد الثاني أخس وأرذل، ولما كان التوحيد أشرف الأسماء كان الشرك أخس الأشياء، والآتي بأحد الضدين يكون تاركاً للضد الثاني، فالآتي بالتوحيد الذي هو أفضل الأشياء يكون تاركاً للشرك الذي هو أخس الأشياء وأرذلها، فلهذا المعنى وصف المصدقين بكونهم متقين^(٢).

وذكر الله تعالى جزاء هذه التقوى في قوله "لهم ما يشاؤون عند ربهم" يعني هذا الجزاء لمن كان موصوفاً بالوصف السابق، يعني من النعيم في الجنة، وذلك جزاء المحسنين "الثناء في الدنيا والثواب في الآخرة. قوله تعالى: "ليكفر الله عنهم" أي صدقوا "ليكفر الله عنهم". أسوأ الذي عملوا أي يكرمهم ولا يؤاخذهم بما عملوا قبل الإسلام. "ويجزئهم أجرهم" أي يثيبهم على الطاعات الدنيا "بأحسن الذي كانوا يعملون" وهي الجنة^(٣). والآية الأخرى في هذا الباب هي قوله تعالى:

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٤)

أثنى الله تعالى في هذه الآية على الصحابة بأنه ألزمهم كلمة التقوى والمراد بكلمة التقوى على رأى جمهور المفسرين "لأله إله" فإن بها يقع الاتقاء عن الشرك كما ذكر المفسرون في تفاسيرهم وذكرت بعض أقوالهم في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٩٢/٢١.

(٢) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٤٥٢/٢٦.

(٣) - انظر: تفسير ابن كثير ٩٩/٧ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٥٧/١٥.

(٤) - سورة الفتح: آية ٢٦.

ومن الأحاديث التي تتعلق بتقوى الصحابة ما أخرجه البخاري، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: " كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراج، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أنني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده، فقاء كل شيء في بطنه " (١) و عن أبي النعمان (٢)، قال: كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة (٣)، فنزل تحريم الخمر، فأمر منادياً فنادى، فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت، قال: فخرجت فقلت: هذا مناد ينادي: «ألا إن الخمر قد حرمت»، فقال لي: اذهب فأهرقها، قال: فجرت في سكك المدينة، قال: وكانت خمرهم يومئذ الفضيخ، فقال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم، قال: فأنزل الله: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... (٤) الآية. (٥)

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه باب بنيان الكعبة كتاب مناقب الأنصار ٤٣/٥ ، حديث رقم: ٣٨٤٢.

(٢) - هو مسعود بن عون بن المنذر بن النعمان أبي قابوس ابن ماء السماء اللخمي، أبو النعمان: أمير بني لخم في العراق. صارت إليه الإمارة بعد مقتل أبيه. وحضر فتح دمشق. توفي سنة ٤٥ هـ. الأعلام للزركلي ٢١٩/٧.

(٣) - هو زيد بن سهل بن الأسود النجاري الأنصاري: صحابي، من الشجعان الرماة المعدودين في الجاهلية والإسلام. ولما ظهر الإسلام كان من كبار أنصاره، شهد العقبة وبدر وأحدا وسائر المشاهد. توفي سنة ٣٤ هـ. انظر: الإصابة لابن حجر ٢٤٦/٧ ، والأعلام للزركلي ٥٨/٣.

(٤) - سورة المائدة: آية ٩٣.

(٥) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن، باب ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا { ٥٤/٦.

وعن عبد الله بن عامر، قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: «ليتني هذه التبنة، ليتني لم أك شيئاً، ليت أُمِّي لم تلدني، ليتني كنت نسياً منسياً»^(١) فهذه القصة تدل على خشية من الله تعالى مع أنه مبشّر بالجنة بلسان النبي وغير ذلك من الأحاديث والآثار الأخرى التي تدل على نفس الموضوع.

(١) - أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه، كتاب الزهد، كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٩٨/٧، ن: مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٩، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال كتاب الفضائل من قسم الأفعال باب فضائل الفاروق رضي الله عنه ٦١٩/١٢ ن: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

المبحث الثالث

رسوخ إيمانهم و أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

المطلب الاول: رسوخ إيمانهم.

المطلب الثاني: أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

المبحث الثالث: رسوخ إيمانهم و أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

ذكر الله تعالى في كثير من الآيات القرآنية أن الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين- كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم- في كل يسر وعسر، حتى في الجهاد، وأيضاً كانوا معه في أمور الدعوة، لذا أثنى الله تعالى عليهم أنهم خير الأمم وأنهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وأثنى على إيمانهم، وشهد لهم بحقيقة الإيمان، فقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا...﴾^(١) يعني كان إيمانهم بالقلوب، والإيمان مزين في قلوبهم، وليسوا من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم. وأيضاً أثنى الله عليهم بسبب دعوتهم إلى الله تعالى، يعني أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وجعلهم خير أمة، فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾^(٢)

وسأذكر في هذا المبحث الآيات والأحاديث التي تتعلق بوصفهم . وهما؛

١. رسوخ إيمانهم.

٢. أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

وبذلك يشتمل هذا المبحث على مطلبين.

(١) - سورة الأنفال: آية ٧٤.

(٢) - سورة آل عمران: آية ١١٠.

المطلب الأول: رسوخ إيمانهم.

لقد كان صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هم أولئك العصابة المؤمنة التي مكن الله بهم لدينه في الأرض. لقد آمنوا بالله تعالى خالقهم إيماناً خالط شغاف قلوبهم فغسلها من أدران الكفر والفسوق والنفاق حتى غدت كالثوب الأبيض الناصع. وقد شهد الله لأصحاب نبيه من المهاجرين والأنصار بحقيقة الإيمان في مواضع شتى من القرآن الكريم. فقال "هم المؤمنون حقاً" و"الإيمان محبب إليهم ومزِين في قلوبهم" و"الإيمان في قلوبهم". و بسبب هذا الإيمان أثنى الله تعالى عليهم بأنهم "هم الراشدون" و"المفلحون" و"لهم مغفرة ورزق كريم" و"يَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" وغير ذلك من الأشياء التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم.

وسأذكر في هذا المطلب الآيات التي تدل على رسوخ إيمان الصحابة.

قال الله تعالى:

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)

ذكر الله تعالى في هذه الآية أنه كتب الإيمان في قلوب الصحابة أي أثبت وخلق، وذلك لأن الإيمان لا يمكن كتبه، فلا بد من حمله على الإيجاد والتكوين.^(٢) فهو مثبت في قلوبهم بيد الله مكتوب في صدورهم بيمين الرحمن. فلا زوال له ولا اندثار، ولا انطماس فيه ولا غموض^(٣).

قال ابن عاشور: وكتابة الإيمان في القلوب نظير قوله: كتب الله لأغلبن أنا ورسلي^(٤).

(١) - سورة المجادلة: آية ٢٢.

(٢) - التفسير الكبير للرازي ٤٩٩/٢٩.

(٣) - تفسير "في ظلال القرآن" لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) ٦/٣٥١٥ ن: دار الشروق - بيروت - القاهرة الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

(٤) - سورة المجادلة: آية ٢١.

وهذا التقدير الثابت الذي لا تتخلف آثاره، أي هم المؤمنون حقاً الذين زين الله الإيمان في قلوبهم فاتبعوا كماله وسلخوا شعبه^(١).

وقال الشنقيطي^(٢): أولئك كتب في قلوبهم الإيمان أي ثبته في قلوبهم بتوفيقه. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تثبيت الإيمان في قلوبهم جاء موضحاً في قوله تعالى^(٣):

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾^(٤)

هذه الآية تدل على أن الله تعالى أدخل الإيمان في قلوب الصحابة وجعله أحب الأديان إليهم وزينه بتوفيقه في قلوبهم يعنى حسنه إليهم حتى اختاروه ، بحيث لا يفارقونه ، لا يخرج من قلوبهم، وهذا لأن من يحب أشياء فقد يمل شيئاً منها إذا حصل عنده وطال لبثه والإيمان كل يوم يزداد حسناً، ولكن من كانت عبادته أكثر وتحمله لمشاق التكليف أتم، تكون العبادة والتكاليف عنده ألد وأكمل، ولهذا قال في الأول: حبيب إليكم وقال ثانياً: وزينه في قلوبكم كأنه قربه إليهم ثم أقامه في قلوبهم^(٥).

ونذكر السيوطي^(٦) الرواية في تفسير هذه الآية التي تطابق الآيات لفظاً ومعنى، فقال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال النبي صلى الله عليه وسلم: استأثروا حتى أثنى على ربي

(١) - انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٦١/٢٨.

(٢) - هو أحمد بن الأمين الشنقيطي: ولد سنة ١٢٨٩ هـ ، عالم بالأدب، من أهل شنقيط. نزل بالقاهرة وتوفي بها سنة ١٣٩٣ هـ. انظر: الأعلام للزركلي ١/١٠١.

(٣) - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣ هـ) ٥٥٧/٧ ، ن : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان ، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٤) - سورة الحجرات: آية ٧.

(٥) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٠٢/٢٨ ، و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١٤/١٦.

(٦) - هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيرى السيوطي، جلال الدين: ولد سنة ٨٤٩ هـ: إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة.

فصاروا خلفه صفوفا فدعا الله تعالى وحمد الله تعالى ثم قال: اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا اللهم حبيب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين.....الرواية^(١).

والآية الأخرى التي تبين رسوخ إيمانهم هي قوله تعالى:

﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾^(٢)

هذه الآية تدل على أن الله تعالى ألزم الصحابة "كلمة التقوى" والمراد بكلمة التقوى على رأى جمهور المفسرين "لا إله إلا الله" كما ذكر المفسرون فى تفاسيرهم فقال ابن جرير (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) يقال: ألزمتهم قول لا إله إلا الله التي يتقون بها النار، وأليم العذاب.^(٣) والآية الأخرى التي تبرز حقيقة إيمان المهاجرين والأنصار هي قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾^(٤)

نشأ في القاهرة بتيما (مات والده وعمره خمس سنوات) توفى سنة ٩١١ هـ. انظر: الأعلام للزركلى ٣/٣٠١.

(١) انظر: الدر المنثور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ٥٩٩/٧ ن: دار الفكر - بيروت، والحديث أخرجه البخارى فى الأدب المفرد، باب دَعَوَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢٤٣/١ حديث رقم ٦٩٩ وصححه الألبانى فى هامش الأدب المفرد، وفى صحيح الألبان المفرد ١/٢٦٠ ن: دار البشائر الإسلامية - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩.

(٢) سورة الفتح: آية ٢٦.

(٣) جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ٢٢/٢٥٣، والتفسير الكبير للرازى ٨٥/٢٣، وروح المعاني للألوسى ١٣/٢٧١.

(٤) سورة الأنفال: آية ٧٤.

إنَّ الله تعالى ذكر في هذه الآية أنَّ الصحابة كانوا مؤمنين حقاً وحققوا إيمانهم بالهجرة والمصائب التي تحمّلوها، وحقق الله تعالى إيمانهم بالبشارة يعنى بشرهم بالمغفرة ورزق كريم. وجملة أولئك هم المؤمنون يفيد الحصر وقوله: حقاً يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محققين محققين في طريق الدين، أي حققوا إيمانهم بالهجرة ، لأن من لم يكن محققاً في دينه لم يتحمل ترك الأديان السالفة، ولم يفارق الأهل والوطن ولم يبذل النفس والمال. وحقق الله إيمانهم بالبشارة في قوله: لهم مغفرة وتكثير لفظ المغفرة يدل على الكمال لهم مغفرة تامة كاملة عن جميع الذنوب والتبعات. ورزق كريم والمراد منه الثواب الرفيع الشريف. (١)

ونذكر أصحاب السير والتاريخ القصص الكثيرة التي تشير إلى إيمان الصحابة واستقامتهم على الإيمان منها: قصة إيمان خباب (٢) -رضى الله عنه- المشهورة في كتب السير والتراجم كما قال الشعبي (٣): إن خباباً صبر ولم يعط الكفار ما سألوا، يلزقون ظهره

(١) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٥١٩/١٥ ، والخازن ٣٣٠/٢ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٨/٨ .

(٢) - هو خباب بن الارت بن جندلة بن سعد، أبو يحيى أو أبو عبد الله، التميمي. صحابي من السابقين، وهو أول من أظهر إسلامه، ولما أسلم استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه، فصبر إلى أن كانت الهجرة، ثم شهد المشاهد كلها. أسد الغابة لابن الأثير ١ / ٥٩٢ .

(٣) - هو عامر ابن شراحيل الشعبي بفتح المعجمة أبو عمرو ولد ونشأ بالكوفة ، أصله من حمير. منسوب إلى الشعب (شعب همدان). ثقة مشهور فقيه فاضل من الثالثة ، من كبار التابعين. اشتهر بحفظه ، أخذ عنه أبو حنيفة وغيره. مات بعد المائة. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ٢٨٧/١ ، وتذكرة الحفاظ لشمس الدين أبي عبد الله محمد الذهبي ٦٣/١ ، ن: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، والأعلام للزركلي ٢٥١/٣ .

بالرصف، حتى ذهب لحم مته. (١) وقصة إيمان بلال (٢) -رضي الله عنه- مشهورة في كتب السيرو التراجم، كان بلال من السابقين إلى الإسلام، وممن يعذب في الله عز وجل فيصبر على العذاب، وكان أبو جهل يبطحه على وجهه في الشمس، ويضع الرجا عليه حتى تصهره الشمس، ويقول: اكفر برب محمد، فيقول: أحد، فاجتاز به ورقة بن نوفل (٣)، وهو يعذب، ويقول: أحد، أحد، فقال: يا بلال، أحد أحد، والله لئن مت على هذا لأتخذن قبرك حنائا. (٤)

وعن سعيد بن المسيب (٥)، عندما يذكر بلالا قال: كان شحيحا على دينه، وكان يعذب، فإذا أراد المشركون أن يقاربهم، قال: الله الله، قال: فلقى النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه، فقال: لو كان عندنا شيء لاشترينا بلالا، قال: فلقى أبو بكر العباس بن عبد المطلب، فقال: اشتر لي بلالا، فانطلق العباس، فقال لسيدته: هل لك أن تبيعيني عبدك هذا قبل أن يفوتك خيره؟ قالت: وما تصنع به، إنه خبيث، وإنه... ثم لقيها،

(١) - أسد الغابة لابن الأثير ١٤٧/٢.

(٢) - هو بلال بن رباح يكنى: أبا عبد الكريم، وقيل: أبا عبد الله، وقيل: أبا عمرو، وهو مولى أبي بكر الصديق. وكان من السابقين إلى الإسلام، وممن يعذب في الله عز وجل فيصبر على العذاب، وأخى رسول الله بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، وكان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته سفرا وحضرا، وهو أول من أذن له في الإسلام. توفي بلال بدمشق، ودفن بباب الصغير سنة عشرين. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٤١٥/١.

(٣) - هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي، وهو ابن عم خديجة، وهو الذي أخبر خديجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي هذه الأمة، لما أخبرته بما رأى النبي صلى الله عليه وسلم لما أوحى إليه، وخبره معه مشهور. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٤١٦/٥.

(٤) - أسد الغابة لابن الأثير ٤١٥/١.

(٥) - تقدمت ترجمته.

فقال لها مثل مقالته، فاشتره منها، وبعث به إلى أبي بكر رضي الله عنه، وقيل: إن أبا بكر اشتراه، وهو مدفون بالحجارة يعذب تحتها. (١)

قال مجاهد^(٢): أول من أظهر إسلامه رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر، وخباب، وصهيب^(٣)، وبلال، وعمار^(٤)، وسمية^(٥) أم عمار، فأما رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فممنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأما الآخرون فالبسوهم أذراع الحديد، ثم صهروهم في الشمس، فبلغ منهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ من حر الحديد والشمس. (٦)

(١) - أسد الغابة لابن الأثير ٤١٥/١.

(٢) - هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي. مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة. شيخ القراء والمفسرين. ولد سنة ٢١١هـ. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، واستقر في الكوفة. وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها: ذهب إلى "بئر برهوت" بحضرموت، وذهب إلى "بابل" يبحث عن هاروت وماروت. توفي سنة ١٠٤هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٤٤٩-٤٥٣، والأعلام للزركلي ٦/١٦١.

(٣) - هو صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن جذيمة بن كعب. وكان من السابقين إلى الإسلام، أسلم صهيب، وعمار، في يوم واحد، وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلاً، وكان من المستضعفين بمكة الذين عذبوا. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٣/٣٨.

(٤) - هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك الكناني المذحجي العنسي القحطاني، أبو اليقظان. صحابي، من الولاة الشجعان ذوي الرأي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهري به، هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق وبيعة الرضوان. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٣/١١٣٥.

(٥) - هي سمية أم عمار بن ياسر وهي سمية بنت خياط كانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وكان ياسر حليفاً لأبي حذيفة، فزوجه سمية، فولدت له عماراً، فأعتقها أبو حذيفة. وكانت من السابقين إلى الإسلام، وكانت ممن يعذب في الله عزَّ وجلَّ أشد العذاب. أسد الغابة لابن الأثير ٧/١٥٢.

(٦) - أسد الغابة لابن الأثير ٢/١٤٧.

المطلب الثاني: أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

جعل الله هذه الأمة خير الأمم و قال في شأنها ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١) فخاطب الله تعالى في هذه الآية أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- وجعلها أفضل أمة خلقها الله تعالى لنفع الناس ، ويصدق هذا الوصف على الذين خوطبوا به أولاً، وهم النبي الكريم وأصحابه الذين آمنوا بالله حقاً، واعتصموا بحبل الله المتين، ونهوا عن المنكر وأمروا بالمعروف. وقد دام الحال كذلك على كل من جاء بعدهم وطبق تعاليم الإسلام^(٢).

وسأذكر في هذا المطلب كيف ذكر الله تعالى هذه الأوصاف للصحابة في كتابه المبين، وكيف كان الصحابة يشاركون النبي -صلى الله عليه وسلم- في أمور الدعوة كما ذكر في كتب التفسير والحديث والسير. قال تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣) ذكر المفسرون في تفسير هذه الآية أقوالاً مختلفة ؛ فقال بعضهم إن المراد بقوله تعالى "كنتم خير أمة أخرجت للناس" جميع هذه الأمة وقال بعضهم إن المراد به الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فقط. وقال بعضهم المراد بهذه الآية بعض الصحابة. ذكر ابن جرير هذه الأقوال كلها وذكر أدلتها بسنده ، ولكن اختار القول الأول وهو أن المراد به هذه الأمة أي أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-^(٤).

قال ابن عاشور: وإضافة خير إلى أمة من إضافة الصفة إلى الموصوف: أي كنتم أمة خير أمة أخرجت للناس، فالمراد بالأمة الجماعة، وأهل العصر النبوي، مثل القرن، وهو

(١) - سورة آل عمران: آية ١١٠.

(٢) - انظر: تيسير التفسير لإبراهيم القطان (المتوفى: ١٤٠٤هـ) ٢١٢/١.

(٣) - سورة آل عمران: آية ١١٠.

(٤) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ١٠٠/٧-١٠٤.

إطلاق مشهور ومنه قوله تعالى: "وَأَذْكُرْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ إِذْ أَنْقَذَكَ مِنَ الْغَرَقِ" أي بعد مدة طويلة كمدة عصر كامل. ولا شك أن الصحابة كانوا أفضل القرون التي ظهرت في العالم، لأن رسولهم أفضل الرسل، ولأن الهدي الذي كانوا عليه لا يماثله هدي أصحاب الرسل الذين مضوا^(٢).

وقال القرطبي: إذا ثبت بنص التنزيل أن هذه الأمة خير الأمم، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم^(٣). وهذا يدل على أن أول هذه الأمة أفضل ممن بعدهم، وإلى هذا ذهب معظم العلماء، وإن من صحب النبي صلى الله عليه وسلم ورآه ولو مرة في عمره أفضل ممن يأتي بعده، وإن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل^(٤).

وقال ابن عبد البر^(٥) "هم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله عليه السلام، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه"^(٦).

(١) - سورة يوسف: آية ٤٥.

(٢) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٤/٤٨.

(٣) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ٣/٥، حديث رقم: ٣٦٥١.

(٤) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/١٧١.

(٥) - هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاث. يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة سنة ٣٦٨ هـ وتوفي سنة ٤٦٣ هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٨/٢٤٠.

(٦) - الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) الناشر: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م مقدمة ٢/١.

فى ضوء هذا البحث ثبت أن الخطاب فى الآية للصحابه إما مباشرة أو بأنهم فى هذه الأمة بل كانوا أفضل الأمة لأنهم كانوا فى زمن النبى - صلى الله عليه وسلم - وقال عليه الصلاة والسلام. خير أمتى قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم،....الرواية^(١).
ويعد بيان المراد بقوله تعالى "كنتم خير أمة أخرجت للناس" أذكر أقوال المفسرين فى تفسير هذه الآية.

قال ابن جرير: "تأمرون بالمعروف" يعنى تأمرون بالإيمان بالله ورسوله، والعمل بشرائعه "وتتنهون عن المنكر"، يعنى وتنهون عن الشرك بالله، وتكذيب رسوله، وعن العمل بما نهى عنه. وتؤمنون بالله"، يعنى: تصدقون بالله، فتخلصون له التوحيد والعبادة^(٢).

وفى المراد بالمعروف والمنكر قال: أصل "المعروف" كل ما كان معروفًا فعله، جميلًا مستحسنًا، غير مستقبح فى أهل الإيمان بالله، وإنما سميت طاعة الله "معروفًا"، لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستكفرون فعله. وأصل "المنكر"، ما أنكره الله، ورأوه قبيحًا فعله، ولذلك سميت معصية الله "منكرًا"، لأن أهل الإيمان بالله يستكفرون فعلها، ويستعظمون زكوبها^(٣).

وقال القشيري^(٤): المعروف إثارة حق الحق، والمنكر اختيار حظ النفس، المعروف ما

(١) - أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، باب فضائل

أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، ٢/٥ ، حديث رقم: ٣٦٥١.

(٢) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ١٠٥/٧.

(٣) - المرجع السابق.

(٤) - هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد الإمام أبو القاسم القشيري النيسابوري الزاهد الصوفي شيخ خراسان (المتوفى: ٤٦٥هـ). انظر: طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأذنه وي من علماء القرن الحادي عشر ١٢٥/١ ن: مكتبة العلوم والحكم - السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م وطبقات المفسرين للداوودى ٢٤٥/١.

يزلفك إليه، والمنكر ما يحجبك عنه. وشرط الأمر بالمعروف أن يكون متصفا بالمعروف،
وحق النّاهي عن المنكر أن يكون منصرفا عن المنكر^(١).

وأثنى الله تعالى على الصحابة وذكر أوصافهم المحمودة في قوله تعالى:
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ*التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ
الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات قول محمد بن كعب القرظي^(٣): لما بايعت
الأنصار رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن
رواحه^(٤) لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اشترط لربك ولنفسك ما شئت! قال: اشترط
لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم

(١) - لطائف الإشارات ، تفسير القشيري لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ٢٧٠/١ ن :
الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر الطبعة: الثالثة.

(٢) - سورة التوبة: آية ١١١-١١٢.

(٣) - هو محمد بن كعب القرظي تابعي مشهور ، حليف الأنصار ، وقال بعض العلماء ، أن محمد بن
كعب القرظي ولد في حياة النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم ، ولكن في الحقيقة أنه ولد محمد بن كعب
في آخر خلافة عليّ سنة أربعين ، وكانت وفاته سنة ثمان ومائة ، وقيل بعد ذلك حتى قيل إنه مات
سنة عشرين. الإصابة لابن حجر ٢٧٣/٦.

(٤) - هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر الأنصاري
الخرجي ، ثم من بني الحارث ، يكنى أبا محمد ، وقيل: أبو رواحة. وكان ممن شهد العقبة ، وشهد بدرًا ،
وأحدا ، والمشاهد كلها مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم إلا الفتح وما بعده ، فإنه كان قد قتل قبله ،
أسد الغابة لابن الأثير ١٣٤/٣.

وأموالكم. قالوا: فإذا فعلنا ذلك، فماذا لنا؟ قال: الجنة! قالوا: ربح البيع، لا نَقِيل ولا نستَقِيل!

فنزلت: هذه الآية أى "إن الله اشترى من المؤمنين الآية (١).

فأثنى الله فى هذه الآية على المؤمنين عامةً وعلى الصحابة خاصةً بأنَّ الله اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة ، وقال: "وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل" ما جاء فى التوراة والإنجيل من وصف أصحاب الرسول الذى يختم الرسالة. وهو ما أشار إليه قوله

تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ.....﴾ الآية (٢)

ثم بعد ذلك ذكر الله تعالى بعض أوصاف الصحابة منها "الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر".

قال ابن جرير فى توضيح هذا الوصف: إنهم يأمرون الناس بالحق فى أديانهم، واتباع الرشد والهدى، والعمل وينهونهم عن المنكر، وذلك نهىهم الناس عن كل فعل وقول نهى الله عباده عنه (٣).

وقال القشيري: ﴿الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤) هم الذين يدعون الخلق إلى الله، ويحذرونهم عن غير الله. يتواصون بالإقبال على الله وترك الاشتغال بغير الله. يأمرون أنفسهم بالتزام الطاعات بحملهم إياها على سنن الاستقامة، وينهون أنفسهم عن اتباع المنى والشهوات بترك التعرّيج فى أوطان الغفلة، وما تعودوه من المساكنة والاستئناس (٥). وذكر الله تعالى فى الآية الأخرى أن من آيات المؤمن أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وهى قوله تعالى:

(١) - جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ٤٩٩/١٤ ، وتفسير الخازن ٤٠٩/٢.

(٢) - سورة الفتح: آية ٢٩.

(٣) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ٥٠٦/١٤.

(٤) - سورة التوبة: آية ١١٢.

(٥) - لطائف الإشارات تفسير القشيري لعبد الكريم القشيري ٦٨/٢.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ* وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَرْضَوْنَ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ*﴾^(١)

قال الرازي: لما بالغ الله تعالى في وصف المنافقين بالأعمال الفاسدة والأفعال الخبيثة، ثم ذكر عقبيه أنواع الوعيد في حقهم في الدنيا والآخرة، ذكر بعده في هذه الآية كون المؤمنين موصوفين بصفات الخير وأعمال البر، على ضد صفات المنافقين، ثم ذكر بعده في هذه الآية أنواع ما أعد الله لهم من الثواب الدائم والنعيم المقيم، فأما صفات المؤمنين فهي قوله: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.

ثم إنه تعالى لما وصف المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض، ذكر بعده ما يجري مجرى التفسير والشرح له فقال: يأمرُونَ بالمعروف وينهون عن المنكر وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله فذكر هذه الأمور الخمسة التي بها يتميز المؤمن من المنافق، فالمنافق على ما وصفه الله تعالى في الآية المتقدمة يأمر بالمنكر، وينهى عن المعروف، والمؤمن بالضد منه^(٢).

وذكر ابن جرير عن أبي العالية^(٣) أنه قال كل ما ذكر الله في القرآن من الأمر بالمعروف فهو دعاء من الشرك إلى الإسلام وكل ما ذكر من النهي عن المنكر فهو النهي عن عبادة الأوثان والشياطين^(٤).

(١) - سورة التوبة: آية ٧١-٧٢.

(٢) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٠٠/١٦-١٠١.

(٣) - هو رفيع بن مهران بالتصغير، أبو العالية الرياحي - بالتحانية مشهور في التابعين. له إدراك. يقال: إنه دخل على أبي بكر وصلى خلف عمر. هو من كبار التابعين. وقد روى عنه خالد الحذاء، ومحمد وحفصة ابنا سيرين، وقتادة، وآخرون، وغيرهم. انظر: الإصابة لابن حجر ٤٢٧/٢-٤٢٨.

(٤) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣٤٨/١٤.

ومن الأحاديث التي تدل على أن الصحابة كانوا يأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر ويشاركون مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في أمور الدعوة ما ذكر ابن كثير: أن أبا بكر - رضي الله عنه - لما أسلم وأظهر إسلامه فبدأ يدعو إلى الله عز وجل، وكان رجلاً مألفاً لقومه محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر. وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف، والناس من قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته. فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه فأسلم على يديه كثير من الأفراد منهم: الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف^(١) رضي الله عنهم، عند ما جاؤا إليه، فجاء أبوبكر بهم إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا، وكان هؤلاء نفر الثمانية الذين سبقوا الناس في الإسلام صدقوا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآمنوا بما جاء من عند الله.^(٢) وقال الطبراني^(٣) في المعجم الكبير: بعث النبي - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أبا أمامة^(٤) إلى قومه أن يدعوهم إلى

(١) - هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري، يكنى أبا محمد. ولد بعد الفيل بعشر سنين، وأسلم قبل أن يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وكان أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، توفي بالمدينة ودفن بالبقيع. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٣/٣٨١.

(٢) - انظر: البداية والنهاية ٣/٣٩.

(٣) - هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني؛ كان حافظ عصره، له المصنفات الممتعة النافعة الغربية منها المعاجم الثلاثة: "الكبير" و"الأوسط" و"الصغير" وهي أشهر كتبه، مولده سنة ٢٦٠ بطبرية الشام، وتوفي بأصبهان سنة ٣٦٠ وعمره تقديراً مائة سنة. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) ٢/٤٠٨ ن: دار صادر - بيروت الطبعة: ١٩٠٠-١٩٩٤.

(٤) - هو صدي بن عجلان بن وهب، أبو أمامة، الباهلي. غلبت عليه كنيته. صحابي. كان مع علي في "صفين". وهو آخر من مات من الصحابة بالشام. الإصابة لابن حجر ٢/١٨٢.

الإسلام، فقال أبو أمامة عندما ذهبت إلى قومي، فسقوا إبلهم واحتلبوها وشربوا، فلما راوني قالوا: مرحبا بالصدي بن عجلان، قالوا: بلغنا أنك صبوت إلى هذا الرجل، قلت: «لا ولكن أمنت بالله وبرسوله، وبعثني رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليكم أعرض عليكم الإسلام وشرائعه»، فبينما نحن كذلك فجاءوا بقصعة دم، فوضعوها واجتمعوا عليها يأكلونها، قالوا: هلم يا صدي، قلت: ويحكم، إنما أتيتكم من عند من يحرم هذا عليكم بما أنزله الله عليه، قالوا: وما قال؟ قلت: نزلت هذه الآية (حَرَمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ...إلى قوله وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ) (١). فجعلت أدعوهم إلى الإسلام ويأبون، فقلت لهم: «ويحكم انتوني بشيء من ماء، فإني شديد العطش». قال: وعلي عمامتي، قالوا: لا، ولكن ندعك نموت عطشا، قال: «فاعتممت وضربت رأسي في العمامة، ونمت في الرمضاء في حر شديد، فأتاني آت في منامي بقدر زجاج لم ير الناس أحسن منه، وفيه شراب لم ير الناس أ لذ منه، فأمكنني منها فشربتها، فحيث فرغت من شرابي استيقظت، ولا والله ما عطشت، ولا عرفت عطشا بعد تيك الشربة» (٢).

فهذه القصة تبين أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يبعث أصحابه إلى الأقوام ليدعوهم إلى الإسلام ويأمرهم بالمعروف وينههم عن المنكر. وقصص دعوة الصحابة إلى الإسلام كثيرة جداً منها. دعوة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لغلame ودعوة مصعب بن عمير رضي الله عنه لأسيد بن خضير (٣) وقبول إسلامه و دعوة مصعب لسعد بن معاذ (٤)

(١) - سورة المائدة: آية ٣.

(٢) - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٧٩/٨ ، حديث رقم ٨٠٧٤ (بتصرف)، ن: مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة: الثانية.

(٣) - هو أسيد بن خضير بن سماك بن عتيك، أبو يحيى، الأوسي، صحابي. كان شريفاً في الجاهلية والإسلام، من أهل المدينة ، وذوي الرأي فيهم. شهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الإثنتي عشر، وشهد أحداً ، والمشاهد كلها. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ١ / ١١٣.

(٤) - هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، أبو عمر، الأوسي، الأنصاري. صحابي من الأبطال رضي الله عنه. من أهل المدينة، كانت له سيادة الأوس، وحمل لواءهم يوم بدر. وشهد

وإسلامه ودعوة سعد بن معاذ لبني عبد الأشهل وخبر إسلامهم و دعوة طليب بن عمير^(١) رضي الله عنه دعوة طليب لأمه أروى بنت عبد المطلب^(٢) و إسلام عمير^(٣) ودعوته لأهل مكة وإسلام أناس كثير على يد عمر و غير ها من القصص الأخرى. فهذه القصص كلها تدل على أن الصحابة كانوا يدعون الناس إلى الإسلام ويشاركون النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله عليه السلام، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه.^(٤)

أحذا، فكان ممن ثبت فيها. ورُمي بسهم يوم الخندق، فمات من أثر جرحه، الإصابة لابن حجر ٣٨/٢. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٢٢١/٢.

(١) - هو طليب بن عمير، وقيل: ابن عمرو بن وهب بن عبد بن قصي بن كلاب ابن مرة، القرشي العبدى. أمه أروى بنت عبد المطلب، عمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان من السابقين إلى الإسلام و المهاجرين الأولين، وشهد بدرًا، وقتل بأجنادين شهيدًا، وقيل: استشهد باليرموك. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٤٧٦/٢.

(٢) - هي أروى بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها أبو جعفر في الصحابة. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٨/٦.

(٣) - تقدمت ترجمته.

(٤) - الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٢/١.

المبحث الرابع

ملازمتهم للنبي صلى الله عليه وسلم - وعدم انصرافهم عنه

المبحث الرابع: ملازمتهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - وعدم انصرافهم عنه.

ذكر الله تعالى في كتابه المبين إذا أراد الرسول - صلى الله عليه وسلم - الخروج فلا يجوز للصحابة -رضوان الله تعالى عليهم - أن يتخلفوا عنه وليس لهم أن يؤثروا أنفسهم على نفس النبي -صلى الله عليه وسلم - سواء كان هذا الخروج في الحر أو البرد ، في الشدة أو الرخاء ، في اليسر أو العسر. في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ... ﴾ الآية (١). فالصحابة - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - عملوا حسب ما قال الله لهم ، ولازموا النبي -صلى الله عليه وسلم- في كل عسر ويسر ، في السفر وفي الحضر ، في الشدة و في الرخاء ، في أمور الدعوة و في الجهاد ، ولم يفارقوه في الأمور كلها ، لذا أثنى الله تعالى عليهم بأنهم لو كانوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في أمر من الأمور فلم يذهبوا عنه بغير إذنه ، وأيضا أشركهم في بعض أوصاف النبي - صلى الله عليه وسلم - في بعض الآيات القرآنية قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا... ﴾ الآية (٢).

وعند ما لازموا النبي - صلى الله عليه وسلم - في الدنيا فجزاهم الله تعالى في الآخرة أحسن الجزاء بصحبته -صل الله عليه وسلم - ، وقال في كتابه:

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ...﴾ الآية (٣) وسأذكر في هذا المبحث الآيات التي تدل على ملازمتهم للنبي -صلى الله عليه وسلم - وعدم انصرافهم عنه ، وأوصاف الصحابة التي شاركوا فيها النبي صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى:

(١) - سورة التوبة: آية ١٢٠.

(٢) - سورة الفتح: آية ٢٩.

(٣) - سورة التحريم: آية ٨.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِيَتَغُصَّ شَأْنُهُمْ قَاذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)

ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في حفر الخندق حين جاءت قريش ، فضرب النبي صلى الله عليه وسلم الخندق على المدينة، فكان المنافقون يتسللون لوإذا من العمل ويعتذرون بأعذار كاذبة. فأنزل الله تعالى هذه الآيات^(٢). وجعل هذا الوصف (أى الملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم وعدم الانصراف عنه بغير إذنه) علامة مميزة للمؤمنين عن المنافقين يومئذ إذ لم يكن في المؤمنين يومئذ من ينصرف عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم - بدون إذنه، فبين الله تعالى علامة المؤمنين وميزها عن علامة المنافقين^(٣). قال ابن جرير: إن المؤمنين المخلصين الذين إذا كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم - على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت، أو صلاة اجتمع لها، أو تشاور في أمر نزل، لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الأمر، حتى يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤). وقال الألويسي^(٥): وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ إلخ معطوف على آمَنُوا داخل معه في حيز الصلة وبذلك يصح الحمل، والحصص باعتبار الكمال أي إنما الكاملون في الإيمان الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عن صميم قلوبهم وأطاعوا في جميع الأحكام التي من جملتها ما فصل من قبل من الأحكام المتعلقة بعامة أحوالهم المطردة

(١) - سورة النور: آية ٦٢.

(٢) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٢١/١٢.

(٣) - انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠٦/١٨.

(٤) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٢٨/١٩.

(٥) - هو محمود بن عبد الله، شهاب الدين، أبو الثناء الحسيني الألويسي ولد سنة ١٢١٧ هـ، مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، مشارك في بعض العلوم. من أهل بغداد، كان سلفي الاعتقاد مجتهدا، توفي سنة ١٢٧٠ هـ من تصانيفه: "روح المعاني" في تفسير القرآن. انظر: الأعلام للزركلي ١٧٦ / ٧.

في الوقوع وأحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما إذا كانوا معه عليه الصلاة والسلام على أمر مهم يجب اجتماعهم في شأنه كالجمعة والأعياد والحروب وغيرها من الأمور الداعية إلى الاجتماع لغرض من الأغراض.

ولا يخفى أن الأولى العموم وإن كانت الآية نازلة في حفر الخندق ولعل ما ذكر من باب التمثيل، ووصف الأمر بالجمع مع أنه سبب له للمبالغة^(١).

وقال البيضاوي: "لم يذهبوا حتى يستأذنوه" يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأذن لهم، واعتباره في كمال الإيمان لأنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فإن ديدنه التسلل والفرار، ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذنه ولذلك أعاده مؤكداً على أسلوب أبلغ فقال: إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإنه يفيد أن المستأذن مؤمن لا محالة وأن الذهاب بغير إذن ليس كذلك^(٢).

وقد أثنى الله تعالى على الصحابة بأنهم جاهدوا بأموالهم وأنفسهم مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبشرهم بالخيرات والفلاح والجَنَاتِ في قوله تعالى:

﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم*^(٣) وصف الله تعالى في هذه الآية أحوال الصحابة بوصف حال الرسول لأن تعلقهم به واتباعهم إياه هو أصل كمالهم وخيرهم، فقال: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ...﴾^(٤) الآية. قال ابن عاشور: إن كلمة "معه" في موضع الحال من "الذين" لتدل على أنهم أتباع له في كل حال وفي كل أمر، فإيمانهم معه لأنهم آمنوا به عند دعوته إياهم، وجهادهم بأموالهم

(١) - انظر: تفسير روح المعاني للألوسي ٤١٢/٩-٤١٣.

(٢) - انظر: تفسير البيضاوي ١١٥/٤.

(٣) - سورة التوبة: آية ٨٨-٨٩.

(٤) - سورة التوبة: آية ٨٨.

وأنفسهم معه، وفيه إشارة إلى أن الخيرات المبتوثة لهم في الدنيا والآخرة تابعة لخيراته ومقاماته. وقال: الإتيان باسم الإشارة لإفادة أن استحقاقهم الخيرات والفلاح كان لأجل جهادهم^(١).

وقال ابن جرير: فهم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم، فأنفقوا في جهادهم أموالهم واتبعوا في قتالهم أنفسهم وبذلوا فلهم الخيرات أى للرسول وللذين آمنوا معه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والخيرات هى منافع الدارين ، وجناتها، ونعيمها. وأولئك هم المفلحون، المخلدون في الجنات، الباقيون فيها، الفائزون بها.

وقال: أعد الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا معه البساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار لا يثين فيها، لا يموتون فيها، ولا يظعنون عنها فذلك النجاء العظيم، والحظ الجزيل.^(٢) والمراد من الفلاح التخلص من العقاب والعذاب أيضا.^(٣)

فكما وصف الله تعالى أحوال الصحابة بوصف حال النبي صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية ، ذكر الله تعالى فى الآية الأخرى ، أن الصحابة كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم - فى الشدة على الكفار والتراحم فيما بينهم وغيرهما من الأوصاف الجليلة ، فى قوله تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزِعٍ أُخْرِجَ شَطَآءُ قَازِرَةٍ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٤)

(١) - انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٩١/١٠.

(٢) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ٤١٤/١٤.

(٣) - التفسير الكبير للرازي ١١٩/١٦.

(٤) - سورة الفتح: آية ٢٩.

الآية تشتمل على خمسة أوصاف للصحابة قد فسرت بعضها في مقامات مختلفة من هذه الرسالة ، منها ؛ معية النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال ابن جرير: محمد رسول الله وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه^(١).
والصحابة يشاركون في الأوصاف التي ذكرها الله تعالى بعدها في هذه الآية كما قال الإمام الرازي. والذين معه جميعهم أشداء على الكفار رحماء بينهم لأن وصف الشدة والرحمة وجد في جميعهم، أما في المؤمنين فكما في قوله تعالى: "أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ"^(٢) وأما في حق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكما في قوله "وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ"^(٣) وقال في حقه "بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ"^(٤) وعلى هذا قوله تراهم لا يكون خطابا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل يكون عاما أخرج مخرج الخطاب تقديره أيها السامع كائنا من كان.^(٥)

وقال ابن عاشور: المقصود الثناء على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومعنى معه: المصاحبة الكاملة بالطاعة والتأييد كقوله تعالى: وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ^(٦).
وبعد توضيح الآيات التي تدل على أن الصحابة كانوا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الدنيا أذكر الآية التي ذكر فيها الإنعام من الله تعالى عليهم أن الصحابة سيكونون مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في الآخرة وسيستحقون صحبته ، فقال الله تعالى:

(١) - انظر جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٦١/٢٢.

(٢) - سورة المائدة: آية ٥٤.

(٣) - سورة التوبة: آية ٧٣.

(٤) - سورة التوبة: آية ١٢٨.

(٥) - التفسير الكبير للرازي ٨٩/٢٨.

(٦) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٠٣/٢٦.

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)

ذكر الله تعالى في هذه الآية أنه لا يخزي النبي - صلى الله عليه وسلم - والذين معه، والمراد
بالنبي - سيد الأنبياء محمد - صلى الله تعالى عليه وسلم -، والمراد بنفي الإخزاء إثبات
أنواع الكرامة والعز. (وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) عطف عليه - صلى الله عليه وسلم -، وفيه
تعريض بمن أخزاهم الله تعالى من أهل الكفر والفسوق، واستحمام على المؤمنين على أن
عصمهم من مثل حالهم، والمراد بالإيمان هنا فردة الكامل. (٢)

وقال ابن عاشور: وهذا البناء على النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة، بانتقاء
خزي الله عنهم، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم مع الذين آمنوا لتشريف المؤمنين.
وسبب انتقاء الخزي عنهم هو إيمانهم. ومعية المؤمنين مع النبي صلى الله عليه وسلم
صحبته النبي صلى الله عليه وسلم. وفي هذه الآية دليل على المغفرة لجميع أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم. (٣)

فثبت أن الصحابة لم يفارقوا النبي - صلى الله عليه وسلم - في الدنيا فلم يفرقهم الله
تعالى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الآخرة، وهذا يدل على شرفهم وفضلهم.

(١) - سورة التحريم: آية ٨.

(٢) - انظر: تفسير روح المعاني للأكوسي ٣٥٦/١٤.

(٣) - انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٩١/١٠.

ومن الأحاديث التي تتعلق بملازمتهم للنبي صلى الله عليه وسلم - ما أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ، قال ابن مسعود^(١)، شهدت من المقداد بن الأسود^(٢) مشهداً ، لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به ، أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين ، فقال : لا نقول كما قال قوم موسى : اذهب أنت وربك فقاتلا ، ولكننا نقاتل عن يمينك ، وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك «فرايت النبي صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره»^(٣)

وما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه . عن أنس^(٤) ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان^(٥) وذلك فى غزوة بدر ، قال : فتكلم أبو بكر ، فأعرض

(١) - هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن من أهل مكة . من أكابر الصحابة فضلاً وعقلاً ، أسلم قديماً ، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين . شهد بدرًا وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . بعثه عمر إلى أهل الكوفة ليعلمهم أمور دينهم . انظر : الإصابة لابن حجر ٢ / ٣٦٨ .

(٢) - هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة ، أبو الأسود ويقال غير ذلك ، المعروف بالمقداد بن الأسود الكندي . صحابي ، أسلم قديماً ، هاجر الهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد بعدها ، هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام . انظر : الإصابة لابن حجر ٣ / ٤٥٤ .

(٣) - أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازي ، باب قول الله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ٧٢/٥﴾ ، حديث رقم : ٣٩٥٢ .

(٤) - هو أنس بن مالك بن النضر ، النجاري الخزرجي الأنصاري ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه ، خدمه إلى أن قبض . ثم رحل إلى دمشق ، ومنها إلى البصرة ، فمات بها آخر من مات بها من الصحابة . له فى الصحيحين ٢٢٨٦ حديثاً . انظر : الإصابة لابن حجر ١ / ٢٧٦ .

(٥) - هو أبو سفيان ؛ صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي وهو والد يزيد ومعاوية وغيرهما . ولد قبل الفيل بعشر سنين ، وكان من أشرف قريش ، وأسلم ليلة الفتح وشهد الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففقت عنه يومئذ ، وفقت الأخرى يوم اليرموك . وتوفي فى خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين ، وصلى عليه عثمان . انظر : أسد الغابة لابن الأثير ٦ / ١٤٤ .

عنه، ثم تكلم عمر، فأعرض عنه، فقام سعد بن عباد^(١)، فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، قال: فندب رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس، فانطلقوا حتى نزلوا بدرا.^(٢)

وذكر ابن هشام المكالمة بين رسول الله - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وعُروَةَ بْنِ مَسْعُودٍ النَّقَّيِّ في موقعة الحديبية في كتابه السيرة النبوية، وأيضا نقل البخاري بسنده في صحيحه، عند ما قال عروة بن مسعود النقفي:

"يا محمد، أجمعت أو شاب^(٣) الناس، ثم جئت بهم إلى بيضتك^(٤) لتقضها^(٥) بهم، إنها قریش قد خرجت معها العوذ المطافيل. قد لبسوا جلود النمر، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا. وايم الله، لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا. قال: وأبو بكر الصديق خلف رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعد، فقال: امصص بظر اللات، أنحن ننكشف عنه؟ قال: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أبي قحافة^(٦)، قال: أما والله لولا يد كانت لك

(١) - هو سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة، أبو ثابت، الخزرجي الأنصاري صحابي، من أهل المدينة، كان سيد الخزرج وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد أحدا والخندق وغيرهما. انظر: الإصابة لابن حجر ٢ / ٣٠.

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب غزوة بدر ٣/١٤٠٣، حديث رقم: ١٧٧٩.

(٣) - أوشاب أى الأخلاط، كما فى تاج العروس: الشوب: الخلط، شاب الشيء شوبا: خلطه ٣/١٦٠.

(٤) - بيضة الرجل: أهله وقبيلته.

(٥) - تقضها: تكسرهما.

(٦) - هو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي أبو قحافة القرشي التيمي والد أبي بكر الصديق، أسلم يوم فتح مكة، وأتى به أبو بكر النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليبياعه. وتوفي في المحرم سنة أربع عشرة، وله سبعة وتسعون سنة. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٣/٥٧٥.

عندي لكافأئك بها، ولكن هذه بها، قال: ثم جعل يتناول لحية رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يكلمه^(١).

هذه الروايات والروايات الأخرى كلها تدل على أن الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم أجمعين- كانوا مع النبي-صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يفارقوه ولم يتركوه، بل ذهبوا معه إلى كل مكان إلا أن يمنعهم النبي-صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

(١) - السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (المتوفى: ٢١٣هـ)، ٣١٣/٢، ن: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م ، والحديث أخرجه البخاري (قريب منه) في صحيحه ، كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، ١٩٣/٣ ، حديث رقم: ٢٧٣١.

الفصل الثاني

الأوصاف الخاصة لبعض الصحابة كما تحدث عنها القرآن الكريم

المبحث الأول: أوصاف الصحابة الذين حضروا الغزوات.

المبحث الثاني: أوصاف المهاجرين والأنصار.

المبحث الثالث: أوصاف من أسلم من أهل الكتاب.

المبحث الرابع: أوصاف الصحابة الذين تحدث عنهم القرآن منفردين.

المبحث الخامس: أوصاف أهل بيت رسول الله.

الفصل الثانى: الأوصاف الخاصة لبعض الصحابة كما تحدث عنها القرآن الكريم.

ذكر الله سبحانه وتعالى أوصاف الصحابة فى كتابه المبين أكثر من مرة، فذكر أحياناً أوصافهم جماعات وأحياناً أفراداً. وبذلك ذكرت أوصاف الصحابة فى الفصلين من هذه الرسالة، ذكرت فى الفصل الأول أوصافهم كما تحدث عنها القرآن الكريم عامة، وفى الفصل الثانى أوصافهم كما تحدث عنها القرآن الكريم خاصة.

أما الفصل الثانى فسأذكر فيه ما ورد من الأوصاف الخاصة لبعض أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل أوصاف الصحابة الذين حضروا الغزوات، وأوصاف مسلمة أهل الكتاب، وأوصاف أهل بيت رسول الله وما نزل من القرآن فى بعض الصحابة.

المبحث الأول

أوصاف الصحابة الذين حضروا الغزوات.

المطلب الأول: أوصاف الصحابة الذين حضروا بدرًا.

المطلب الثاني: أوصاف الصحابة الذين حضروا أحدًا وحمراء الأسد.

المطلب الثالث: أوصاف الصحابة الذين حضروا الخندق.

المطلب الرابع: أوصاف الصحابة الذين حضروا صلح الحديبية وفتح مكة.

المبحث الأول: أوصاف الصحابة الذين حضروا الغزوات.

أثنى الله تعالى على الصحابة بأنهم جاهدوا بأموالهم وأنفسهم و شهدوا الغزوات مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وقاتلوا عن يمين النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن يساره ومن أمامه ومن خلفه. ولم يفرّوا من الجهاد، وقاتلوا حتى استشهد بعضهم و جرح بعضهم. وسأذكر في هذا المبحث أوصاف الصحابة الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم، فأنفقوا في جهادهم أموالهم وأتعبوا في قتالهم أنفسهم وبذلوا في الغزوات المختلفة.

المطلب الأول: أوصاف الصحابة الذين حضروا بدر.

لقد أثنى الله تعالى على الذين حضروا بدرًا في مواضع مختلفة في القرآن الكريم ، وذكر الأشياء التي أنعم بها الله عليهم مثل إنزال الملائكة لنصرتهم ، ووعدهم بالمغفرة ، والأجر العظيم، وسأذكر الآيات التي تشير إلى أوصافهم الجميلة التي تسببت في نصرتهم من الله تعالى. و قد بشر النبي - صلى الله عليه وسلم - الصحابة الذين حضروا غزوة بدر، أن الله غفر لهم وقال في شأنهم لعل الله اطلع إلى أهل بدر؟ فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو: فقد غفرت لكم ^(١). فما هي الأوصاف التي كانت في هذه الطائفة الكريمة؟ الوصف الأول: الإخلاص.

أثنى الله تعالى على الصحابة بإخلاصهم لأنهم كانوا يقاتلون في سبيله ، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ النَّفَقَاتِ فِئَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ * ١٣ ﴾ ^(٢)

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي ، باب فضل من شهد بدرًا ، ٧٧/٥ حديث رقم ٣٩٨٣.

(٢) - سورة آل عمران: آية ١٣.

يرى أكثر المفسرين أن هذه الآية تشير إلى غزوة بدر، والمراد بالفئتين في قوله تعالى: "قد كان لكم آية في فئتين"، محمد صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، ومشركي قريش يوم بدر. فأثنى الله تعالى على الفئة الأولى وهي فئة الصحابة بأنهم كانوا يقاتلون في سبيل الله يعنى هذه الجماعة تقاتل في طاعة الله وعلى دينه، لأنهم قاتلوا لنصرة دين الله^(١).

فأيدهم الله تعالى مع أنهم قليل عددهم وقريش أكثر منهم كما قال ابن جرير: وتأويل الكلام: قد كان لكم يا معشر اليهود، آية في فئتين التقتا، إحداهما تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة، يراهم المسلمون مثليهم رأي أعينهم، فأيدنا المسلمة وهم قليل عددهم، على الكافرة وهم كثير عددهم حتى ظفروا بهم معتبر ومتفكر، والله يقوى بنصره من يشاء^(٢).

ذكر الشوكاني في المراد بقوله تعالى "يرونهم مثليهم" أقوالاً مختلفة وقال: قوله: "يرونهم مثليهم" قال أبو علي الفارسي: الرؤية في هذه الآية رؤية العين، ولذلك تعدت إلى مفعول واحد، ويدل عليه قوله: رأي العين والمراد: أنه يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين، أو مثلي عدد المسلمين، وهذا على قراءة الجمهور: بالياء التحتية، وقرأ نافع: بالفوقية. وقوله: مثليهم منتصب على الحال.

وقد ذهب الجمهور إلى أن فاعل ترون هم: المؤمنون، والمفعول هم: الكفار. والضمير في مثليهم يحتمل أن يكون للمشركين، أي: ترون أيها المسلمون المشركين مثلي ما هم عليه من العدد، وفيه بعد أن يكثر الله المشركين في أعين المؤمنين. وقد أخبرنا: أنه قللهم في أعين المؤمنين، فيكون المعنى: ترون أيها المسلمون المشركين مثليكم في العدد وقد كانوا ثلاثة أمثالهم، فقلل الله المشركين في أعين المسلمين فأراهم إياهم مثلي عدتهم لتقوى أنفسهم. وقد كانوا أعلموا أن المائة منهم تغلب المائتين من الكفار، ويحتمل أن يكون الضمير في مثليهم للمسلمين، أي: ترون أيها المسلمون أنفسكم مثلي ما أنتم عليه من العدد لتقوى بذلك أنفسكم، وقد قال من ذهب إلى التفسير الأول: أعني: أن فاعل الرؤية

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٣٠/٦-٢٣١ و التفسير الكبير للرازي ١٥٧/٧.

(٢) - جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٤٢/٦.

المشركون، وأنهم رأوا المسلمين مثلي عددهم أنه لا يناقض هذا ما في سورة الأنفال من قوله تعالى: "وَيَقَالُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ^(١)" بل قللوا أولا في أعينهم ليلاقوهم ويجترنوا عليهم، فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا ^(٢).

الوصف الثاني: استجابة الدعاء وامدادهم بالملائكة.

قد ذكر الله تعالى أن الصحابة قد دعوا الله تعالى واستغاثوه أن يمدهم فاستجاب لهم، في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ ^(٣) رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ^(٤)﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِنُظْمِنَ بِهِ قُلُوبَكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * ^(٥)

ذكر المفسرون سبب نزول هذه الآية وهو: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، مادا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأناه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ) ^(٦) فأمده الله بالملائكة ^(٧).

(١) - سورة الأنفال: آية ٤٤.

(٢) - فتح القدير للشوكاني ٣٦٩/١ - ٣٧٠.

(٣) - تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم، راجع: تفسير الجلالين لجلال الدين محلي ٢٢٨/١.

(٤) - متتابعين يردف بعضهم بعضا، راجع: تفسير الجلالين لجلال الدين محلي ٢٢٨/١.

(٥) - سورة الأنفال: آية ٩ - ١٠.

(٦) - سورة الأنفال: آية ٩.

(٧) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير لابن جرير ٤٠٩/١٣ ، والجامع لأحكام القرآن

وقد استجاب الله تعالى دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق، رضي الله عنه، وهما يدعوان، أخذت رسول الله سنة من النوم، ثم استيقظ متبسما فقال: "أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثنأياه النقع" ثم خرج من باب العريش، وهو يتلو قوله تعالى: "سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ" (١). (٢)

وقد يرد الإشكال على الاختلاف بين ظاهر الآية و سبب نزولها وهو أن سبب النزول يدل على أن الدعاء من النبي - صلى الله عليه وسلم - ولفظ الآية عام؟ فهل هذه الاستغاثة كانت من النبي - صلى الله عليه وسلم -، أم من الصحابة؟.

الجواب عن هذا الإشكال ما قاله الإمام الرازي: فالأقرب أن النبي صلى الله عليه وسلم - دعا، وتضرع على ما روي، والقوم كانوا يؤمنون على دعائه تابعين له في الدعاء في أنفسهم فنقل دعاء رسول الله لأنه رفع بذلك الدعاء صوته، ولم ينقل دعاء القوم، فهذا هو طريق الجمع بين الروايات المختلفة في هذا الباب (٣).

وقال ابن عاشور: وعلى هذه الرواية (المذكورة في سبب النزول) يكون ضمير تستغيثون مراداً به النبي - صلى الله عليه وسلم - وعبر عنه بضمير الجماعة لأنه يدعو لأجلهم، ولأنه كان معلناً بدعائه وهم يسمعون، فهم بحال من يدعون (٤).

للقرطبي ٣٧٠/٧ ، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم ١٣٨٣/٣ حديث رقم: ١٧٦٣ .
(١) - سورة القمر: آية ٤٥ .

(٢) - تفسير ابن كثير ٢٣/٤ ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم ٤١/٤ حديث رقم: ٢٩١٥ .

(٣) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٤٥٩/١٥ .

(٤) - انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٧٤/٩ .

والآية الأخرى التى تدل على نفس الموضوع قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ * بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ *﴾^(١)

يرى أكثر المفسرين أن هذه الآية نزلت فى غزوة بدر لأن الملائكة نزلت فى يوم بدر لا فى يوم أحد. وذكر القرطبى فى تفسير هذه الآية ، الرواية التى أخرجها مسلم فى صحيحه وقد ذكرت فى سبب نزول الآية السابقة^(٢).

أما الإختلاف فى عدد الملائكة فى الآيتين من سورتين مختلفتين فقال ابن جرير: وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال للمؤمنين: أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم، ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف، خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا الله. ولا دلالة فى الآية على أنهم أمدوا بالثلاثة آلاف، ولا بالخمسة آلاف، ولا على أنهم لم يمدوا بهم^(٣).

وقال الرازى: إنه تعالى أمد أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بألف ثم زاد فيهم ألفين فصاروا ثلاثة آلاف، ثم زاد ألفين آخرين فصاروا خمسة آلاف، فكانه عليه الصلاة والسلام قال لهم: أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بألف من الملائكة فقالوا بلى، ثم قال: أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ فقالوا بلى، ثم قال لهم: إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا؛ يَمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ، وهو كما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «أيسركم أن تكونوا ربع أهل الجنة قالوا نعم قال أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة قالوا نعم قال فإني أرجو أن تكونوا

(١) - سورة آل عمران: آية ١٢٤-١٢٦.

(٢) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٩٣/٤.

(٣) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير لابن جرير ١٨٠/٧.

نصف أهل الجنة» (١).

وقال: إنه تقريب حسن، فאלله تعالى قد يزيد وقد ينقص في العدد بحسب ما يريد (٢).

وقال ابن عاشور: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾* (٣) أراد الله بذلك زيادة تثبيتهم ثم زادهم ألفين إن صبروا واتقوا. وبهذا الوجه فسر الجمهور، وهو الذي يقتضيه السياق (٤).

الوصف الثالث: نصر الله لهم .

وقد ذكر الله تعالى نصرته في الآية الأخرى وهي قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾* (٥)

"ولقد نصركم الله ببدر" على أعدائكم وأنتم يومئذ "أذلة" يعني: قليلون، في غير منعة من الناس، حتى أظهركم الله على عدوكم، مع كثرة عددهم وقلة عددكم. "فاتقوا الله"، يقول تعالى ذكره: فاتقوا ريك بطاعته واجتنب محارمه "علكم تشكرون"، يقول: لتشكروه على ما من به عليكم من النصر على أعدائكم وإظهار دينكم، ولما هداكم له من الحق الذي ضل عنه مخالفوكم (٦).

ذكر الزمخشري والألوسي: أن الله تعالى جعل تقواهم سببا لنصرته، لذلك قال لهم فاتقوا

(١) - انظر التفسير الكبير للرازي ٣٥٠/٨ ، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب قوله يقول الله لأدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ٢٠١/١ ، حديث رقم: ٢٢٢.

(٢) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٢٣١/٨.

(٣) - سورة آل عمران: آية ١٢٤.

(٤) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٧٣/٤.

(٥) - سورة آل عمران: آية ١٢٣.

(٦) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير لابن جرير ١٦٩/٧.

اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. يعنى فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته. وقدم الأمر بالتقوى إظهارا لكمال العناية. وذكر الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له فوعد لهم بالنعمة الأخرى التى ينعمها عليهم وهم يشكرونها^(١).

ثم إن الله تعالى لما ذكر أنه استجاب دعاءهم ووعدهم بالنصر فقال: وما النصر إلا من عند الله فذكر عقبيه وجوه النصر فى قوله تعالى:

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلِقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ *﴾^(٢)

ذكر المفسرون فى تفسير هذه الآية ، لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم - والصحابه فى بدر -، فهناك بينهم وبين الماء رملة دعصة^(٣) وأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان فى قلوبهم الوسوس المختلفة ، مثلا ؛ ترغمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون مجنبيين! فأنزل الله تعالى المطر عليهم ، فشرب الصحابة وتطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان، وأنشف الرمل حين أصابه المطر ومشى الناس عليه والدواب، حتى صارت الأقدام عليها ثابتة لا تسوخ فيها، توطئة من الله عز وجل لنبيه عليه السلام وأوليائه، أسباب التمكن من عدوهم والظفر بهم. ثم فى النهاية أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم والصحابة بالملائكة^(٤).

(١) - انظر: الكشف للزمخشري ٤١١/١ ، و روح المعانى للكلوسى ٢٥٩/٢.

(٢) - سورة الأنفال: آية ١١-١٢.

(٣) - (الدعص) قِطْعَةٌ مِنَ الرَّمْلِ مُسْتَدِيرَةٌ (ج) دَعَصَةٌ وَأَدْعَاصٌ ، المعجم الوسيط ٢٨٥/١ و تاج العروس ٥٨٠/١٤٧.

(٤) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ٤٢١/١٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٣/٤.

وأيضاً ذكر الله تعالى وجوه النصر في الآية الأخرى بعد أن استجاب دعاءهم ووعدهم بالنصر فقال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١)

أضاف الله قتل الكفار إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين، إذ كان جل ثأؤه هو مسبب قتلهم، وعن أمره كان قتال المؤمنين إياهم (٢).
قال الرازي: إن البلاء هنا بمعنى النعمة ، أي ينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصرة والغنيمة والأجر والثواب (٣).

وبعد ذكر الآيات التي تتعلق بغزوة بدر وتفسيرها أذكر أوصاف الصحابة الذين حضروا بدرًا في ضوء الآيات المذكورة ملخصاً.

سمى الله الصحابة بالمؤمنين وذكر إخلاصهم واستجاب دعاءهم ، ونصرهم بإنزال الملائكة وجعل نزول الملائكة بشرى لهم، وسبباً لتطمئن قلوبهم، ونصرهم بإنزال المطر و تغطيتهم بالنعاس وتقوية قلوبهم وتثبيت أقدامهم ، وإلقاء الرعب في قلوب الكفار ، وأذهب عنهم رجز الشيطان. والله أعلم.

ومن الأحاديث التي تدل على فضائل الصحابة الذين حضروا بدرًا ما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- " لعل الله اطلع إلى أهل بدر؟ فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو: فقد غفرت لكم " (٤)

وعن أنس رضي الله عنه قال ، أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة

(١) - سورة الأنفال: آية ١٧.

(٢) - جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٤٤١/١٣.

(٣) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٤٦٧/١٥.

(٤) - سبق تخريجه ص ٩٢.

أصبر وأحتسب، وإن تك الأخرى ترى ما أصنع، فقال: «ويحك، أوهبلت، أوجنة واحدة هي، إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس»^(١)

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا، ٧٧/٥، حديث رقم:

المطلب الثاني: أوصاف الصحابة الذين حضروا أحداً وحمراء لأسد.

ذكر الله تعالى قصة غزوة أحد بالتفصيل في القرآن الكريم و علم الصحابة بعض الأشياء ونبههم على بعض الأخطاء التي وقع الصحابة فيها، ساذكرها في الفصل الثالث من هذه الرسالة بالتفصيل. ولكن في نفس الوقت أثنى الله تعالى على الصحابة الذين لم يفارقوا النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الوقت العصيب، وأيضاً عفا عن الذين وقعوا في بعض الأخطاء.

أولاً: أوصاف الصحابة الذين حضروا أحداً.

صدقهم وإيفاء عهدهم:

ذكر الله تعالى أوصاف الصحابة الذين شهدوا أحداً وأثنى عليهم في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١)

هذه الآية نزلت في فضل أنس بن النضر^(٢) كما رواه البخاري في صحيحه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، و فيها ثناء ومودح لهم بأنهم من المؤمنين الصادقين في الوفاء بعهدهم، وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه، قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: «يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لأن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع»، فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: «اللهم إني أعترد إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، - يعني المشركين - ثم تقدم»، فاستقبله سعد بن معاذ^(٣)، فقال: «يا سعد بن معاذ، الجنة ورب

(١) - سورة الأحزاب: آية ٢٣-٢٤.

(٢) - هو أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصاري، عم أنس بن مالك الأنصاري قتل يوم أحد شهيداً. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١/١٠٨، والإصابة لابن حجر ١/٢٨١.

(٣) - تقدمت ترجمته.

النضر إني أجد ريحها من دون أحد»، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح، أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته بينانه قال أنس: "كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه".^(١) وذكر الله تعالى وفائهم بعهدهم الذي عاهدوا الله أنهم لا يفارقون نبيه إلا بالموت فمنهم من قضى نحبه يعنى قاتل حتى قتل فوفى بنذره والنحب النذر، ومنهم من هو بعد في القتال ينتظر الشهادة وفاء بالعهد ولم يبدلوا أقوالهم بخلاف المنافقين فإنهم قالوا لا نولي الأديار فبدلوا قولهم وولوا أديارهم. وأيضا ذكر الله تعالى أنه يثيب أهل الصدق بصدقهم بما عاهدوه عليه، ووفائهم له به لأن جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد.^(٢)

ومن الأحاديث التي تدل على أوصاف الذين حضرو أهدأ ما؛ قال جابر رضي الله عنه: "نزلت هذه الآية فينا: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣) بني سلمة، وبني حارثة، وما أحب أنها لم تنزل، والله يقول: "والله وليهما"^(٤) و عن علي رضي الله عنه، قال: ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك، فإني سمعته يقول يوم أحد: «يا سعد ارم فداك أبي وأمي»^(٥)

(١) - أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه... الآية ، ٤/١٩ ، حديث رقم: ٢٨٠٥.

(٢) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ٢٠/٢٣٧-٢٤١، والتفسير الكبير للرازي ٢٥/١٦٣-١٦٤.

(٣) - سورة آل عمران: آية ١٢٢.

(٤) - أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب تفسير القرآن باب إذ همت طائفتان...، ٩٦/٥ ، حديث رقم: ٤٠٥١.

(٥) - المرجع السابق حديث رقم: ٤٠٥٩.

وعن أبي طلحة رضي الله عنهما، قال: «كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وأخذه ويسقط فأخذه»^(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له، ثم قرأ هذه الآية: " مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا " ^(٢) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فاتوهم وزوروهم، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه»^(٣)

ثانيا: أوصاف الصحابة الذين حضروا حمراء الأسد.

عند ما انصرف الصحابة عن أحد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- نخرج في طلب العدو مرة أخرى فالصحابة خرجوا معه وأحسنوا في طاعة الرسول في ذلك الوقت. فأثنى الله تعالى عليهم بهذا العمل في القرآن الكريم وعلماء السير سمو هذه الغزوة "بحمراء الأسد". فأذكر هنا الآيات والأحاديث التي نزلت في أوصاف الصحابة الذين حضروا حمراء الأسد.

الوصف الأول: استجابتهم لله وللرسول بعد ما أصابهم القرح.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾*^(٤)

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن باب ثم أنزل عليكم...، ٩٩/٥، حديث رقم: ٤٠٦٨.

(٢) - سورة الأحزاب: آية ٢٣.

(٣) - أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، باب من كتاب قراءات النبي صلى الله عليه وسلم مما لم يخرجاه وقد صح سنده ٢٧١/٢، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه وقال الذهبي: أنا أحسبه موضوعا.

(٤) - سورة آل عمران: آية ١٧٢.

هذه الآيات نزلت في مدح الصحابة الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد في طلب العدو -أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش- مُنْصَرَفِهِمْ عَنْ أَحَدٍ. وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثره حتى بلغ حمراء الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة، ليرى الناس أن به وأصحابه قوة على عدوهم. (١)

والصحابه أحسنوا في طاعة الرسول في ذلك الوقت، واتقوا الله في التخلف عن الرسول، وذلك يدل على أنه يلزمهم الاستجابة للرسول وإن بلغ الأمر بهم في الجراحات ما بلغ من بعد أن يتمكنوا معه من النهوض. (٢)

قوة إيمانهم وتوكلهم على الله.

قال الله تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى ديارِهِمْ لَم يمتَسْهُمْ مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ خِشْيَةٌ وَهُمْ عَلَى اللَّهِ يَتَوَكَّلُونَ * وَأَتَّبَعُوا لأَمْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ *﴾ (٣)

لما رأى المنافقون النبي -صلى الله عليه وسلم- يتجهز لميعاد أبي سفيان نهوا أصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم إن القوم قد أتوكم في دياركم فقتلوا الأكثر منكم فإن خرجتم إليهم لم يبق أحد منكم، إنَّ النَّاسَ يعني أبا سفيان وأصحابه من رؤساء المشركين قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ يعني الجموع الكثيرة، فخافوهم واحذروهم فإنه لا طاقة لكم بهم. فالصحابه لم يخافوا منهم بل زادهم إيماناً يعني ذلك التخويف تصديقاً وبقينا وقوة في دينهم وثبوتاً على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم.

(١) - جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣٩٩/٧.

(٢) - التفسير الكبير للرازي ٤٣٢/٩.

(٣) - سورة آل عمران: آية ١٧٢.

وعندما رجعوا من هذا السفر أعطاهم الله تعالى "النعمة" يعنى منافع الدنيا، و"الفضل" يعنى ثواب الآخرة و لم يصيبهم أذى ولا مكروه من قتل وجراح، مع هذا أعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وَاتَّبَعُوا رِضْوَانُ اللَّهِ يَعْنِي فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ^(١).

قال ابن جرير فى تفسير هذه الآية: إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الأشهل، كان شهد أحدا قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا، أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين: فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدو، قلت لأخي -أو قال لي-: أتقوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله ما لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل! فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنت أيسر جرحا منه، فكنت إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال، فأقام بها ثلاثا، الاثنتين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة.^(٢)

وروى عن عائشة -رضى الله عنها- أنها قالت لعروة: يا ابن أختي، كان أبواك منهم: الزبير، وأبو بكر، لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، قال: «من يذهب في إثرهم» فانتدب منهم سبعون رجلا، قال: كان فيهم أبو بكر، والزبير^(٣).

(١) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٤٣٤/٩، والخازن ٣٢٢/١-٣٢٣.

(٢) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ٤٠٠/٧.

(٣) - أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب المغازى باب الذين استجابوا لله والرسول.. ١٠٢/٥، حديث رقم: ٤٠٧٧.

المطلب الثالث: أوصاف الصحابة الذين حضروا الخندق.

لقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أوصاف الصحابة الذين حضروا الخندق وأنزل سورة كاملة باسم هذه الغزوة وهي سورة الأحزاب. وذكر فيها جميع أحوال الغزوة وما فعل المنافقون وكيف حضر الصحابة في هذه الغزوة، وإيمانهم في هذه الغزوة. وعدم مفارقتهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - في الابتلاء والشدة فأعطاهم الله تعالى الجزاء والثواب بصدقهم وبإيفاء عهدهم.

فأذكر في هذا المطلب أوصاف الصحابة الذين شهدوا الأحزاب أو الخندق.
الإبتلاء ونصر الله لهم.

ذكر الله تعالى أحوال غزوة الأحزاب في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * ٢٢ ﴾ (١)

إن الله تعالى يمتن على عباده المؤمنين بذكر النعم التي أنعم بها عليهم، إذ صرف عنهم أعداءهم حين تألبوا عليهم وتحزبوا عام الخندق. (وكان الله بما تعملون بصيرا) أي وكان الله عليما بجميع أعمالكم من حفركم للخندق، وترتيب وسائل الحرب لإعلاء كلمته، ومقاساتكم من الجهد والشدائد ما لا حصر له، بصيرا بها لا يخفى عليه شيء منها. ثم زاد الأمر تفصيلا وبيانا، فقال: (إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم) أي حين جاءكم الأحزاب من أعلى الوادي من جهة المشرق.

(وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) أي وحين مالت الأبصار عن سننها، وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة ودهشة، وخاف الناس خوفا شديدا، وفرعوا فزعاً عظيماً، وظنوا مختلف الظنون، فمنهم مؤمن مخلص يستنجز الله وعده في إعلاء

(١) - سورة الأحزاب: آية ٢٢.

دينه ونصرة نبيه، ويقول: هذا ما وعدنا الله ورسوله، ومنهم منافق وفي قلبه مرض يظن أن محمدا وأصحابه سيستأصلون، ويستولى المشركون على المدينة، وتعود الجاهلية سيرتها الأولى، إلى نحو ذلك من ظنون لا حصر لها تجول في قلوب المؤمنين والمنافقين، على قدر ما يكون القلب عامرا بالإخلاص مكتوبا له السعادة أو متشككا في اعتقاده ليست له عزيمة صادقة.

ثم ذكر أن هذه الشدائد محصت المؤمنين، وأظهرت المنافقين. (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) أي حين ذاك اختبر الله المؤمنين ومحصنهم أشد التمحيص، فظهر المخلص من المنافق، والراسخ الإيمان من المترلزل، واضطربوا اضطرابا شديدا من الفرع وكثرة العدو^(١).

قال ابن عاشور: أرسل الله على جيش المشركين ريحا شديدة فأزالت خيامهم وأكفأت قدورهم وأطفأت نيرانهم، واختل أمرهم، وهلك كراعهم وخفهم، وحدث تخاذل بينهم وبين قريظة وظنت قريش أن قريظة صالحت المسلمين وأنهم ينضمون إلى المسلمين على قتال الأحزاب، فرأى أهل الأحزاب الرأي في أن يرتحلوا فارتحلوا عن المدينة وانصرف جيش المسلمين راجعا إلى المدينة. فقوله تعالى إذ جاءكم جنود ذكر توطئة لقوله فأرسلنا عليهم ريحا إلخ لأن ذلك هو محل المنة. والريح المذكورة هنا هي ريح الصبا وكانت باردة وقلعت الأوتاد والأطناب وسفت التراب في عيونهم وماجت الخيل بعضها في بعض وهلك كثير من خيلهم وإبلهم وشائهم. وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور^(٢)». والجنود التي لم يروها هي جنود الملائكة الذين أرسلوا الريح وألقوا التخاذل بين الأحزاب وكانوا وسيلة إلقاء الرعب في نفوسهم^(٣).

تصديقهم وزيادة إيمانهم.

(١) - تفسير المراغي ١٤٠/٢١.

(٢) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب غزوة الخندق ١٠٩/٥، حديث رقم ٤١٠٥.

(٣) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٧٩/٢١.

لقد أثنى الله تعالى عليهم بتصديقهم الله والنبي - صلى الله عليه وسلم - ، وزيادة إيمانهم في قوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * ١ ﴾ (١)

لقد أثنى الله تعالى على الصحابة بأنهم لما رأوا الأحزاب والجيش في مقابلتهم، وشاهدوا ما أصابهم من شدة البلاء في غزوة الخندق، فلم يخافوا وما اشتكوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - كما قال المنافقون "ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا" (٢) بل قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وأيضاً صدقوا الله ورسوله وقالوا "وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ" (٣)

ولم تبين هنا الآية الوعد الذي وعدهم الله إياه فيها، وقد كان الله وعدهم بالنصر غير مرة منها ما ذكره الله تعالى في سورة البقرة ، في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَّخَلَّطُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ * ٤ ﴾ (٤). وقد نزلت هذه الآية قبل وقعة الأحزاب بعام ، فلما رأى المسلمون الأحزاب وابتلوا وزلزلوا ورأوا مثل الحالة التي وصفت في تلك الآية علموا أنهم منصورون ، وعلموا أن ذلك هو الوعد الذي وعدهم الله في آية سورة البقرة. لذا عندما رأوا الأحزاب والبلاء والشدائد لم ينقص من إيمانهم شيئاً بل زاد إيمانهم (٥).

(١) - سورة الأحزاب: آية ٢٢.

(٢) - سورة الأحزاب: آية ١٢.

(٣) - سورة الأحزاب: آية ٢٢.

(٤) - سورة البقرة: آية ٢١٤.

(٥) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٣٦/٢٠ ، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠٤/٢١ ، وأضواء البيان للشنقيطي ٢٣٥/٦.

ومن الأحاديث التي تدل على أوصاف الصحابة الذين حضروا الخندق ما قال أنس رضي الله عنه: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق، فإذا المهاجرون، والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع، قال: «اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة» فقالوا مجيبين له: نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا^(١)

وعن جابر^(٢) رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الأحزاب: «من يأتينا بخبر القوم» فقال الزبير: أنا، ثم قال: «من يأتينا بخبر القوم». فقال الزبير: أنا، ثم قال: «من يأتينا بخبر القوم» فقال الزبير: أنا، ثم قال: «إن لكل نبي حوارى، وإن حوارى الزبير»^(٣)

(١) - أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب المغازى، باب غزوة الخندق وهى الأحزاب، ١٠٧/٥، حديث رقم: ٤٠٩٩.

(٢) - هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي: ولد سنة ١٦ ق. هـ صحابي، من المكثرين فى الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من الصحابة. له ولأبيه صحبة. غزا تسع عشرة غزوة. وكانت له فى أواخر أيامه حلقة فى المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم توفى سنة ٧٨ هـ. انظر: الإصابة لابن حجر ٥٤٥/١ والأعلام للزركلى ١٠٤/٢.

(٣) - أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب المغازى، باب غزوة الخندق وهى الأحزاب، ١١١/٥، حديث رقم: ٤١١٣.

المطلب الرابع: أوصاف الصحابة الذين حضروا صلح الحديبية.

لقد أثنى الله تعالى على الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم أجمعين- الذين شهدوا الحديبية بأنه أنزل السكينة عليهم ورضى عنهم وألزمهم كلمة التقوى والصحابة كانوا أحق وأهل بكلمة التقوى وأدخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها.

إنزال السكينة في قلوبهم وزيادة إيمانهم.

ذكر الله تعالى أوصاف الصحابة الذين حضروا صلح الحديبية في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَبِاللَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (١)

ذكر الله تعالى في هاتين الآيتين وصفين للصحابة-رضوان الله تعالى عليهم- أجمعين. أحد هما؛ نزول الطمأنينة والثبات في قلوبهم واليقين والوقار، ويلزم من ذلك ثبات الأقدام عند اللقاء في الحروب وغيرها فكان ذلك من أسباب النصر الذي وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم. وجعل الله تعالى هذه السكينة والطمأنينة في قلوب المؤمنين سببا لزيادة الإيمان في قلوبهم، وذلك أنه كلما ورد عليهم أمر أو نهى، آمنوا به وعملوا بمقتضاه، فكان ذلك زيادة في إيمانهم. وثانيهما؛ دخولهم في الجنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها (٢).

ذكر الله تعالى نفس الموضوع في قوله تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ

(١) - سورة الفتح: آية ٤-٥.

(٢) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٢/٢٠٣، والتفسير الكبير للرازي ٢٨/٦٧، وتفسير الخازن ٤/١٥٤.

عَلَيْهِمْ وَأَتَابَهُمْ فَتَحَّا قُرْبَانَا* ﴿١﴾

فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ يَعْنِي الطَّمَأْنِينَةَ عَلَيْهِمْ يَعْنِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمَخْلَصِينَ حَتَّى ثَبَتُوا وَيَابِعُواكَ عَلَى الْمَوْتِ وَعَلَى أَنْ لَا يَفِرُوا. ﴿٢﴾

وذكر الله تعالى نفس الوصف يعنى إنزال السكينة عليهم فى قوله تعالى :

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ.....﴾ الآية (٣)

فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين أي: أنزل الطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين حيث لم يدخلهم ما دخل أهل الكفر من الحمية، وقيل: ثبتهم على الرضى والتسليم (٤).

قال ابن عاشور: المراد بالسكينة: الثبات والأناة، أي جعل فى قلوبهم التآني وصرف عنهم العجلة، فعصمهم من مقابلة الحمية بالغضب والانتقام فقابلوا الحمية بالتعقل والتثبت فكان فى ذلك خير كثير (٥).

مبايعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم.

ذكر الله تعالى مبايعتهم للرسول فى قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ* ﴿٦﴾

(١) - سورة الفتح: آية ١٨.

(٢) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ٢٢/٢٢٤، وتفسير الخازن ٤/١٦٠.

(٣) - سورة الفتح: آية ٢٦.

(٤) - فتح القدير للشوكانى ٥/٦٤.

(٥) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٦/١٩٤.

(٦) - سورة الفتح: آية ١٠.

ذكر الله تعالى في هذه الآية بيعة الصحابة وأهميتها لأنهم بايعوا النبي -مباشرةً ولكن في الأصل هذه البيعة مع الله تعالى إياه، لأنهم باعوا أنفسهم من الله عز وجل بالجنة و لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك. وكانت هذه البيعة على أن لا يفروا عند لقاء العدو، ولا يولوهم الأدبار.^(١) وكان سبب هذه البيعة ما قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه برسالته إلى الملا من قرش، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء، فظن أنه قد قتل، فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة على حربهم على ما وصفت، فبايعوه على ذلك، "وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيمينه على شماله لعثمان، فهو كمن شهدا"^(٢). وهذه البيعة التي تسمى بيعة الرضوان، وكان الذين بايعوه هذه البيعة فيما ذكر في قول بعضهم: ألفا وأربع مئة، وفي قول بعضهم: ألفا وخمس مئة، وفي قول بعضهم: ألفا وثلاث مئة.^(٣)

وكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت، مثلاً سئل سلمة بن الأكوع^(٤): "على أي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية؟ فقال: على الموت."^(٥) ولكن جابر بن عبد الله كان يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت، ولكن بايعنا على أن لا نفر.^(٦)

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٢/٢٠٩، وتفسير الخازن ٤/١٥٦.

(٢) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/٢٧٩.

(٣) - جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٢/٢٢٣، و السيرة النبوية لابن هشام ٢/٣١٥.

(٤) - هوسلمة بن عمرو بن سنان الأكوع، الأسلمي: صحابي، من الذين بايعوا تحت الشجرة. غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات، منها الحديبية وخيبر وحنين. وكان شجاعاً بطلاً رامياً عداً. وهو ممن غزا إفريقية في أيام عثمان. له ٧٧ حديثاً. وتوفي في المدينة سنة ٧٤ هـ. انظر: الإصابة لابن حجر ٣/١٢٧، والأعلام للزركلي ٣/١٣٣.

(٥) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية ٥/١٢٥، حديث رقم: ٤١٦٩.

(٦) - السيرة النبوية لابن هشام ٢/٣١٥.

قال ابن عاشور: لا خلاف بين هذين لأن عدم الفرار يقتضي الثبات إلى الموت^(١).

رضي الله عنهم وإخلاصهم.

ذكر الله تعالى أوصاف أخرى في قوله تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ...﴾ الآية^(٢)

أخبر الله تعالى أنه رضي عن المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة. وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لا يدخلون النار^(٣). فعلم ما في قلوبهم من الصدق إشارة إلى أن الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب، بل عند المبايعة التي كان معها علم الله بصدقهم، والفاء في قوله فأنزل السكينة عليهم للتعقيب الذي ذكرته فإنه تعالى رضي عنهم فأنزل السكينة عليهم، وفي علم بيان وصف المبايعة بكونها معقبة بالعلم بالصدق الذي في قلوبهم وهذا توفيق لا يتأتى إلا لمن هداه الله تعالى إلى معاني كتابه الكريم^(٤).

وذكر الإمام الرازي نقطة لطيفة في تفسير هذه الآية، عند ما قال: وفيه معنى لطيف وهو أن الله تعالى قال قبل هذه الآية "ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات" فجعل طاعة الله والرسول علامة لإدخال الله الجنة في تلك الآية، وفي هذه الآية بين أن طاعة الله والرسول وجدت من أهل بيعة الرضوان، أما طاعة الله فالإشارة إليها بقوله لقد رضي الله عن المؤمنين وأما طاعة الرسول فبقوله إذ يبایعونك تحت الشجرة بقي الموعود به وهو إدخال الجنة أشار إليه بقوله تعالى: لقد رضي الله عن المؤمنين لأن الرضا يكون معه إدخال

(١) - التحرير والتنوير لابن عاشور ١٥٩/٢٦.

(٢) - سورة الفتح: آية ١٨.

(٣) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٧٩/١٦.

(٤) - التفسير الكبير للرازي ٧٩/٢٨.

الجنة كما قال تعالى: " وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (١). " (٢)

ومن الأحاديث التي تبين أوصاف الصحابة الذين حضروا الحديبية ما روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض» وكنا ألفا وأربع مائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة تابعه الأعمش، سمع سالما، سمع جابرا ألفا وأربع مائة. (٣)

(١) - سورة المجادلة: آية ٢٢.

(٢) - التفسير الكبير للرازي ٨٤/٢٨.

(٣) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ١٢٣/٥، حديث رقم: ٤١٥٤.

المبحث الثانى

أوصاف المهاجرين والأنصار.

المطلب الاول: أوصاف المهاجرين.

المطلب الثانى: أوصاف الأنصار.

المبحث الثاني: أوصاف المهاجرين والأنصار.

عندما دعا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الناس إلى الإسلام فبعضهم آمنوا وصدقوا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولكن أكثرهم لم يؤمنوا بل آذوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رضي الله عنهم، حتى أخرجوهم من ديارهم وأخذوا أموالهم وأولادهم، فالصحابا تحملوا الشدائد والأذى، والجوع والعطش، إظهاراً للدين المتين. وتركوا أوطانهم العزيزة مع أن فراق الوطن شديد على النفوس. فسمّا هم الله تعالى في القرآن الكريم بالمهاجرين. وقد أثنى الله في القرآن الكريم عليهم بأنهم أخرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه، وبنصرتهم الله ورسوله. وعندما هجروا الديار وذهبوا إلى المدينة فالصحابا الذين كانوا موجودين في المدينة ضيقوهم حتى آثروا هم على أنفسهم، فسمّا هم الله تعالى في القرآن الكريم بالأنصار. وأثنى عليهم بحبهم لإخوانهم المهاجرين، وإيثارهم لهم على أنفسهم، وسلامة أنفسهم من الحسد لهم.

وسأتحدث في هذا المبحث عن الآيات التي تتعلق بالمهاجرين وهجرتهم و نصرهم الله وللرسول والآيات التي تتعلق بالأنصار ونصرتهم وإيثارهم وبذلك يشتمل هذا المبحث على مطلبين.

المطلب الأول: أوصاف المهاجرين.

أثنى الله تعالى على المهاجرين في القرآن الكريم أكثر من مرة بأنهم تركوا أموالهم وأولادهم وديارهم حتى صاروا فقراء مع أنهم كانوا أغنياء في مكة فقبلوا الفقر فقط لمرضاة الله سبحانه وتعالى، ونصرة دينه، فشهد الله لهم بحقيقة الإيمان وجعل الله لهم نصيباً في مال الفيء في الدنيا، أما في الآخرة فقال الله تعالى لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وبعض الآيات بينت أن الله تعالى رضى عنهم ورضوا عنه، وغير ذلك من الأشياء التي أعطاهم في الدنيا وفي الآخرة.

فأذكر في هذا المطلب الآيات التي تتعلق بهجرتهم ونصرهم للدين والجزء الذي أعطاهم الله تعالى.

أولاً: نصرهم الله وللرسول وإخلاصهم.

ذكر الله تعالى أن المهاجرين خرجوا من ديارهم ابتغاء مرضاة الله ولنصرة دينه في قوله تعالى:

﴿الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ * (١)

في هذه الآية الكريمة أثنى الله سبحانه وتعالى على المهاجرين لأن المراد بالفقراء المهاجرين هم جماعة الصحابة الذين هاجروا لنصرة دين الله ورسوله وجعل الله لهم نصيباً في مال الفئ في الدنيا. كما ذكر أكثر المفسرين. مثلاً ذكر ابن جرير في تفسير هذه الآية قول قتادة (٢): هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حباً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدة، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقوم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار (٣) غيرها. وينصرون دين الله الذي بعث به رسوله محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (٤) وذكر القرطبي المصائب التي تحملها المهاجرون فقال في تفسير الآية المذكورة: "والمهاجرون هنا: من هاجر إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حباً فيه ونصرة له.

(١) - سورة الحشر: آية ٨-٩.

(٢) - تقدمت ترجمته.

(٣) - الدثار، بالكسر: ما يتدثر به. هو ما فوق الشعار من الثياب. كما في قوله تعالى: "يَأْبِهَا المدثر". انظر: تاج العروس للزبيدي ٢٧٢/١١.

(٤) - جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٨١/٢٣.

قال عبد الرحمن بن أبزي^(١) وسعيد بن جبير^(٢): كان ناس من المهاجرين لأحدهم العبد والزوجة والدار والناقة يحج عليها ويغزو فنسبهم الله إلى الفقر وجعل لهم سهما في الزكاة.^(٣)

أما توصيفهم بالفقراء فذكر المفسرون في تفسير "للفقراء المهاجرين": "هو بدل من لذي القربى وما عطف عليه، ولا يصح أن يكون بدلا من الرسول وما بعده لئلا يستلزم وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر^(٤)". وقيل: التقدير كي لا يكون دولة ولكن يكون للفقراء، وقيل: التقدير: اعجبوا للفقراء، وقيل: التقدير: والله شديد العقاب للفقراء، أي: شديد العقاب للكفار بسبب الفقراء، وقيل: هو عطف على ما مضى بتقدير الواو، كما تقول: المال لزيد لعمر ولبكر^(٥).

ثم بعد ذلك أذكر القصص التي تدل على نصرهم لدين الله تحت قوله تعالى: (وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فالصحابه - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - نصروا الدين بأموالهم وأنفسهم، وأنفقوا أموالهم على أمر الرسول لمرضاة الله كقوله تعالى (الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ

(١) - عبد الرحمن بن أبزي الخزازي، صحابي، مولى نافع بن عبد الحارث. سكن الكوفة، واستعمله، علي رضي الله عنه على خراسان، أكثر روايته عن عمر، وأبي بن كعب، رضي الله عنهما. وقال فيه عمر بن الخطاب: عبد الرحمن بن أبزي ممن رفعه الله بالقرآن. [الوفاة: ٧١ - ٨٠ هـ]. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٣/٣٢٠.

(٢) - هو سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعي، ولد سنة ٤٥ هـ كان أعلمهم على الإطلاق. وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيدا سنة ٩٥ هـ وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه. انظر: الأعلام للزركلي ٣/٩٣.

(٣) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/٢٠.

(٤) - انظر: تفسير البيضاوي ٥/٢٠٠، وفتح القدير للشوكاني ٥/٢٣٩.

(٥) - فتح القدير للشوكاني ٥/٢٣٩.

يَنْتَعُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا)، فالقصص في هذا الباب كثيرة جداً، ولكن أذكر قصتين منها كنموذج فقط. منها.

١. ما أخرجه الحاكم قال: لما توجه رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى المدينة، ومعه أبو بكر، حمل أبو بكر معه جميع ماله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، فروت أسماء^(١) بنت أبي بكر فأتاني جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره، فقال: إن هذا والله قد فجعكم بماله مع نفسه، فقلت: كلا يا أبت، قد ترك لنا خيراً كثيراً، فعمدت إلى أحجار فجعلتهن في كوة البيت، وكان أبو بكر يجعل أمواله فيها، وغطيت على الأحجار بثوب، ثم جئت فأخذت بيده فوضعتها على الثوب، فقال: أما إذا ترك هذا فنعم، قالت: «والله ما ترك قليلاً ولا كثيراً»^(٢)

٢. منها قصص إنفاق الصحابة رضي الله عنهم المال في الغزوات ذكر الطبري في التاريخ في غزوة تبوك عندما حض رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين على الجهاد ورغبهم فيه، وأمرهم بالصدقة. فحملوا صدقات كثيرة، وكان أول من حمل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فجاء بماله كله؛ أربعة آلاف درهم، فقال له رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «هل أبقيت لأهلك شيئاً؟» فقال: الله ورسوله أعلم. ثم جاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله. فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل أبقيت

(١) هي أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان . من الفضليات من نساء الصحابة ، ووالدة عبد الله بن الزبير . سميت (ذات النطاقين) لأنها صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم وصديقه طعاماً حين هاجرا إلى المدينة ، فلم تجد ما تشده به فشقت نطاقها وشدت به الطعام ،

انظر: معرفة الصحابة لابن منده لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدى (المتوفى: ٣٩٥هـ) ١/٩٨٢ ن: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب الهجرة ٦/٣ وَقَدْ صَحَّ أَكْثَرُ أَخْبَارِهَا عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ وَأُخْرِجَ جَمِيعًا اخْتِلَافَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقال الذهبي: على شرط مسلم.

لأهلك شيئاً؟ قال: نعم، نصف ما جئت به. وبلغ عمر ما جاء به أبو بكر الصديق، فقال: ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقني إليه. وحمل العباس بن عبد المطلب^(١)، وطلحة بن عبيد الله^(٢) رضي الله عنهما إلى النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مالا، وحمل عبد الرحمن بن عوف^(٣) رضي الله عنه إليه مائتي أوقية، وحمل سعد بن عبادة^(٤) رضي الله عنه إليه مالا، وكذلك محمد بن مسلمة^(٥) رضي الله عنه، وتصدق عاصم بن عدي^(٦) رضي الله عنه بتسعين وسقاً تمرأ، وجهز عثمان بن عفان رضي الله عنه ثلث ذلك الجيش، وكان من أكثرهم نفقة حتى كفى ثلث ذلك الجيش مؤونتهم؛ حتى إن كان ليُقَال ما بقيت لهم حاجة، حتى كفاهم إشي أسقيتهم؛ فيقال

(١) - هو عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة. عم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصنو أبيه، يكنى أبا الفضل، بابنه. شهد مع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيعة العقبة، لما بايعه الأنصار، ليشدد له العقد، وكان حينئذ مشركاً وكان ممن خرج مع المشركين إلى بدر مكرها، وتوفي بالمدينة ودفن بالبيعة، وهو ابن ثمان وثمانين سنة. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ١٦٣/٣.

(٢) - هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي رضي الله عنه، أبو محمد، صحابي، شجاع. وهو أحد العشرة المبشرين، وأحد الستة أصحاب الشورى. انظر: الإصابة لابن حجر ٢ / ٢٢٩.

(٣) - تقدمت ترجمته.

(٤) - تقدمت ترجمته.

(٥) - هو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد، أبو عبد الرحمن، الأوسي الأنصاري الحارثي المدني. صحابي. من الأمراء، شهد بدرا وما بعدها إلا غزوة تبوك، واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة في بعض غزواته. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٤ / ٣٣٠.

(٦) - هو عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان بن حارثة، من بني عمرو بن عوف، من الأوس من الأنصار، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو عمر، وأبو عمرو، وهو أخو معن بن عدي، شهد بدرا، واحداً، والخنق، والمشاهد كلها مع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتوفي سنة خمس وأربعين، أسد الغابة لابن الأثير ٣ / ١١٠.

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمئِذٍ: «مَا يَضُرُّ عِثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ هَذَا»^(١)

ثانياً: إخراجهم من ديارهم بغير حق.

وقد ذكر الله تعالى سبب هجرتهم وأيضاً ذكر نصرهم الله والرسول في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَیْمَتْ صَوَامِعُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ*﴾^(٢)

ذكر الله تعالى ظلم الكفار للصحابه بأنهم أخرجوهم من ديارهم وذكر سبب هذا الإخراج وهو أنهم قالوا: ربنا الله وهذا مثل قوله تعالى: (هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ أَمَّا بِإِلَهِ... الآية)^(٣). ثم بعد ذلك ذكر الله تعالى أنه سيعين الله من يقاتل في سبيله، ومن ينصر دينه ونبیه، لتكون كلمته العليا على عدوه؛ فنصر الله عبده: معونته إياه، ونصر العبد ربه: جهاده في سبيله، لتكون كلمته العليا^(٤).

قال ابن جرير: عني بالمخرجين من دورهم المؤمنين الذين أخرجهم كفار قريش من مكة. وكان إخراجهم إياهم من دورهم وتعذيبهم بعضهم على الإيمان بالله ورسوله، وسبهم بعضهم بالسنتهم ووعيدهم إياهم، حتى اضطروهم إلى الخروج عنهم. وكان فعلهم ذلك بهم بغير

(١) - حياة الصحابة لمحمد يوسف بن محمد إلياس الكاندهلوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) ١٥/٢-١٦: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م وانظر: تاريخ الطبري لابن جرير، ٣/١٠٠-١٠٢، و البداية والنهاية لابن كثير ٦/٥-٧، و سيرة ابن هشام ٥١٧/٢-٥١٨.

(٢) - سورة الحج: آية ٤٠.

(٣) - سورة المائدة: آية ٥٩.

(٤) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير لابن جرير ٦٥١/١٨، والتفسير الكبير للرازي ٢٢٩/٢٣.

حق، لأنهم كانوا على باطل والمؤمنون على الحق، فلذلك قال جل ثناؤه: (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ) ^(١).

ثالثاً: إيمانهم بالله ورسوله.

قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ^(٢)

ذكر الله تعالى في هذه الآية هجرتهم مع أنه ذكر هذا الوصف أى الهجرة فى الآيات قبلها ولكن عند ما تكرر نفس الوصف فالمفسرون كتبوا فوائد لهذا التكرار مثلاً قال الإمام الرازى والخازن:

"إن إعادة الشيء مرة بعد أخرى يدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم أولاً ثم أعاد ذكرهم ثانياً دل ذلك على تعظيم شأنهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم" وقال الإمام الرازى: إن الله تعالى ذكر فى الآية ثلاثة وجوه للمدح.

أحدها: (أولئك هم المؤمنون حقاً) ، هذا يفيد الحصر وقوله تعالى (حقاً) يفيد المبالغة فى وصفهم بكونهم محققين فى طريق الدين وتحقيق هذا القول أن من فارق أهله وداره التى نشأ فيها وبذل النفس والمال كان مؤمناً حقاً.

ثانيها: (لهم مغفرة) وتكثير لفظ المغفرة يدل على أن لهم مغفرة وأي مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة سائرة لجميع ذنوبهم.

ثالثها: (ورزق كريم) فكل شيء شرف وعظم فى بابهِ قيل له كريم والمعنى أن لهم فى الجنة رزقاً لا تلحقهم فيه غصاضة ولا تعب. ^(٣)

^(١) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير لابن جرير ٦٤٥/١٨.

^(٢) - سورة الأنفال: آية ٧٤.

^(٣) - انظر: التفسير الكبير للرازى ٥١٩/١٥ ، وتفسير الخازن ٣٣٠/٢.

ومن قصص الشدائد التي تحملها الصحابة ما ذكر ابن هشام^(١) قال:
 أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المهاجرين
 من قريش، أبو سلمة^(٢) بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، واسمه:
 عبد الله، عندما أراد أن يهاجر إلى المدينة، فرجل بعيده ثم حمل زوجته عليه، وحمل معها
 ابنه سلمة^(٣) بن أبي سلمة، ثم خرج إلى المدينة، فلما رآته رجال بني المغيرة بن عبد الله
 بن عمر بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها، أرايت صاحبك هذه؟ علام
 نتركك تسير بها في البلاد؟ فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوا زوجته منه. وغضب عند
 ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابننا عندها إذ نزعتوها من
 صاحبنا. فقالت أم سلمة^(٤) فتجاذبوا بني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد

(١) - هو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين: مؤرخ، كان عالماً
 بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر ٢١٣ هـ. أشهر كتبه " السيرة النبوية
 " المعروف بسيرة ابن هشام. انظر: الأعلام للزركلي ١٦٦/٤.

(٢) - هو عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر المخزومي يكنى أبا سلمة وهو ابن
 عمه رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أخو رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة توفي بعد
 أحد، قيل أن تزوج رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوجته أم سلمة، في شوال سنة أربع، ولما حضرت
 أبا سلمة الوفاة، قال: اللهم اخلفني في أهلي بخير، فخلفه رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على زوجته
 أم سلمة. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٣٤١/١.

(٣) - هو سلمة بن أبي سلمة، ربيب النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمه أم سلمة. هاجر به أبوه أبو سلمة،
 وهو صغير، وبه كانا يكنيان، وهو الذي عقد النكاح لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم سلمة، فلما تزوج رسول
 الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم سلمة بنت حمزة بن عبد المطلب، أقبل على أصحابه، وقال: " هل تروني
 كافأته؟ ". انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٥٢٤/٢.

(٤) - هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله، المخزومية. أم المؤمنين. ممن أسلم قديماً،
 ومن المهاجرات الأول. تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة أربع من الهجرة، بعد أن توفي زوجها
 أبو سلمة بن عبد الأسد. كانت أم سلمة موصوفة بالعقل البالغ والرأي الصائب. انظر: الإصابة في
 تمييز الصحابة لابن حجر ٤٥٨ / ٤.

الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي، حتى أمسى سنة أو قريباً منها حتى مر بي رجل من بني عمي، أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحماني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها! قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت. قالت: ورد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني. قالت: فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعت في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. (١)

وعن البراء بن عازب (٢) قال سألت أبا بكر عن سفر الهجرة فقال: ارتحلنا من مكة، فأحيينا، ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فرميت ببصري هل أرى من ظل فأوي إليه، فإذا صخرة أتيتها فنظرت بقية ظل لها فسويتها، ثم فرشت للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه، ثم قلت له: اضطجع يا نبي الله، فاضطجع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم انطلقت أنظر ما حولي هل أرى من الطلب أحداً، فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردنا، فسألته فقلت له: لمن أنت يا غلام، قال لرجل من قريش، سماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، قلت: فهل أنت حالب لنا؟ قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال: هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأخرى، فحلب لي كنية من لبن، وقد جعلت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إداوة على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فانطلقت به إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى

(١) - انظر: سيرة ابن هشام ٤٦٨/١ - ٤٧٠.

(٢) - هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي، أبو عمارة، الخزرجي الأنصاري. قائد صحابي، من أصحاب الفتح. أسلم صغيراً، وغزا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمس عشرة غزوة، روى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن أبي بكر وعمر وعلي وبلال وغيرهم رضي الله عنهم. ولما ولي عثمان الخلافة جعله أميراً على الري (بفارس) سنة ٢٤. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ١ / ١٧١.

رضيت، ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله؟ قال: بلى. فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقه بن مالك^(١) على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فقال: «لا تحزن إن الله معنا»^(٢)

رابعاً: سبقهم للهجرة ورضى الله عنهم.

وذكر الله تعالى فضائل المهاجرين في قوله تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٣)

هذه الآية تدل على فضل المهاجرين والأنصار بأن الله تعالى رضى عن السابقين إلى الهجرة و أعد لهم جنت تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، لأن السبق إلى الهجرة طاعة عظيمة من حيث إن الهجرة فعل شاق على النفس، ومخالف للطبع، فمن أقدم عليه أولاً صار قدوة لغيره من هذه الطاعة، وكان ذلك مقورياً لقلب الرسول عليه الصلاة والسلام، وسبباً لزوال الوحشة عن خاطره، وكذلك السبق في النصرة، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة، فلا شك أن الذين سبقوا إلى النصرة والخدمة، فازوا بمنصب عظيم، فلهذا ذكر الله تعالى أنه رضى عنهم وأعد لهم جنت تجري من تحتها الأنهار^(٤).

(١) - هو سراقه بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن مالك بن نعيم ، أبو سفيان ، المدلجي : الكنانى ، صحابى ، من مشاهير الصحابة ، أسلم بعد غزوة الطائف سنة ٨ هـ . مات في صدر خلافة عثمان سنة ٢٤ ، وقيل : إنه مات بعد عثمان رضى الله عنه . انظر : الإصابة لابن حجر : ٣/٣٥ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٣ / ٤٥٦ .

(٢) - أخرجه البخارى : كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، بَابُ مَنْ أَقْبَلَ الْمُهَاجِرِينَ وَفَضْلِهِمْ ، ٣/٥ حديث رقم : ٣٦٥٢ .

(٣) - سورة التوبة : آية ١٠٠ .

(٤) - انظر : التفسير الكبير للرازى ١٦/١٢٧ .

اختلف العلماء في المراد بكلمة "من" في قوله تعالى (من المهاجرين والأنصار) فمنهم من ذهب إلى أنها للبيان، والمعنى: السابقون الأولون الذين هم المهاجرون والأنصار، وعلى هذا تكون الآية لمدح جميع المهاجرين والأنصار^(١).

ومنهم من ذهب إلى أن كلمة "من" للتبويض، وعلى هذا يكون المعنى: مدح بعض المهاجرين والأنصار^(٢).

والذي يترجح لي في هذا العنوان هو أن القول الثاني هو الصحيح، يعنى كلمة "من" هنا للتبويض، لأن أكثر المفسرين اختاروه وبينوا المراد بهذا البعض مع اختلاف يسير^(٣) فبعضهم قالوا إن المراد به، هم الذين صلوا إلى القبلتين وشهدوا بدرا وهذا القول منسوب إلى ابن عباس رضي الله عنهما^(٤). وبعضهم قالوا إن المراد به، هم الذين بايعوا بيعة الرضوان وهذا القول منسوب إلى الشعبي^(٥). وبعضهم قالوا إن المراد به السابقون في الهجرة، وفي النصرة^(٦).

والذي يترجح لي أن القول الثالث هو الصحيح لأن أكثر المفسرين اختاروه ورجحه الرازي بقوله والصحيح عندي أنهم السابقون في الهجرة، وفي النصرة، والذي يدل عليه أنه ذكر أنهم هم السابقون ولم يبين أنهم سابقون في ما ذا؟ فبقي اللفظ مجملا إلا أنه وصفهم بكونهم مهاجرين وأنصارا، فوجب صرف ذلك اللفظ إلى ما به صاروا مهاجرين وأنصارا

(١) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٢٩/١٦.

(٢) - انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ١٨/١١.

(٣) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٢٩/١٦، وتفسير البيضاوي ٩٥/٣ والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٨-١٧/١١.

(٤) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٢٧/١٦.

(٥) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٤٣٥/١٤ والتفسير الكبير للرازي ١٢٧/١٦.

(٦) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٢٧/١٦، انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ١٧/١١.

وهو الهجرة والنصرة، فوجب أن يكون المراد منه السابقون الأولون في الهجرة والنصرة إزالة للإجمال عن اللفظ^(١). ولأن الخبر على عمومته حتى يأتي ما يخصه.

ومن الأحاديث التي تبين فضائل المهاجرين ونصرهم للذين ما روى عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار»^(٢) وقال أبو موسى^(٣)، عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهي إلى أنها اليمامة، أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب»^(٤) هذه الأحاديث تبين فضائل المهاجرين والأنصار، لأن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَمَنَّى أن يكون من الأنصار فثبت أن الأنصار لهم شرف عظيم وفي نفس الوقت قال عليه السلام لولا الهجرة فثبت للهجرة لفضيلة التي اختارها الله للنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كانت الأنصار يوم الخندق تقول: نحن الذين بايعوا محمداً - على الجهاد ما حيننا أبداً فأجابهم «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة - فأكرم الأنصار والمهاجرة»^(٥) هذا الدعاء أيضاً للكل الطائفتين أي المهاجرين والأنصار. خامساً: قبول هجرتهم رجالاً ونساءً وتكفير سيئاتهم.

(١) - التفسير الكبير للرازي ١٢٧/١٦.

(٢) - ذكره البخاري في صحيحه كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مَنَاقِبِ الْمُهَاجِرِينَ وَفَضْلِهِمْ، ٥٦/٥، حديث رقم: ٧٢٤٤.

(٣) - هو عبد الله بن قيس بن سليم، من الأشعريين، ومن أهل زيد باليمن. صحابي من الشجعان الفاتحين الولاة. قدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى الحبشة. واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على زيد وعدن. وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧هـ، جاء إلى الكوفة وتوفي بها. انظر: الإصابة لابن حجر ١٨١/٤ والأعلام للزركلي ٤ / ٢٥٤.

(٤) - ذكره البخاري في صحيحه كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، ٥٦/٥.

(٥) - سبق تخريجه ص ١٠٩.

الهجرة كانت مقبولة عند الله تعالى من الصحابة سواء كانت من الرجال أو النساء كما ذكر الله تعالى في قوله تعالى:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾^(١).

ذكر ابن جرير أن هذه الآية نزلت عندما قالت أم سلمة^(٢): يا رسول الله، لا أسمع الله يذكر النساء في الهجرة بشيء؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: "فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى".^(٣)

وأعطى سبحانه وتعالى المهاجرين جزاء الهجرة بدفع السيئات عنهم وبإدخالهم الجنة، وقال هذا ثواب من عند الله.

وذكر الله تعالى أنه قد أعطاهم خير في الدنيا و سيعطيهم الأجر أيضا في الآخرة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْزِلَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآخِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٤).

في هاتين الآيتين أثنى الله تعالى على المهاجرين بأن الله سبحانه وتعالى سينزلهم منزلة حسنة أي لننزلهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم، وأن أجبرهم في الآخرة أعظم وأكبر مما يجدونه في الدنيا، وأنهم صبروا على ما أصيبوا به من بلاء الكفار وأذاهم، وأنهم المتوكلون على الله تعالى.^(٥)

(١) - سورة آل عمران: آية ١٩٥.

(٢) - تقدمت ترجمتها.

(٣) - جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٤٨٧/٧.

(٤) - سورة النحل: آية ٤١-٤٢.

(٥) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٢٢٠/٢٠.

وفى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لِيَدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ خَلِيمٌ﴾ (١)
وعدا الله فى هاتين الآيتين المهاجرين من قتل منهم أومات أنه يرزقهم فى الدنيا رزقاً حسناً، ويدخلهم مدخلاً يرضونه وهو الجنة. (٢)

(١) - سورة الحج: آية ٥٨-٥٩.

(٢) - انظر: تفسير ابن كثير ٤٤٧/٥.

المطلب الثاني: أوصاف الأنصار.

ذكر الله تعالى الأنصار في القرآن الكريم أكثر من مرة وأثنى عليهم بحبهم لإخوانهم المهاجرين، وإيثارهم لهم على أنفسهم، وسلامة أنفسهم من الحسد لهم. ثم أشار إلى فلاحهم وشهد لهم بحقيقة الإيمان. فوصفهم الله تعالى بأوصاف كثيرة منها:

أولاً: حبهم وإيثارهم للمهاجرين.

قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *﴾^(١)

يرى أكثر المفسرين أن المراد بالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ أي المدينة والإيمان أي الفوه من قَبْلِهِمْ "الأنصار" والأوصاف التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية هي أوصاف الأنصار، يعني أنهم كانوا يحبون من هاجر إليهم من المهاجرين، ولا يجدون في صدورهم حسدا مما أُوتُوا ، يعني مما أُوتي المهاجرين من الفاء، وأيضا كانوا يعطون المهاجرين أموالهم إيثاراً لهم بها على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم.^(٢) قال الإمام الرازي: إن هذا الإيثار ليس عن غنى عن المال، ولكنه عن حاجة وخصاصة وهي الفقر، وأصلها من الخصاص وهي الفرج، وكل خرق في منزل أو باب أو سحاب أو برقع فهي خصاص، الواحد خصاصة، وذكر المفسرون أنواعا من إيثار الأنصار للضيف بالطعام وتعللهم عنه حتى يشبع الضيف، ثم ذكروا أن الآية نزلت في ذلك الإيثار،

(١) - سورة الحشر: آية ٨-٩.

(٢) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٣/٢٨٣ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي

والصحيح أنها نزلت بسبب إثارة المهاجرين بالفيء، ثم لا يمتنع أن يدخل فيها سائر الإثارات^(١).

وذكر الألويسي وغيره من المفسرين؛ روايتين في تفسير هذه الآية تدلان على إثارة الصحابة ، وهي أن أبا هريرة قال: أتى رجل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل إليه نسائه فلم يجد عندهن شيئاً فقال عليه الصلاة والسلام: «ألا رجل يضيف هذا الرجل الليلة رحمه الله؟ فقال رجل من الأنصار - وفي رواية - فقال أبو طلحة: أنا يا رسول الله فذهب به إلى أهله فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية قال: إذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى فأطفئ السراج ونطوي الليلة لضيف رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففعلت ثم غدا الضيف على رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: لقد عجب الله الليلة من فلان وفلانة وأنزل الله تعالى فيهما وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ « إلخ. (٢)

والرواية الثانية التي ذكرها الألويسي في إثارة الأنصار ما روى عن ابن عمر^(٣) رضي الله تعالى عنهما، قال: أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأس شاة فقال: إن أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا فبعث به إليه فلم يزل يبعث به واحد

(١) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٥٠٨/٢٩.

(٢) - انظر: روح المعاني للألويسي ٢٤٦/١٤ ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب قَوْلِهِ: وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ١٤٨/٦.

(٣) - هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن. قرشي عدوي. صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. نشأ في الإسلام، وهاجر مع أبيه إلى الله ورسوله. شهد الخندق وما بعدها، ولم يشهد بدرًا ولا أحدًا لصغره. أفتى الناس ستين سنة. كان آخر من توفي بمكة من الصحابة. هو أحد المكثرين من الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم. انظر: الإصابة لابن حجر ١٥٥/٤ ، والأعلام للزركلي ٤ / ٢٤٦.

إلى آخر حتى تداوله أهل سبعة أبيات حتى رجع إلى الأول فنزلت وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ^(١)

والرواية الأخرى الت تدل على إيتار الأنصار، ما أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه. عن أنس رضى الله عنه، أنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف^(٢)، وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع^(٣)، وكان كثير المال، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالا، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها، حتى إذا حلت تزوجتها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك^(٤)،... الخ

ثانيا: رضى الله عنهم فى الدنيا والآخرة.

ذكر الله تعالى فضائل الأنصار فى قوله تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٥)

وهذه الآية أيضا تدل على فضل الأنصار مع المهاجرين، بأن الله تعالى رضى عنهم ورضوا عنه وأعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار. وقد شرحت هذه الآية فى المطلب الأول من هذا المبحث.

(١) - انظر روح المعاني للألوسى ٢٤٦/١٤، والحديث أخرجه الحاكم فى المستدرک على الصحيحين وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه، كتاب التفسير "تفسير سورة الحشر" ٥٢٦/٢.

(٢) - تقدمت ترجمته.

(٣) - هو سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي عقبي، بدري، نقيب، كان أحد نقباء الأنصار، وكان كاتباً فى الجاهلية، شهد العقبة الأولى والثانية، وقتل يوم أحد شهيداً. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٤٣٢/٢.

(٤) - أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب مناقب الأنصار باب إزاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين، والأنصار ٣١/٥، حديث رقم: ٣٧٨٠.

(٥) - سورة التوبة: آية ١٠٠.

والآية الأخرى تشير إلى نفس الموضوع هي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَتَصَرَّوْا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(١) قد شرحت هذه الآية في المطلب الأول وأزيد هنا قول ابن جرير: إن الذين آوَوْا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمهاجرين معه ونصروهم، ونصروا دين الله، أولئك هم أهل الإيمان بالله ورسوله حقاً^(٢).

ومن الأحاديث التي تدل على حب الله ورسوله للأَنْصَار ما رواه أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم، رأى صبيانا ونساء مقبلين من عرس، فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم ممثلاً، فقال: «اللهم أنتم من أحب الناس إلي، اللهم أنتم من أحب الناس إلي يعني الأنصار»^(٣) ومن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دعا لهم ولأبنائهم ولأبنائهم بالمغفرة ما روى عن زيد بن أرقم^(٤)، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم اغفر للأَنْصَار، ولأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»^(٥)

(١) - سورة الأنفال: آية ٧٤.

(٢) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٨٨/١٤.

(٣) - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل الأنصار ، ١٩٤٨/٤ ، حديث رقم: ٢٥٠٨.

(٤) - هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج. مختلف في كنيته، قيل أبو عمر، واستصغر يوم أحد. وأول مشاهدته الخندق، وقيل المريسيع، وغزا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبع عشرة غزوة. انظر: الإصابة لابن حجر ٤٨٨/٢.

(٥) - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصحابة، باب من فضائل الأنصار ١٩٤٨/٤ ، حديث رقم: ٢٥٠٦.

وقد جعل الرسول حبنا لهم علامة من علامة الإيمان وبغضهم علامة من علامة النفاق كما رواه البراء بن عازب^(١) قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحب الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»^(٢)

(١) - تقدمت ترجمته.

(٢) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار ، ٣٢/٥ ، حديث رقم: ٣٧٨٣.

المبحث الثالث

أوصاف من أسلم من أهل الكتاب.

المطلب الأول: أوصاف مسلمة أهل الكتاب عامة.

المطلب الثاني: أوصاف بعض مسلمة أهل الكتاب خاصة.

المبحث الثالث: أوصاف من أسلم من أهل الكتاب.

كان الناس في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- على قسمين، أحدهما: الذين كانوا لا يتدينون بدين سماوي وليس عندهم كتاب من عند الله تعالى مثل المشركين. وثانيهما: الذين كانوا يتدينون بدين سماوي وهم أهل الكتاب ، والمراد بأهل الكتاب "هم اليهود والنصارى، كما نص على ذلك علماء التفسير وغيرهم، أما المجوس فليسوا من أهل الكتاب عند الإطلاق ولكنهم يعاملون معاملتهم في أخذ الجزية منهم؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذها منهم، أما نساؤهم وذبايحهم فحرام على المسلمين عند الأئمة الأربعة وغيرهم وهو كالإجماع من أهل العلم^(١)."

فعندما دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- الناس إلى الإسلام فبعض أهل الكتاب أسلموا وصاروا مسلمين ، فهذه الطائفة اشتهرت بمسئلة أهل الكتاب. وأثنى الله تعالى على هذه الطائفة من الصحابة وأنزل الآيات الكثيرة في مدحهم، فأذكر في هذا المبحث الآيات والأحاديث التي تتعلق بهذه الطائفة الشريفة. وقسمت هذا المبحث إلى مطلبين.

المطلب الأول: أوصاف مسئلة أهل الكتاب عامة.

أثنى الله تعالى على هذه الطائفة الذين آمنوا من أهل الكتاب مرتين ، مرة لإيمانهم بنبيهم و مرة لإيمانهم بمحمد -صلى الله عليه وسلم- لذا قال الله تعالى إنهم يؤتون أجرهم مرتين لأنهم آمنوا مرتين . وذكر الله تعالى فضائلهم وأنهم استحقوا الأجر مرتين مرة بإيمانهم بالأنبياء الذي كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم ومرة أخرى بإيمانهم بمحمد صلى الله

(١) - انظر: أحكام القرآن لأحمد بن علي بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ) ٣/٣٢٦ ، ن: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ ، والمغني لابن قدامة لأبي محمد الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) ٧/١٣٠ ، ن: مكتبة القاهرة بدون طبعة ، وفتح القدير للشوكاني ١٨/٢ ، والكلام لعبد العزيز بن باز رحمه الله (المتوفى: ١٤٢٠هـ) في مجموع فتاوى العلامة ٤/٢٧٥.

عليه وسلم. فأذكر في هذا المطلب الآيات التي تدل على أوصافهم عامة حسب آراء جمهور المفسرين.

وإن كان بعض المفسرين ذكروا أسماء معينة في أسباب نزول هذه الآيات، ولكن جمهور المفسرين عموماً هذه الآيات فمنها قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١)

هذه الآيات نزلت في مسلمة أهل الكتاب عامة وإن كان بعض العلماء قالوا إن هذه الآيات نزلت في النجاشي وبعضهم قالوا إنها نزلت في عبدالله بن سلام (٢) وأصحابه، وغير ذلك من الأقوال المختلفة كما صرح به الإمام الرازي، وغيره من المفسرين، لكن الجمهور من المفسرين قالوا إن هذه الآيات نزلت في مسلمة أهل الكتاب كلهم بدون أى تخصيص لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. (٣)

فذكر الله تعالى في هذه الآية حال فريق من أهل الكتاب يهتدون بهذا القرآن وكانوا من قبله مهتدين بما عندهم من هدى الأنبياء وقد وصفهم الله بصفات كلها تستحق المزية والشرف، وهى:

١. الإيمان بالله إيماناً لا تشوبه نزعات الشرك ولا يفارقه الإذعان الباعث على العمل، لا كمن قال الله فيهم (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (٤).

(١) - سورة آل عمران: آية ١٩٩.

(٢) - هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي: أبو يوسف: صحابي، قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب. أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان اسمه "الحصين" فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله. وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية. وأقام بالمدينة إلى أن مات سنة ٤٣. انظر: الإصابة لابن حجر ١٠٢/٤، والأعلام للزركلى ٩٠/٤.

(٣) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٤٩٩/٧ والتفسير الكبير للرازي ٤٧٣/٩.

(٤) - سورة يوسف: آية ١٠٦.

٢. الإيمان بما أنزل إلى المسلمين، وهو ما أوحاه الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. والإيمان بما أنزل إليهم وهو ما أوحاه الله إلى أنبيائهم، والمراد به الإيمان إجمالاً وما أرشد إليه القرآن تفصيلاً فلا يضير في ذلك ضياع بعضه ونسيان بعضه الآخر.

٣. الخشوع وهو الثمرة للإيمان الصحيح فإن الخشوع أثر خشية الله في القلب ومنه تقيض على الجوارح والمشاعر، فيخشع البصر بالانكسار، ويخشع الصوت بالخفوت والتهدج.

٤. عدم اشتراء شيء من متاع الدنيا بآيات الله وهذا أثر لما قبله.

(أولئك لهم أجرهم عند ربهم) أي هؤلاء المتصفون بحميد الصفات، وجليل الأعمال، لهم ثواب أعمالهم وأجر طاعتهم عند ربهم الذي رباهم بنعمه وهداهم إلى الحق وإلى الصراط المستقيم^(١).

قال ابن عاشور: أثنى الله عليهم بأنهم لا يحرفون الدين، والآية مؤدنة بأنهم لم يكونوا معروفين بذلك لأنهم لو عرفوا بالإيمان لما كان من فائدة في وصفهم بأنهم من أهل الكتاب، وهذا الصنف بعكس حال المنافقين^(٢).

ذكر الله تعالى قصة نصارى أهل الكتاب في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ
رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَتَطْمَعُ أَنْ
يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَتَاهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَاحَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ *﴾^(٣)

(١) - انظر: تفسير المراغي ١٧١/٤.

(٢) - التحرير والتوير لابن عاشور ٢٠٧/٤.

(٣) - سورة المائدة: آية ٨٣-٨٤.

هذه الآيات نزلت في مسلمة أهل الكتاب الذين أرسلهم النجاشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا اثني عشر رجلاً وأرسلهم ليسألوه ويأتوه بخبره، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، فبكوا. فعندما سمعوا الآيات القرآنية، آمنوا بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وقالوا "رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ". وذكر الله تعالى فضائلهم أنهم استحقوا الجنة بما قالوا. وكان بعضهم رهباناً وبعضهم قسيسين، فأنزل الله فيهم هذه الآية المذكورة، وقال بعض العلماء إن هذه الآيات نزلت في النجاشي وأصحابه^(١).

قال القرطبي: (فأثابهم الله بما قالوا جنات) دليل على إخلاص إيمانهم وصدق مقالهم، فأجاب الله سؤالهم وحقق طمعهم - وهكذا من خلص إيمانه وصدق يقينه يكون ثوابه الجنة^(٢).

ومن الأحاديث التي تتعلق بأوصاف مسلمة أهل الكتاب عامة ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب، آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعنتها فتزوجها فله أجران^(٣)"

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٥١١/١٠، والتفسير الكبير للرازي ٤١٥/١٢.

(٢) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٦٠/٦.

(٣) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله ، ٣١/١ حديث رقم: ٩٧.

المطلب الثاني: أوصاف بعض مسلمة أهل الكتاب خاصة.

أثنى الله تعالى على مسلمة أهل الكتاب الذين آمنوا مرتين ، مرة لإيمانهم بنبيهم و مرة لإيمانهم بمحمد-صلى الله عليه وسلم- لذا قال الله تعالى إنهم يؤتون أجرهم مرتين لأنهم آمنوا مرتين . وذكر الله تعالى فضائلهم ، أحياناً عامة يعنى لم يخصص الفضائل لبعضهم بل عموماً وقد ذكرت ذلك فى المطلب الأول من هذا المبحث . ولكن أحياناً يذكر المفسرون أسباباً خاصة لنزول بعض الآيات فى مسلمة أهل الكتاب ، مثل عبد الله بن سلام^(١) وسلمان الفارسي^(٢) وغيرهما . فأذكر فى هذا المطلب الآيات التى تدل على أوصاف بعض مسلمة أهل الكتاب حسب آراء المفسرين .

أوصاف عبد الله بن سلام ومن آمن معه:

لقد أثنى الله تعالى على عبد الله بن سلام والذين آمنوا معه ، فى قوله تعالى: ﴿لَيَسْأَلَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾^(٣)

هذه الآيات نزلت فى عبد الله بن سلام-رضى الله عنه- والصحابة الذين آمنوا معه، وفيها مدح وثناء من الله تعالى عليهم، عندما أسلم عبد الله بن سلام، وغيره من أهل الكتاب ، ومن أسلم من يهود معهم، فأمنوا وصدقوا ورغبوا فى الإسلام، ورسخوا فيه، واليهود كانوا يقولون ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم، وذهبوا إلى غيره، وقالوا لعبد الله بن سلام وغيره: لقد كفرتم وخسرتم، فأنزل الله تعالى لبيان

(١) - تقدمت ترجمته.

(٢) - هو سلمان الفارسي: من مقدمي الصحابة . أصله من مجوس أصبهان، ورحل إلى الشام، فالموصل، وقرأ كتب الفرس والروم واليهود، وقصد بلاد العرب، فلقى النبي صلى الله عليه وسلم بقباة وسمع كلامه، ولازمه أياماً. توفي سنة ٣٦ هـ انظر: أسد الغابة لأبن الأثير ٥١٠/٢.

(٣) - سورة آل عمران: آية ١١٣-١١٥.

فضلهم: "ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله" إلى قوله: "وأولئك من الصالحين" (١).

وصف الله تعالى مسلمة أهل الكتاب في هذه الآية ومدحهم بسبعة أوصاف كل منها منقبة ومفخرة يستحق فاعلها الثواب عليها:

١- (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ) أي منهم جماعة مستقيمة على الحق، متبعة للعدل، لا تظلم أحدا، ولا تخالف أمر الدين، وكان من تمام الكلام أن يقال ومنهم أمة مذمومة، إلا أن العرب قد تذكر أحد الضدين وتستغنى به عن ذكر الآخر. والمراد بالأمّة القائمة أمة مهتدية قائمة على أمر الله لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيعوه.

٢- (يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) أي يتلون القرآن بالليل وهم يصلون متعبدين، وخص السجود بالذكر من بين أركان الصلاة لدلالته على كمال الخضوع والخشوع.

٣- (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أي يؤمنون إيمان إذعان بهما على الوجه المقبول عند الله، ومن ثمرات ذلك الخشية والخضوع والاستعداد لذلك اليوم، لا إيمانا لا حظ لصاحبه منه إلا الغرور والدعوى، كما هو حال سائر اليهود، إذ يؤمنون بالله واليوم الآخر، لكنه إيمان هو والعدم سنوء، لأنهم يقولون عزيز ابن الله، ويكفرون ببعض الرسل، ويصفون اليوم الآخر بخلاف صفته.

٤- (وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) أي إنهم بعد أنكملوا أنفسهم علما وعملا كما تقدم، يسعون في تكميل غيرهم إما بإرشادهم إلى ما ينبغي بأمرهم بالمعروف، أو بمنعهم عما لا ينبغي بالنهي عن المنكر.

٥- (وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) أي يعملون صالح الأعمال راغبين فيها غير متناقلين

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ١١٩/٧، والتفسير الكبير للرازي ٣٣١/٨.

- علما منهم بجلالة موقعها، وحسن عاقبتها، وإنما يتباطأ الذين في قلوبهم مرض، كما وصف الله المنافقين بقوله: (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُنَ النَّاسَ) ^(١). وهذه الصفة جامع الفضائل الدينية والخلقية. وعبر بالسرعة ولم يعبر بالعجلة، لأن الأولى التقدم فيما ينبغي تقديمه وهي محمودة، وضدها الإبطاء، والثانية التقدم فيما لا ينبغي أن يتقدم فيه، ومن ثم قال عليه السلام «العجلة من الشيطان، والتأني من الرحمن» ^(٢) وضدها: الأناة، وهي محمودة.
- ٦- (وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ) أي وهؤلاء الذين اتصفوا بجليل الصفات من الذين صلحت أحوالهم، وحسنت أعمالهم، فرضيهم ربهم، وفي هذا رد على اليهود الذين قالوا فيمن أسلم منهم: ما آمن بمحمد إلا شرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم ^(٣) وذهبوا إلى غيره. والوصف بالصلاح هو غاية المدح، ونهاية الشرف والفضل، فقد مدح الله به أكابر الأنبياء كإسماعيل وإدريس وذى الكفل فقال: (وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ) ^(٤) وقال حكاية عن سليمان: (وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) ^(٥).
- ٧- (وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ) أي وما يفعلوا من الطاعات فلن يحرما ثوابه ولن يستر عنهم كأنه غير موجود. ولما سمي الله إثابته للمحسنين شكرا في

(١) - سورة النساء: آية ١٤٢.

(٢) - أخرجه الترمذي في سننه ، أبواب البر والصلة ، باب باب ما جاء في التأني والعجلة ٣٦٧/٤ ، بقریب منه عن سهل بن سعد الساعدي، عن أبيه، عن جده ، حديث رقم: ٢٠١٢ ، وقال هذا حديث غريب، وقال الألبانی ضعيف.

(٣) - أخرجه الطبرانی في المعجم الكبير ٨٧/٢ ، بقریب منه عن ابن عباس ، حديث رقم: ١٣٨٨.

(٤) - سورة الأنبياء: آية ٨٦.

(٥) - سورة النمل: آية ١٩.

قوله: (فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) (١) (٢).

أوصاف عبد الله بن سلام خاصة:

وقد أثنى الله تعالى على عبد الله بن سلام خاصة في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَّا وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣)

اختلف المفسرون في تأويل قوله تعالى (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ) ، فقال بعضهم: معناه: وشهد شاهد من بني إسرائيل، وهو موسى بن عمران عليه السلام على مثله، يعني على مثل القرآن، قالوا: ومثل القرآن الذي شهد عليه موسى بالتصديق التوراة. وقال بعضهم المراد من قوله تعالى هو عبدالله بن سلام الذي آمن بموسى والتوراة وأيضا آمن بمحمد- صلى الله عليه وسلم- والقرآن.

ذكر ابن جرير في تفسيره أدلة الفريقين ورجح القول الثاني حيث قال في نهاية الكلام قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك عني به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به. وذكر الإمام الرازي في قوله تعالى: "وشهد شاهد من بني إسرائيل" والذي قال به الأكثرون هو: أن هذا الشاهد عبد الله بن سلام. (٤)

وقوله تعالى:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْنَا مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (٥)

(١) - سورة الإسراء: آية ١٩.

(٢) - انظر: تفسير المراهي ٣٥/٤-٣٧.

(٣) - سورة الأحقاف: آية ١٠.

(٤) - انظر: الجامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ١٠٧/٢٢ ، والتفسير الكبير للرازي ١٠/٢٨.

(٥) - سورة الأحقاف: آية ١٠.

نذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في الصحابة الذين كانوا علماء اليهود سابقاً. مثل عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري^(١) وغيرهم. وبعضهم قالوا إنَّ المراد من هذه الآية عبد الله بن سلام فقط.

ولكن يرد عليه الاعتراض من قبل بعض العلماء وهو أن هذه السورة مكية فلا يجوز أن يراد به ابن سلام وأصحابه، لأنهم آمنوا في المدينة بعد الهجرة. ونفس الاعتراض يرد على الآية السابقة والجواب عن هذا الاعتراض أن هذه السورة وإن كانت مكية إلا أن هذه الآية مدنية. (٢)

والجواب الثاني: أقوال الصحابة وأقوال السلف مقدمة على غيرهم في التفسير ، وإن كان ظاهر السياق لا يدل عليه؛ لأنهم أعلم بمعاني القرآن ، والسبب الذي فيه نزل ، وما أريد به. (٣)

ومن الأحاديث التي تتعلق بأوصاف عبد الله بن سلام -رضي الله عنه- ما روى عن سعد بن أبي وقاص ، قال: " ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة، إلا لعبد الله بن سلام " قال: وفيه نزلت هذه الآية (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ... (٤) الآية (٥).

(١) - هو تميم بن أوس بن حارثة بن سود الداري ، صحابي، نسبته إلى الدار بن هاني من لخم. كان راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين، أسلم سنة ٩ هـ ، وكان تميم أول من قصص على الناس بأمر عمر رضي الله عنه، سكن المدينة ثم انتقل إلى الشام، فنزل بيت المقدس، توفي سنة ٤٠ هـ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ١ / ٢١٥.

(٢) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٩/٥٤ و ٢٨/١١.

(٣) - هذه القاعدة الترجيحية معروفة بين علماء التفسير ، وانظر: فصول في أصول التفسير لمساعد بن سليمان الطيار ص ٨٨.

(٤) - سورة الأحقاف: آية ١٠.

(٥) - أخرجه البخاري في صحيحه بكتاب مناقب الأنصار، باب مناقب عبد الله بن سلام، ٣٧/٥ ، حديث رقم: ٣٨١٢.

وما أخرجه الترمذى عن ابن أخى عبد الله بن سلام، قال: لما أريد عثمان جاء عبد الله بن سلام، فقال له عثمان: ما جاء بك؟ قال: جئت في نصرتك، قال: أخرج إلى الناس فاطردهم عني فإنك خارج خير لي منك داخل، فخرج عبد الله، إلى الناس فقال: «أيها الناس إنه كان اسمي في الجاهلية فلان فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله» ونزلت في: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ قَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ^(١) ونزلت في (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) ^(٢) ^(٣).
أوصاف سلمان الفارسي وغيره:

وأثنى الله تعالى على سلمان الفارسي وعبد الله بن سلام بقوله تعالى:
﴿الَّذِينَ آمَنُوا هُمْ قَبْلَهُ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُنْزَلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ^(٤)

هذه الآيات نزلت في مسلمة أهل الكتاب أى سلمان الفارسي، وعبد الله بن سلام، وأبو رفاعه ^(٥) وغيرهم، وهناك روايات مختلفة في سبب نزول هذه الآيات.

(١) - سورة الأحقاف: آية ١٠.

(٢) - سورة الرعد: آية ٤٣.

(٣) - أخرجه الترمذى في سننه ، أبواب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الأحقاف ٣٨١/٥ ، حديث رقم:

٣٢٥٦ ، وقال هذا حديث غريب، وقال الألبانى ضعيف الإسناد.

(٤) - سورة القصص: آية ٥٢-٥٤.

(٥) - هوثيم بن أسد، وقيل ابن أسيد، وقيل: اسمه عبد الله الحارث. وروى الحاكم أن أبا رفاعه العدوي له صحبة. قتل بكابل سنة أربع وأربعين وقيل: إن قبر أبي رفاعه ببيهق. انظر: الإصابة لابن حجر ١١٢/٧.

فروى ابن جرير فى تفسيره بسنده، عن علي بن رفاعه^(١)، قال: خرج عشرة رهط من أهل الكتاب، منهم أبو رفاعه، يعنى أباه، إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأمنوا، فأوذوا، فنزلت: (الَّذِينَ آمَنُوا مِن قَبْلِهِ) قبل القرآن. وقال قتادة إنها نزلت فى أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق، يأخذون بها، وينتهون إليها، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم، فأمنوا به، وصدقوا به، فأعطاهم الله أجرهم مرتين، بصبرهم على الكتاب الأول، واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم، وصبرهم على ذلك، وذكر أن منهم سلمان، وعبد الله بن سلام^(٢).

وقال آخرون: إنها نزلت فى أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة حقة يتمسكون بها فلما بعث الله تعالى محمدا آمنوا به من جملتهم سلمان وعبد الله بن سلام أو نزلت فى أربعين رجلا من أهل الإنجيل وهم أصحاب السفينة جاءوا من الحبشة مع جعفر^(٣). وعن علي بن رفاعه القرظي. قال: كان أبي من الذين أسلموا من أهل الكتاب، وكانوا عشرة، وكانوا يجلسون مجالس، فإذا مروا بهم يستهزئون، فأنزل الله عز وجل: أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا فعلى هذا تكون الصحبة لأبيه^(٤). وتفسير هذه الآيات ما يلى:

الذين آمنوا بالتوراة والإنجيل من أهل الكتاب، ثم أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم آمنوا بالقرآن، لأنهم قد وجدوا فى كتبهم البشرى به، وانطباق الأوصاف عليه. وإذا تلى هذا القرآن عليهم قالوا صدقنا بأنه نزل من عند ربنا حقا، وقد كنا مصدقين به قبل نزوله، لأننا

(١) - هو علي بن رفاعه القرظي، ذكره علي بن سعيد العسكري. وروى بسند فيه محمد بن حميد الرازي، من طريق عمرو بن دينار، قال: كان أبي من الوفد الذين أسلموا من أهل الكتاب، قال أبو موسى: فعلى هذا الصحبة لأبيه. انظر: الإصابة لابن حجر ٤/٤٦٣، وأسد الغابة لابن الأثير ٣/٥٨٧.

(٢) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ١٩/٥٩٥.

(٣) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٢٤/٦٠٧.

(٤) - انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٣/٥٨٧ والإصابة لابن حجر ٤/٤٦٣.

وجدنا في كتبنا نعت محمد، ونعت كتابه.

وفي هذا إيماء إلى أن إيمانهم به متقادم العهد، فأبأؤهم الأولون قرعوا في الكتب الأول ذكره، وأبأؤهم من بعدهم فعلوا كما فعلوا من قبل نزوله. ثم بين جزاءهم على إيمانهم به بعد إيمانهم بما سبقه من الكتب بقوله: (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) أي هم يؤتون ثواب عملهم مرتين: مرة على إيمانهم بكتابهم، ومرة على إيمانهم بالقرآن، بسبب صبرهم وثباتهم على الإيمانين فإن تجشم مثل هذه المشاق شديد على النفوس، فقد يصيبهم من جراء ذلك أذى من قومهم أو من المشركين في اتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم. ونحو الآية قوله تعالى في شأنهم (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ^(١)) وكما روى أبو أمامة قال: إني لتحت راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال قولا حسنا جميلا وقال فيما قال: «من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين وله ما لنا وعليه ما علينا» ^(٢).

ذكر الله تعالى أوصافهم ما يؤهلهم للزلفى والقرب من ربهم فقال:

١. (ويدرون بالحسنة السيئة) أي وهم يدفعون ما سمعوا من الأذى والشتم بالصفح والعفو عنه.

٢. (ومما رزقناهم ينفقون) أي وينفقون مما أعطاهم الله من فضله من المال الحلال، النفقات الواجبة لأهلهم وذوي قرباهم، ويؤدون الزكاة المفروضة عليهم، ويساعدون البائسين وذوي الخصاصة المعوزين ^(٣).

ومن الأحاديث التي تدل على فضائل سلمان ما أخرجه الترمذى عن يزيد بن عميرة، قال: لما حضر معاذ بن جبل الموت قيل له: يا أبا عبد الرحمن، أوصنا، قال: أجلسوني، فقال:

(١) - سورة الحديد: آية ٢٨.

(٢) - انظر: تفسير المراعى ٧١/٢٠ - ٧٢، والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥٧٠/٣٦، حديث رقم: ٢٢٢٣٤.

(٣) - انظر: تفسير المراعى ٧٢/٢٠.

إن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما، يقول ذلك ثلاث مرات، والتمسوا العلم عند أربعة رهط، عند عويمر أبي الدرداء^(١)، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهوديا فأسلم فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنه عاشر عشرة في الجنة»^(٢). وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة: علي، وعمار، وسلمان."^(٣)

(١) - هو عويمر أبو الدرداء مشهور بكنيته وباسمه جميعا. واختلف في اسمه، فقيل هو عامر، وعويمر لقب، واختلف في اسم أبيه، عامر، أو مالك، وأبوه ابن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي. أسلم يوم بدر، وشهد أحدا وأبلى فيها. مات في خلافة عثمان الإصابة لابن حجر ٦٢١/٤.

(٢) - أخرجه الترمذی فی سننه أبواب المناقب باب مناقب عبدالله بن سلام ٦٧١/٥، حديث رقم: ٣٨٠٤ وقال هذا حديث حسن غريب، "وقال الألباني في الهامش: صحيح".

(٣) - أخرجه الترمذی فی سننه، أبواب المناقب، باب مناقب سلمان الفارسي، ٦٦٧/٥، حديث رقم: ٣٧٩٧، وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن صالح "وقال الألباني في الهامش: ضعيف".

المبحث الرابع

أوصاف الصحابة الذين تحدث عنهم القرآن منفردين.

المطلب الأول: ما نزل من القرآن في أوصاف أبي بكر رضي الله عنه.

المطلب الثاني: ما نزل من القرآن في موافقات عمر رضي الله عنه وأوصافه.

المطلب الثالث: ما نزل من القرآن في أوصاف زيد بن حارثة رضي الله عنه.

المطلب الرابع: ما نزل من القرآن في أوصاف عبدالله بن أم مكتوم رضي الله عنه.

المطلب الخامس: ما نزل من القرآن في عمارين ياسر رضي الله عنه وغيره.

المبحث الرابع: أوصاف الصحابة الذين تحدث عنهم القرآن منفردين.

لقد أثنى الله تعالى على الصحابة عامة كما ذكرت في الفصل الأول وربما أثنى على بعضهم في كثير من الآيات القرآنية كما ذكرت في مختلف المباحث من هذا الفصل، وأيضاً قد يذكر المفسرون في سبب نزول بعض الآيات أنها نزلت في موقعة خاصة أو في طائفة خاصة من الصحابة أو في فرد خاص، فالمفسرون ذكروا هذه المواقع وأسماء بعض الصحابة في التفاسير في أسباب النزول. وهذا كله يبنى على سبب النزول لأن القرآن الكريم لم يسمّ أحداً من الصحابة إلا زيد بن حارثة^(١) -رضى الله عنه-، فالآخرون كلهم ذكروا في التفاسير المهمة.

فأذكر في هذا المبحث الآيات التي نزلت في أوصاف بعض الصحابة منفرداً، أو في موافقة آراءهم.

المطلب الأول: ما نزل من القرآن في أوصاف أبي بكر -رضى الله عنه.

لقد أثنى الله تعالى على أبي بكر -رضى الله عنه- في القرآن الكريم أكثر من مرة، وإن كان اسمه ليس مذكور في الآيات لكن يرى أكثر المفسرين في سبب نزول بعض الآيات أنها نزلت في أبي بكر -رضى الله عنه- والآيات من هذا النوع كثيرة. فأذكرها في هذا المطلب.

الوصف الأول والثاني: صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة ومعية الله له.

لقد أثنى الله تعالى على الصحابة عامة بأنهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه داخل في هذا الثناء ولكن الله خصصه دون الصحابة حيث أثنى الله تعالى عليه وحده لصحبة النبي صلى الله عليه وسلم - وذكر الله تعالى أنه مع كل إنسان

(١) - هو زيد بن حارثة بن شراحيل أو شريحيل بن كعب بن عبد العزي بن امرئ القيس، أبو أسامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاشتراه حكيم بن حزام في سوق حباشة لخديجة بنت خويلد، فوهبته خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل النبوة، وهو ابن ثمان سنين. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٥٤٢/٢.

فى قوله تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ^(١)). وهذه المعية تمثيل كئائى عن العلم بجميع أحوالهم^(٢). ولكن خصص الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم وأبأكر رضى الله عنه فى قوله تعالى: (لَا تَخْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا^(٣)). وهذا التخصيص بعد التعميم يدل على شرفهما وفضلهما. وهذه المعية ؛ معية الإعانة والعناية، كما حكى الله تعالى عن موسى وهارون:

(قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا^(٤)) وقوله (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَتِي مَعَكُمْ^(٥))^(٦). والآية التى تدل على وصفه؛ أى صحبة النبى صلى الله عليه وسلم - ومعية الله له هى قوله تعالى:

﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا....﴾^(٧) ذكر المفسرون أن المراد بثنائي اثنين ، رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه، لأنهما كانا اللذين خرجا هارين من قريش إذ هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واختفيا فى الغار، وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأبى بكر - رضى الله عنه - "لَا تَخْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" فالمراد من هذه المعية، المعية بالحفظ والنصرة والحراسة والمعونة، وبالجمله فالرسول صلى الله عليه وسلم جمع بينه وبين أبى بكر فى المعية. فأنزل الله سكينته عليه ، الضمير فى قوله: "عليه" يعود إلى أبى بكر - رضى الله عنه - لأن الضمير يجب عوده إلى أقرب مذكور، وأقرب مذكور المتقدمة فى هذه الآية هو أبو

(١) - سورة الحديد: آية ٤.

(٢) - انظر: التحرير والتوير لابن عاشور ٣٦٤/٢٧.

(٣) - سورة التوبة: آية ٤٠.

(٤) - سورة طه: آية ٤٦.

(٥) - سورة الأنفال: آية ١٢.

(٦) - انظر: التحرير والتوير لابن عاشور ٢٠٣/١٠.

(٧) - سورة التوبة: آية ٤٠.

بكر، والتقدير: إذ يقول محمد لصاحبه أبي بكر لا تحزن، ولأن الحزن والخوف كان حاصلًا لأبي بكر لا للرسول عليه الصلاة والسلام، فإنه عليه السلام كان آمنًا ساكن القلب بما وعده الله أن ينصره على قريش فلما قال لأبي بكر لا تحزن صار آمنًا، فصرف السكينة إلى أبي بكر ليصير ذلك سببًا لزوال خوفه، أولى من صرفها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، مع أنه قبل ذلك ساكن القلب قوي النفس^(١).

وذكر الإمام الرازي في تفسير هذه الآية بعض وجوه فضيلة أبي بكر رضي الله عنه في ضوء هذه الآية الكريمة، أذكرها ملخصًا.

- اصحابه النبي -صلى الله عليه وسلم- في وقت الهجرة واختاره للسفر، وترك غيره مع أنهم كانوا أقرب في النسب إلى شجرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو لم يفارق النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا خوف الشديد.
- سماه الله تعالى ثاني محمد -صلى الله عليه وسلم- إذ هما في الغار، وكان أبو بكر ثاني محمد -صلى الله عليه وسلم- في أكثر المناصب الدينية أي في الدعوة إلى الإسلام و الغزوات والمجلس والإمامة وغير ذلك من أهم الأمور.
- لما حزن أبو بكر قال النبي صلى الله عليه وسلم «مَا ظَنُّكَ بِاِثْنَيْنِ اللهُ تَالِهُمَا^(٢)» ؟
- اوصفه الله تعالى بكونه صاحباً للرسول.
- عندما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، ما كان معه إلا أبو بكر، والأنصار ما رأوا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحداً إلا أبا بكر.
- فعلم أن إختياره للنبي -صلى الله عليه وسلم- من أمر الله تعالى، وهذا يدل على فضله وشرفه^(٣).

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٥٧/١٤، والتفسير الكبير للرازي ٥٢/١٦.

(٢) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب قوله: (ثَانِي اِثْنَيْنِ اِذْ هُمَا فِي الْغَارِ...) ٦٦/٦، حديث رقم: ٤٦٦٦.

(٣) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٤٩/١٦.

الوصف الثالث والرابع: إخلاصه وتقواه.

لقد أثنى الله تعالى على الصحابة جميعاً بإخلاصهم وتقواهم كما وضحت في الفصل الأول من هذه الرسالة ، وكان أبو بكر رضي الله عنه داخل في هذا الثناء ولكن أثنى الله تعالى عليه منفرداً بإخلاصه وتقواه ، وهذا يدل على شرفه وفضله. والآية التي تدل على وصفه؛ أي إخلاصه وتقواه هي قوله تعالى:

﴿ وَسَيَجْزِيهِ اللَّهُ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾^(١)

يرى أكثر المفسرين أن المراد منه أبو بكر - رضي الله عنه - لأنه أعتق ناساً لم يلتمس منهم جزاء ولا شكوراً، ستة أو سبعة، بل كان يطلب أن يكون عند الله زاكياً، ولا يطلب بذلك رياء بل يتصدق به مبتغياً به وجه الله تعالى. وذكروا القصص المختلفة التي تتعلق بإخلاصه وتقواه منها إنفاق ماله في شراء بعض الصحابة (مثلاً بلال، وعامر بن فهيرة وغيرهما) واعتاقهم^(٢) لمرضاة الله تعالى. لذا أثنى الله تعالى عليه في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * ﴾^(٣)

قال ابن عاشور: اتفق أهل التأويل على أن أول مقصود بهذه الصلة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما أعتق بلالاً قال المشركون: ما فعل ذلك أبو بكر إلا ليد كانت لبلال عنده. وهو قول من بهتانهم (يعلون به أنفسهم كراهية لأن يكون أبو بكر فعل ذلك محبة للمسلمين) ، فأنزل الله تكذيبهم بقوله: "وما لأحد عنده من نعمة تجزى"^(٤).

(١) - سورة الليل: آية ١٧-٢١.

(٢) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٤٨٠/٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٨/٢٠.

(٣) - سورة الليل: آية ١٨-٢٠.

(٤) - التحرير والتوير لابن عاشور ٣٩١/٣٠.

وقال السيوطي : قد علمت مما ذكر أن فرض المسألة في لفظ له عموم أما آية نزلت في معين ولا عموم للفظها فإنها تقصر عليه قطعا كقوله تعالى: (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى^(١)) فإنها نزلت في أبي بكر الصديق بالإجماع وقد استدلل بها الإمام فخر الدين الرازي مع قوله: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ^(٢)) على أنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ووهم من ظن أن الآية عامة في كل من عمل عمله إجراء له على القاعدة وهذا غلط فإن هذه الآية ليس فيها صيغة عموم إذ الألف واللام إنما تفيد العموم إذا كانت موصولة أو معرفة في جمع زاد قوم: أو مفرد بشرط ألا يكون هناك عهد واللام في " الأتقى " ليست موصولة لأنها لا توصل بأفعل التفضيل إجماعا " والأتقى " ليس جمعا بل هو مفرد والعهد موجود خصوصا مع ما يفيد صيغة " أفعل " من التمييز وقطع المشاركة فبطل القول بالعموم وتعين القطع بالخصوص والقصر على من نزلت فيه رضي الله عنه^(٣).

ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما قال عمر بن الخطاب: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، قال: فجنئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيء أبدا^(٤).

الوصف الخامس والسادس: عفوه وكرمه.

لقد أثنى الله تعالى على أبي بكر - رضي الله عنه - بعفوه وكرمه في قوله تعالى:

(١) - سورة الليل: آية ١٧-١٨.

(٢) - سورة الحجرات: آية ١٣.

(٣) - الإتيقان للسيوطي ١/١١٢-١١٣.

(٤) - أخرجه الترمذی فی سننه أبواب المناقب ، باب مناقب أبي بكر ٦١٤/٥ ، حديث رقم: ٣٦٧٥

قال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: حسن.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١)

يرى أكثر المفسرين أن المراد بأولي الفضل أبو بكر -رضي الله عنه- والآية نزلت له وذكر المفسرون سبب نزول هذه الآية المتعلقة بالإفك عندما إتهم المنافقون عائشة -رضي الله عنها- فبعض الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رموا عائشة بالقبيح، وأفشوا ذلك وتكلموا به، ولكن عند ما نزلت البراءة لعائشة -رضي الله عنها- فأقسم ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيهم أبو بكر، ألا يتصدق على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصله، فعندما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح^(٢) وهو ابن خالة أبي بكر، وقد كان يتيمًا في حجره وكان ينفق عليه وعلى قرابته، نزلت هذه الآية وقال سبحانه وتعالى: لا يقسم أولو الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم، وأن يعطوهم من أموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك، فأمر الله أن يغفر لهم وأن يعفو عنهم^(٣). فثبت من هذا التفصيل أن أبا بكر -رضي الله عنه- كان ذو فضل كما قال سبحانه وتعالى في هذه الآية وكان ينفق ماله في سبيل الله تعالى وعفا عن الذين شاركوا في تهمة بنته عائشة -رضي الله عنها- فهذه الآية تدل على وصفه أي الكرم والعفو.

ذكر بعض المفسرين بعض آيات أخرى في أوصاف أبي بكر -رضي الله عنه- منها ما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٤)

(١) - سورة النور: آية ٢٢.

(٢) - هو مسطح بن أثاثه بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، من قريش، أبو عباد: صحابي. من الشجعان الأشراف. كان اسمه عوفًا ولقب بمسطح فغلب عليه. أمه بنت خالة أبي بكر، وكان أبو بكر يموّنه لقربته منه، شهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها، توفي سنة أربع وثلاثون. أسد الغابة لابن الأثير ١٥٠/٥ و انظر: الأعلام للزركلي ٢١٥/٧.

(٣) - انظر جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ١٣٧/١٩، والتفسير الكبير للرازي ٣٤٨/٢٣.

(٤) - سورة الزمر: آية ٣٣.

فقال بعض المفسرين: إن المراد بالذى "صدق به" شخص معين وهو أبو بكر -رضى الله عنه- والآية نزلت له، وهذا القول مروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام وجماعة من المفسرين رضى الله عنهم.

وبعضهم قالوا إن المراد به كل من كان موصوفا بهذه الصفة وأبو بكر داخل فيها لأن المصديق الأول وأسبق الناس إلى التصديق هو أبو بكر -رضى الله عنه-، وأجمع العلماء على أن الأسبق الأفضل إما أبو بكر أو علي، ولكن حمل هذا اللفظ على أبي بكر أولى، لأن عليا -رضى الله عنه- كان وقت البعثة صغيرا، فكان كالولد الصغير وإقدامه على التصديق لا يفيد مزيد قوة وشوكة. أما أبو بكر فإنه كان رجلا كبيرا في السن كبيرا في المنصب، وإقدامه على التصديق يفيد مزيد قوة وشوكة في الإسلام، فكان حمل هذا اللفظ إلى أبي بكر أولى^(١).

فهذه مسألة خلافية فيما بين المفسرين كما ذكرتها بالتفصيل في الفصل الأول ، ولكن القول الراجح في هذا الباب هو القول الثانى وهو أن هذه الآية عامة لجميع الصحابة - رضوان الله عنهم - وتخصيص أبى بكر -رضى الله عنه - فى تفسير هذه الآية قول مرجوح. مع أن أبا بكر -رضى الله عنه - داخل فى جميع الصحابة بل كان المصدق الأول من جميع الصحابة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي^(٢). وأيضاً ذكر ابن كثير فى تاريخه قصة قبول إسلام أبى بكر وقال أول من أسلم هو أبو بكر -رضى الله عنه-، وقال: إن أبا بكر الصديق لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد؟ من تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آبائنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بلى إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٩٠/٢١ ، والتفسير الكبير للرازي ٤٥٢/٢٦ .

(٢) - أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذا خليلا» ٥/٥ ، حديث رقم: ٣٦٦١ .

وأدعوك إلى الله بالحق، فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره، والموالاته على طاعته " وقرأ عليه القرآن، فلم يقر ولم ينكر، فأسلم وكفر بالأصنام، وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق. (١)

والآية الأخرى من هذا القسم أى الآيات التى ذكرها بعض العلماء والمفسرون فى أوصاف أبى بكر رضى الله عنه - هى قوله تعالى:

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٢)

فقال بعض المفسرين إنها نزلت فى فضل أبى بكر الصديق، لأنه كان أول من أنفق المال على رسول الله فى سبيل الله (٣).

ولكن هذه الآية ليست خاصة لأبى بكر - رضى الله عنه - بل عامة لجميع الصحابة الذين آمنوا قبل فتح مكة وأنفقوا أموالهم على أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وإن كان أبو بكر رضى الله عنه - داخل فيهم لأنه قد أنفق ما لا كثيراً على أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما ذكرت فى تفسير الآية ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * (٤) قصة إنفاق ماله فى رواية عمر رضى الله عنه أخرجه الترمذى.

وما روى عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئنه الله به يوم القيامة، وما نفعني مال

(١) - البداية والنهاية لابن كثير ٣/٣٧، ن: دار إحياء التراث العربى الطبعة: الأولى ١٤٠٨.

(٢) - سورة الحديد: آية ١٠.

(٣) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢٤٠، والتفسير الكبير للرازي ٢٩/٤٥٣، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٣٧/٣٧٥.

(٤) - سورة الليل: آية ١٨-٢٠.

أحد قط ما نفعتني مال أبي بكر، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن صاحبكم خليل الله»^(١).

(١) - أخرجه الترمذى ، أبواب المناقب ، باب مناقب أبى بكر ٦٠٩/٥ ، حديث رقم: ٣٦٦١ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقال الألبانى : صحيح.

المطلب الثاني: ما نزل من القرآن في موافقات عمر رضي الله عنه وأوصافه.

ذكر المفسرون في تفسير بعض الآيات أنها نزلت في موافقة عمر رضي الله عنه - وإن كان اسمه ليس مذكور في هذه الآيات ولكن يرى أكثر المفسرين في سبب نزولها أنها نزلت في موافقته ، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»^(١).

وكما أخرج البخاري عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، " وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: (وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ^(٢)) وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه، فقلت لهن: (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ^(٣))، فنزلت هذه الآية " ^(٤).

وقد قال ابن كثير بعد نقل هذه الرواية: إنه وافق القرآن في أماكن، منها في نزول الحجاب، ومنها في أسارى بدر، ومنها قوله: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله: واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ^(٥).

(١) - أخرجه الترمذي في سننه ، ابواب المناقب ، باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ٦١٧/٥، حديث رقم: ٣٦٨٢، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وصححه الألباني.

(٢) - سورة البقرة: آية ١٢٥.

(٣) - سورة التحريم: آية ٥.

(٤) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلوة ، باب ما جاء في القبلة، ومن لم ير الإعادة على من سها، فصلى إلى غير القبلة ٨٩/١ ، حديث رقم: ٤٠٢.

(٥) - تفسير ابن كثير ٨/١٦٥.

والآيات من هذا النوع كثيرة ، كما أشار إليها ابن كثير فى قوله: "وقد تقدم أنه وافق القرآن فى أماكن^(١)" وكما قال السيوطى: إن بعض المفسرين قد أوصلوا هذه الآيات إلى أكثر من عشرين^(٢).

فسأذكر بعض آيات منها فى هذاالمقام ، لكى يبرز العنوان بالإختصار ، مثل قول الله تعالى:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٣)

يرى أكثر المفسرين أن هذه الآية نزلت فى موافقة عمر -رضى الله عنه- فذكر الطبرى فى تفسيره بسنده عن أنس بن مالك قال، قال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله، لو اتخذت المقام مصلى! فأنزل الله: "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى"^(٤). وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِن إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَخْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَخْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تُنكِحُوا أَرْوَاحَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾^(٥)

(١) - تفسير ابن كثير ١٦٥/٨.

(٢) - تاريخ الخلفاء لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ٩٩/١ ، ن: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى: ١٤٢٥ هـ ، وانظر: الإتقان فى علوم القرآن للسيوطي ١٢٧/١. ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: ١٣٩٤ هـ.

(٣) - سورة البقرة: آية ١٢٥.

(٤) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ٣٠/٢ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١٢/٢ ، والتفسير الكبير للرازي ٤٤/٤ ، والحديث سبق تخريجه ص ١٥٩.

(٥) - سورة الأحزاب: آية ٥٣.

يرى أكثر المفسرين أن آية الحجاب نزلت عندما قال عمر -رضي الله عنه- لرسول الله عليه وسلم أن يأمر النساء أن يحتجبن، ولكن اختلفوا في تعيين آية الحجاب مع أن أكثر المفسرين ذكروا أن آية الحجاب هي هي، ولكن عند البعض آية الحجاب مختلفة. فنقل المفسرون الرواية عن أنس، قال: قال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن؟ قال: فنزلت آية الحجاب. (١) وقوله تعالى:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِيَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ * (٢)

يرى أكثر المفسرين أن هذه الآية نزلت في موافقة عمر -رضي الله عنه- ونقل المفسرون الرواية، عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهنّ: عسى ربه إن طلقهن أن يبدله أزواجًا خيرا منكنّ، قال: فنزل كذلك. (٣) وقوله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَنَّةٍ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ * (٤)

قال ابن جرير: "كان سبب قيلهم ذلك، من أجل مناظرة جرت بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبينهم، في أمر النبي صلى الله عليه وسلم" (٥). وقوله تعالى:

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣١٤/٢٠، وتفسير ابن كثير ٤٥١/٦.

(٢) - سورة التحريم: آية ٥.

(٣) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٤٨٨/٢٣، وابن كثير ١٦٤/٨.

(٤) - سورة البقرة: آية ٩٧.

(٥) - جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣٨١/٢.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)

ذكر ابن كثير رواية في تفسير هذه الآية و قال: عن عمر أنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا. فنزلت هذه الآية التي في البقرة: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ)^(٢) فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا. فنزلت الآية التي في النساء: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى)^(٣) ، فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادى: ألا يقربن الصلاة سكران. فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا. فنزلت الآية التي في المائدة. فدعي عمر، فقرئت عليه، فلما بلغ: (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)^(٤) ؟ قال عمر: انتهينا، انتهينا^(٥).

(١) - سورة البقرة: آية ٢١٩.

(٢) - سورة البقرة: آية ٢١٩.

(٣) - سورة النساء: آية ٤٣.

(٤) - سورة المائدة: آية ٩١.

(٥) - تفسير ابن كثير ٥٧٨/١ والحديث أخرجه النسائي، كتاب الأشربة ، باب تحريم الخمر ، ٢٨٦/٨ ، حديث رقم: ٥٥٤٠ ، وصححه الألباني.

وقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١)

قال الآلوسی إن سبب نزول هذه الآية - كما قال الشعبي ومجاهد: ما مر من قصة بشر - واليهودي اللذين قضى بينهما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بما قضى^(٢).

وذكر ابن كثير أنها نزلت في بشر المنافق دعاه يهودي في خصومة بينهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا هو اليهودي إلى كعب بن الأشرف ثم تحاكما إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فحكم لليهودي فلم يرض المنافق بقضائه عليه الصلاة والسلام وقال: نتحاكم إلى عمر رضي الله تعالى عنه فلما ذهب إليه قال له اليهودي: قضى لي النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق: أكذاك؟ فقال: نعم فقال: مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل رضي الله تعالى عنه بيته وخرج بسيفه فضرب عنق ذلك المنافق حتى برد وقال: هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فنزلت^(٣).

وقد ذكر الآلوسی أن جبريل عليه السلام قال: إن عمر فرق بين الحق والباطل فسمي لذلك الفاروق، وروي هذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما^(٤).

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٥)

(١) - سورة النساء: آية ٦٤-٦٥.

(٢) - تفسير روح المعاني للآلوسی ٦٩/٣.

(٣) - انظر: تفسير ابن كثير ٣٥١/٢.

(٤) - تفسير روح المعاني للآلوسی ٣٨٥/٩.

(٥) - سورة الأنفال: آية ٦٧.

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية قصة أسارى بدر وهى: لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، قومك وأهلك، استبقهم واستأنهم، لعل الله أن يتوب عليهم. وقال عمر: يا رسول الله، كذبوك وأخرجوك، قدمهم فاضرب أعناقهم! وقال عبد الله بن رواحة^(١): يا رسول الله، انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه، ثم أضرمه عليهم نارا. قال: فقال له العباس: قطعت رحمك! فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبههم، ثم دخل. فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر. وقال ناس: يأخذ بقول عمر. وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة. ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة! وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم، قال: (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(٢)، ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال: (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ)^(٣)، الآية. ومثلك يا عمر مثل نوح، قال: (رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ضِيَارًا)^(٤)، ومثلك كمثلى موسى قال: (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَذُوقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ)^(٥). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنتم اليوم عالة^(٦)، فلا ينفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق. قال عبد الله بن مسعود: إلا سهيل بن بيضاء، فإني سمعته يذكر الإسلام! فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما رأييتي في يوم أخوف أن تقع

(١) - تقدمت ترجمته.

(٢) - سورة إبراهيم: ٣٦.

(٣) - سورة المائدة: ١١٨.

(٤) - سورة نوح: ٢٦.

(٥) - سورة يونس: ٨٨.

(٦) - قال المحقق أحمد محمد شاكر: "العالة": الفقراء ذوي الفاقة، جمع "عائل". و "عال الرجل"، احتاج واقتصر.

علي الحجارة من السماء، مني في ذلك اليوم، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إلا سهيل بن بيضاء. قال: فأنزل الله: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُتَخَنَ فِي الْأَرْضِ^(١)) ، إلى آخر الثلاث الآيات^(٢).

وقد روى الحاكم في المستدرک عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخل سبيلهم. فاستشار عمر فقال: اقتلهم. قال: ففداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم " فأنزل الله عز وجل (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُتَخَنَ فِي الْأَرْضِ^(٣)) إلى قوله (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا^(٤)) قال: فلقى النبي صلى الله عليه وسلم عمر قال: كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء^(٥).

هذه الآيات ذكرتها كنموذج فقط، و قد ذكر بعض العلماء أن هذا النوع من الآيات أكثر من عشرين كما صرح به السيوطي وذكر هذه الآيات في كتابه تاريخ الخلفاء والإتقان في علوم القرآن،^(٦) وهذه الآيات كلها تدل على موافقة عمر -رضي الله عنه- مع الله تعالى وشدته على الكفار وعلى المنافقين لذا قال بعض المفسرين إن المراد بقوله تعالى ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ...﴾*^(٧) عمر بن الخطاب كما قال الخازن:

(١) - سورة الأنفال: آية ٦٧.

(٢) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٦١/١٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٦/٨، والتفسير الكبير للرازي ٤٤/٤.

(٣) - سورة الأنفال: آية ٦٧.

(٤) - سورة الأنفال: آية ٦٩.

(٥) - أخرجه الحاكم في مستدرکه ، ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الأنفال ٣٥٩/٢ ، حديث رقم: ٣٢٧٠ ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في الهامش: صحيح على شرط مسلم.

(٦) - انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ٩٩/١، والإتقان للسيوطي ١٢٧/١.

(٧) - سورة الفتح: آية ٢٩.

"والذين معه) يعني أبا بكر الصديق (أشداء على الكفار) عمر بن الخطاب (رحماء بينهم)
عثمان بن عفان (تراهم ركعا سجدا) علي بن أبي طالب (يبتغون فضلا من الله ورضوانا)
بقية الصحابة" (١)

ولكن كما ذكرت في الفصل الأول أن هذه الآية عامة في جميع الصحابة ولا تخصيص
لأحد ، وإن كان عمر رضى الله عنه - داخل فيهم ، كما يبرز من أسباب نزول الآيات
المذكورة والأحاديث المذكورة.

(١) - تفسير الخازن ١٧٢/٤.

المطلب الثالث: ما نزل من القرآن في أوصاف زيد بن حارثة-رضى الله عنه.
لقد ذكر الله تعالى أوصاف الصحابة في القرآن الكريم ولم يذكر أسماءهم في الآيات
القرآنية ، فعرفنا مصداق هذه الآيات و أسماء الصحابة من أسباب نزول هذه الآيات، إلا
زيد بن حارثة - رضى الله عنه - . لقد ذكر الله تعالى اسمه في كتابه وذكر له وصفين
في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ
مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ
لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
مَفْعُولًا *﴾ (١)

أجمع المفسرون على أن المراد "بالَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ" هو زيد بن حارثة-
رضى الله عنه- لأن الله تعالى أنعم عليه و هداه إلى الإسلام والنبي-صلى الله عليه
وسلم- أيضاً أنعم عليه و أعتقه وتبناه^(٢)، والآية تدل على نفس المراد لأن اسمه مذكور
في الآية ، و هذا الصحابي هو الوحيد الذي ذكر اسمه في القرآن الكريم.

فذكر الله تعالى في هذه الآية وصفيه كما قال القشيري.

أنعم الله عليه بأن هداه إلى الإسلام ، وذكره وأفرده من بين الصحابة باسمه.

أنعم النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن أعتقه وتبناه^(٣).

وقال الألويسي : إذ تقول خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي اذكر وقت قولك للذي أنعم
الله عليه بتوقيفه للإسلام وتوفيقك لحسن تربيته وعتقه ومراعاته وتخصيصه بالتبني ومزيد

(١) - سورة الأحزاب: آية ٣٧.

(٢) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٧٢/٢٠، والتفسير الكبير للرازي ١٦٩/٢٥،
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨٨/١٤.

(٣) - انظر: لطائف الإشارات تفسير القشيري لعبد الملك القشيري ١٦٣/٣.

القرب وأنعمت عليه بالعمل بما وفقك الله تعالى له من فنون الإحسان التي من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه، وإيراده بالعنوان المذكور^(١).

وقال ابن عاشور: المراد بقوله تعالى "للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه" هو زيد بن حارثة ، فالله أنعم عليه بالإيمان والخلاص من أيدي المشركين بأن يسر دخوله في ملك رسوله صلى الله عليه وسلم، والرسول عليه الصلاة والسلام أنعم عليه بالعنق والتبني والمحبة، ويأتي التصريح باسمه العلم إثر هذه الآية في قوله: فلما قضى زيد منها وطرا^(٢).

ونذكر المفسرون في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٣) الآية عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «إن زيد بن حارثة، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن»، "ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله"^(٤) فهذا يدل على فضله وشرفه.

وقد ذكر ابن حجر سبب تبنيه بأنه كان مسيباً من الشام، سبته خيل من تهامة، فابتاعه حكيم بن حزام بن خويلد، فوهبه لعمته خديجة فوهبته للنبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه، فأقام عنده مدة، ثم جاء عمه وأبوه يرغبان في فدائه، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل البعث: (خيراه فإن اختاركما فهو لكما دون فداء). فاختار الرق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه، فقال محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: (يا معشر قريش اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه) وكان يطوف على خلق قريش يشهدهم على ذلك، فرضي ذلك عمه وأبوه وانصرفا^(٥).

(١) - انظر: تفسير روح المعاني للالكوسي ٢٠٣/١١.

(٢) - انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٩/٢٢.

(٣) - سورة الأحزاب: آية ٥.

(٤) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١٨/١٤، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب تفسير القرآن ، باب ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ، ١١٦/٦ ، حديث رقم: ٤٧٨٢.

(٥) - انظر: الإصابة لابن حجر ٤٩٤/٢ - ٤٩٨.

ورواية أخرى تدل على نفس الموضوع أى أنه اختار النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يذهب مع أخيه ، ما روى عن أبي عمرو الشيباني^(١)، قال: أخبرني جبلة بن حارثة، أخو زيد قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله ابعث معي أخي زيدا قال: «هو ذا، فإن انطلق معك لم أمنعه». قال زيد: يا رسول الله، والله لا أختار عليك أحدا، قال: فرأيت رأي أخي أفضل من رأيي^(٢).

ومن الأحاديث التي تدل على فضله وشرفه ما روى عن عائشة، قالت: ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم، ولو بقي بعده لاستخلفه^(٣) وما روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم، بعثا، وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وإيم الله إن كان لخليقا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده»^(٤).

(١) - هو سعد بن إياس بن أبي إياس ، مشهور بكنته، أبى عمرو الشيباني. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقدم بعده، ثم نزل الكوفة وانتقوا على توثيقه. وروى عن أبي مسعود وعطي وحذيفة وغيرهم. روى عنه أبو إسحاق الشيباني، والأعمش، وغيرهما، مات سنة ٩٦ هـ. انظر: الإصابة لابن حجر ٢٠٩/٣.

(٢) - أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب ، باب مناقب زيد بن حارثة ٦٧٦/٥ ، حديث رقم: ٣٨١٥ ، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن الرومي عن علي بن مسهر ، وقال الألباني في الهامش: حسن.

(٣) - أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ٤٣/٤١٣ حديث رقم: ٢٦٤١١ ، وقال الأرئوط في التعليق: إسناد حسن إن صح سماع البهي من عائشة ، والنسائي في السنن الكبرى ٣٢٢/٧ ، حديث رقم: ٨١٢٦.

(٤) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أصحاب النبي باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، ٢٣/٥ ، حديث رقم: ٣٧٣٠.

المطلب الرابع: ما نزل من القرآن في عبد الله ابن أم مكتوم^(١) و أوصافه.

كان النبي -صلى الله عليه وسلم- حريصاً على أن يقبل المشركين الإسلام وكان يبلغهم ويدعوهم إلى الإسلام صباحاً ومساءً، والمشركون كانوا يعترضون على وجود بعض فقراء الصحابة ، لذا في بعض الأحيان كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو المشركين إلى الإسلام منفرداً. فمرة بعض عظماء المشركين كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم - كان يدعوهم إلى الإسلام ، وقد طمع في إسلامهم، فأقبل عبد الله بن أم مكتوم، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطع عبد الله عليه كلامه، فأعرض عنه، فأنزل الله تعالى الآيات وذكر فيها أوصاف عبد الله بن أم مكتوم -رضي الله عنه- وهي قوله تعالى:

﴿عَسَىٰ وَتَوَلَّىٰ ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۖ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۚ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۖ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۚ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۚ وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۖ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۚ﴾^(٢)
يرى أكثر المفسرين أن هذه الآيات نزلت بسبب عبد الله بن أم مكتوم -رضي الله عنه- وذكروا القصة التي تتعلق بنزول هذه الآية وهي: أن قوماً من أشرف قريش كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد طمع في إسلامهم، فأقبل عبد الله بن أم مكتوم، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطع عبد الله عليه كلامه، فأعرض عنه، ففيه نزلت هذه الآية. و فيها ثناء عليه و مدح له "وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۖ وَهُوَ يَخْشَىٰ" أي أنه جاء إلى

(١) - هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم، هو ابن أم مكتوم المؤذن، وأمه أم مكتوم، واختلف في اسم ابن أم مكتوم، ف قيل عبد الله، وقيل: عمرو، وهو الأكثر عند أهل الحديث، وقال ابن حبان: كان اسمه الحصين فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله، وكان ممن قدم المدينة مع مصعب بن عمير قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته، وقتل شهيداً بالقادسية. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١١٩٩/٣، وانظر: الإصابة لابن حجر ٤/٤٩٤.

(٢) - سورة عبس: آية ١-٩.

النبي - صلى الله عليه وسلم - سعيًا و هو يخشى الله تعالى. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه، ويقول: إذا رآه «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي» ويقول: هل لك من حاجة، واستخلفه على المدينة مرتين^(١).

فذكر الله تعالى وصفين لعبد الله بن أم مكتوم في هذه الآية وهما.

١. السعي: والمراد بالسعي كما قال ابن عاشور: شدة المشي، كني به عن الحرص على اللقاء فهو مقابل لحال من استغنى لأن استغناؤه استغناء الممتنع من التصدي له.

٢. والخشية: في قوله تعالى: "وهو يخشى" قال ابن عاشور: وجملة "وهو يخشى" في موضع الحال، وحذف مفعول يخشى لظهوره لأن الخشية في لسان الشرع تنصرف إلى خشية الله تعالى. والمعنى: أنه جاء طلبا للتركية لأن يخشى الله من التقصير في الاسترشاد. واختير الفعل المضارع لإفادته التجدد^(٢).

والآية الأخرى التي نزلت لعبد الله بن أم مكتوم هي قوله تعالى:

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٣)

(١) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١١/١٩، جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢١٧/٢٤، والتفسير الكبير للرازي ٥٢/٣١، والحديث أخرجه الترمذي في سننه عن عائشة بقرين منه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن تفسير سورة عبس، ٤٣٢/٥، حديث رقم: ٣٣٣١، وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني في هامش النسائي صحيح الإسناد.

(٢) - انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٩/٣٠.

(٣) - سورة النساء: آية ٩٥.

ذكر المفسرون أن كلمة "غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ" نزلت لعبد الله بن أم مكتوم^(١) ، كما أخرج البخاري وغيره من المحدثين عن سهل بن سعد^(٢) الساعدي، أنه رأى مروان بن الحكم^(٣) في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُملى عليه: "لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" والمجاهدون في سبيل الله"، فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها علي، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى، «فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وفخذه على فخذِي، فنقلت علي حتى خفت أن ترض فخذِي، ثم سري عنه»، فأنزل الله: (غير أُولِي الضَّرَرِ)^(٤).

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٨٧/٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٤٢/٥.

(٢) - هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الأنصاري الساعدي. من مشاهير الصحابة، يقال: قال الزهري: وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، مات سنة ٩١ هـ. وقيل قبل ذلك. انظر: الإصابة لابن حجر ١٦٧/٣.

(٣) - هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي. ابن عم عثمان، وكاتبه في خلافته. ولد بعد الهجرة بسنتين، أو بأربع. وروى عن الصحابة، عمر، وعثمان، وعلي، وزيد بن ثابت وغيرهم. وروى عنه من التابعين ابنه عبد الملك، وعلي بن الحسين، وغيرهما وأنكر بعضهم أن يكون له رواية، ومات في شهر رمضان سنة خمس وستين. الإصابة لابن حجر ٢٠٣/٦.

(٤) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ٤٧/٦، حديث رقم: ٤٥٩٢، والنسائي في سننه، كتاب الجهاد، فضل المجاهدين على القاعدين، ٩/٦، حديث رقم: ٣٠٩٩، وقال الألباني في الهامش: صحيح.

المطلب الخامس: ما نزل من القرآن في عمارين ياسر^(١) رضى الله عنه وغيره.

عند ما دعا النبي - صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام فقبل بعضهم وأنكر البعض. والمنكرون كانوا يؤذون النبي والصحابة. فكان عمار بن ياسر من هؤلاء الصحابة أى السابقين إلى الإسلام وقد أسلم أبوه وأسلمت أمه أيضا وكانوا ممن يعذب في الله فكان النبي - صلى الله عليه وسلم يمرّ عليهم، فيقول: «صبرا آل ياسر موعدكم الجنة»^(٢).

فمرة أخذه المشركون وأخذوا أباه وأمه سمية^(٣) وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم، وربطت سمية بين بعيرين ووجئ قبلها بحرية، وقيل لها إنك أسلمت من أجل الرجال، فاستشهدت واستشهد زوجها ياسر. وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها. فذكر الله تعالى في قوله:

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٤)

يرى أكثر المفسرين أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر - رضى الله عنه - فقالوا: في سبب نزول هذه الآية: إن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر، لأنه قارب بعض ما ندبوه إليه. قال ابن عباس: أخذه المشركون وأخذوا أباه وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم، وربطت سمية بين بعيرين ووجئ قبلها بحرية، وقيل لها إنك أسلمت من أجل الرجال، فقتلت وقتل زوجها ياسر. وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها، فقيل: يا

(١) - تقدمت ترجمته.

(٢) - الإصابة لابن حجر ١٩٠/٨ ، والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣٠٣/٢٤ ، حديث رقم: ٧٦٩.

(٣) - تقدمت ترجمتها.

(٤) - سورة النحل: آية ١٠٦.

رسول الله إن عمارا كفر فقال: كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه^(١)، واختلط الإيمان بلحمه ودمه، فأتى عمار: رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول: ما لك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت^(٢). ومن الأحاديث التي تدل على فضيلة عمار - رضى الله عنه - ما روى عن علي، قال: جاء عمار يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أئذنوا له، مرحبا بالطيب المطيب^(٣)»

وعن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أَرشدهما^(٤)»

والآية الأخرى التي تدل على فضل عمار - رضى الله عنه - وغيره من فقراء الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم ، هي قوله تعالى:

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾

(١) - أخرجه ابن ماجه فى سننه بقريب منه، باب فى فضائل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فضل عمار بن ياسر ، ١٠٣/١ ، حديث رقم: ١٤٦ ، ن: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م وقال المحقق شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، وأخرجه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة ، مختصراً ٨٥٨/٢ ، حديث رقم: ١٦٠٠.

(٢) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ٣٠٤/١٧ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨٠/١٠ ، والبيضاوى ٢٤١/٣.

(٣) - أخرجه الترمذى فى سننه ، ابواب المناقب ، باب مناقب عمار بن ياسر ، ٦٦٨/٥ ، حديث رقم: ٣٧٩٨ ، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألبانى فى الهامش.

(٤) - أخرجه الترمذى فى سننه ، ابواب المناقب ، باب مناقب عمار بن ياسر ، ٦٦٨/٥ ، حديث رقم: ٣٧٩٨ ، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وصححه الألبانى فى الهامش.

(٥) - سورة الأنعام: آية ٥١-٥٢.

نزلت هذه الآيات في سعد وابن مسعود وبلال وصهيب وخباب وعمار رضي الله عنهم^(١) كما ذكر ابن جرير في تفسيره بسنده عن ابن مسعود قال: مرّ الملائكة من قریش بالنبي صلى الله عليه وسلم، وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب، ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، أَرْضِيتَ بهؤلاء من قومك؟ هؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا؟ أنحن نكون تبعًا لهؤلاء؟ اطردهم عنك! فلعلك إن طردتهم أن نتبعك! فنزلت هذه الآية: "ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه" وكذلك فتنا بعضهم ببعض"، إلى آخر الآية.^(٢)

وأخرج مسلم عن سعد، قال: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر، فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: اطرده هؤلاء لا يجترئون علينا. قال وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل: ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه"^(٣).

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣٧٤/١١، و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٣١/٦.

(٢) - جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣٧٤/١١، والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود ٩٢/٧، حديث رقم: ٣٩٨٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والطبراني، إلا أنه قال: فقالوا: يا محمد، هؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ لو طردت هؤلاء لاتبعتك فأنزل الله: ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي إلى قوله: ليس الله بأعلم بالشاكرين [الأُنعام: ٥٣]. ورجال أحمد رجال الصحيح غير كردوس وهو ثقة.

(٣) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص، ١٨٧٨/٤، حديث رقم: ٢٤١٣.

فذكر الله تعالى أوصافهم في هذه الآية ، وهي .

١ . دعاؤهم عند ربهم بالغداة والعشي .

قال القرطبي في المراد بالدعاء: المحافظة على الصلاة المكتوبة في الجماعة، قاله ابن عباس ومجاهد والحسن . وقيل: الذكر وقراءة القرآن . ويحتمل أن يريد الدعاء في أول النهار وآخره، ليستفتحوا يومهم بالدعاء رغبة في التوفيق . ويختموه بالدعاء طلباً للمغفرة . وخص الغداة والعشي بالذكر، لأن الشغل غالب فيهما على الناس، ومن كان في وقت الشغل مقبلاً على العبادة كان في وقت الفراغ من الشغل أعمل .

٢ . إخلاصهم .

" يريدون وجهه " أي طاعته، والإخلاص فيها، أي يخلصون في عبادتهم وأعمالهم لله، ويتوجهون بذلك إليه لا لغيره^(١) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يصبر نفسه معهم كما أمره الله في قوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ...﴾^(٢) ، فكان لا يقوم حتى يكونوا هم الذين ينتدئون القيام^(٣) .

وهذه الآية الثانية أي آية سورة الكهف تدل على نفس الموضوع كما قال الشنقيطي: نزلت هذه الآية الكريمة في فقراء المهاجرين كعمار، وصهيب، وبلال، وابن مسعود ونحوهم، لما أراد صناديد الكفار من النبي صلى الله عليه وسلم أن يطردوهم عنه، ويجالسهم بدون حضور أولئك الفقراء المؤمنين^(٤) .

ومن الأحاديث التي تدل على فضائلهم ما أخرجه الترمذي عن حذيفة، قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا بالذين

(١) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٣٣/٦ .

(٢) - سورة الكهف: آية ٢٨ .

(٣) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٣٣/٦ .

(٤) - انظر: أضواء البيان للشنقيطي ٢٦٣/٣ .

من بعدي - وأشار إلى أبي بكر وعمر - واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه^(١)» وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقتدوا بالذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود»^(٢) ومن فضائل بلال رضي الله عنه - ما ذكر البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم: «سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة»^(٣)

وعن عبد الله قال: " إن أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر رضي الله عنه فمنعه الله تعالى بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أذراع الحديد وأوقفوهم في الشمس، فما من أحد إلا قد آتاهم كلما أرادوا غير بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله عز وجل، وهان على قومه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وجعل يقول: أحد أحد^(٤).

(١) - أخرجه الترمذي في سننه أبواب المناقب ، باب مناقب عمار بن ياسر وكنيته أبو اليقظان رضي الله عنه ، ٦٦٨/٥ ، حديث رقم: ٣٧٩٩ وقال هذا حديث حسن ، وصححه الألباني في التعليق.

(٢) - أخرجه الترمذي في سننه ، أبواب المناقب ، باب مناقب عبدالله بن مسعود ٦٧٢/٥ ، حديث رقم: ٣٨٠٥ وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه وصححه الألباني.

(٣) - أورده البخاري في صحيحه ، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - باب مناقب بلال بن رباح ، مولى أبي بكر ، رضي الله عنهما ٢٧/٥ ، وأخرجه الحاكم في مستدركه ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٢٢/٣ ، حديث رقم: ٥٢٤٥ وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه " وقال الذهبي في التعليق: على شرط البخاري ومسلم.

(٤) - أخرجه الحاكم في مستدركه ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٢٠/٣ ، حديث رقم: ٥٢٣٨ وقال: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه" وقال الذهبي في التعليق: صحيح.

المبحث الخامس

أوصاف أهل بيت رسول الله.

التمهيد: من هم أهل البيت؟

المطلب الاول: الأوصاف العامة لأهل بيت النبي "صلى الله عليه وسلم".

المطلب الثاني: الأوصاف الخاصة لبعض أهل بيت النبي "صلى الله عليه وسلم".

المبحث الخامس: أوصاف أهل بيت رسول الله.

ذكر القرآن الكريم أوصاف أهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وأثنى عليهم ، ولأنهم كانوا من الصحابة لأن تعريف الصحابي {هو من لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - مؤمناً به ومات على الإسلام فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته أو قصرت ومن روى عنه أو لم يرو عنه ومن غزا معه أو لم يغز معه ومن رآه ولو لم يجالس، ومن لم يره لعارض كالعمى} ^(١) يطلق عليهم، وإن كانوا يسمون في الاصطلاح بـ"أهل البيت". لذا جعلت مبحثاً كاملاً لهذا القسم من الصحابة.

التمهيد: من هم أهل البيت؟

قبل أن أدخل في أوصاف أهل البيت لا بد أن أبين من هم أهل البيت؟ لكي نفهم الآيات نزلت فيهم.

"الأهل والآل" لغة:

قال الإمام الراغب أهل الرجل: من يجمعه وإياهم نسب أو دين، أو ما يجري مجراها من صناعة وبيت وبلد، وأهل الرجل في الأصل: من يجمعه وإياهم مسكن واحد، ثم تجوز به فقول: أهل الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب، وتعرف في أسرة النبي عليه الصلاة والسلام مطلقاً إذا قيل: أهل البيت لقوله عز وجل: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ^(٢)، وعبر بأهل الرجل عن امرأته. وأهل الإسلام: من يجمعهم، ولما كانت الشريعة حكمت برفع حكم النسب في كثير من الأحكام بين المسلم والكافر قال تعالى: وَأَهْلُكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ^(٣)، وقال تعالى: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ^(٤).

(١) - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ١/١٥٨.

(٢) - سورة الأحزاب: آية ٣٣.

(٣) - سورة هود: آية ٤٠.

(٤) - سورة هود: آية ٤٦.

وتَأَهَّلَ: إذا تزوّج، ومنه قيل: أَهَّلَكَ اللهُ في الجنة، أي: زوّجَكَ فيها وجعل لك فيها أهلاً يجمعك وإياهم، ويقال: فلان أَهْلٌ لكذا، أي: خَلِيق به، ومرحباً وأهلاً في التحية للنازل بالإنسان، أي: وجدت سعة مكان عندنا، ومن هو أَهل بيت لك في الشفقة^(١). وجاء في لسان العرب: الأَهْلُ: أَهل الرَّجُلِ وأَهْلُ الدَّارِ، وَكَذَلِكَ الأَهْلَةُ؛ أَهل الرَّجُلِ عَشِيرَتُهُ وَذُوو قُرْبَاهُ، وَالْجَنَعُ أَهْلُونَ وَأَهَالٌ وَأَهَالٌ وَأَهْلَاتٌ وَأَهْلَاتٌ؛^(٢)

وجاء في تاج العروس: أَهْلُ الرَّجُلِ: عَشِيرَتُهُ وَذُوو قُرْبَاهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: فَابْتَغُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِيهَا. وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ: إِنْ لَمْ يَكُنْ مَلَكًا فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، تَسْبِيحُهُ: سُبْحَانَ مَنْ يَسُوقُ الْأَهْلَ إِلَى الْأَهْلِ. وَفِي الْمَثَلِ: { الْأَهْلُ إِلَى الْأَهْلِ أَسْرَعَ مِنْ السَّبِيلِ إِلَى السَّهْلِ، الْأَهْلُ لِلْبَيْتِ: سُكَّانُهُ وَمِنْ ذَلِكَ: أَهْلُ الْقَرْيَةِ: سُكَّانُهَا. الْأَهْلُ لِلْمَذْهَبِ: مَنْ يَدِينُ بِهِ وَيَعْتَقِدُهُ. }^(٣)

والآل: مقلوب من الأهل، ويصغر على أهيل إلا أنه خص بالإضافة إلى الأعلام الناطقين دون النكرات، ودون الأزمنة والأمكنة، يقال: آل فلان، ولا يقال: آل رجل ولا آل زمان كذا، أو موضع كذا، ولا يقال: آل الخياط بل يضاف إلى الأشرف الأفاضل، يقال: آل الله وآل السلطان. والأهل يضاف إلى الكل، يقال: أهل الله وأهل الخياط، كما يقال: أهل زمن كذا وبلد كذا^(٤).

أهل البيت اصطلاحاً:

قد اختلف أهل العلم في تعريف أهل البيت، على ثلاثة آراء.

(١) - المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) كتاب الألف، أهل، ٩٦/١-٩٧، ن: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

(٢) - انظر: لسان العرب مادة "أهل" حرف اللام فصل الألف ٢٨/١١.

(٣) - انظر: تاج العروس من جواهر القاموس مادة أهل ٤٠/٢٨-٤١.

(٤) - المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٩٨/١.

الرأى الأول: (هم أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم)

قال بعض العلماء أهل البيت هم زوجاته خاصة، لا رجل معهن^(١). واستدلوا بسياق الآية ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢) لأن المذكور قبل هذه الآية خطاب لنساء النبي خاصة، ولأن سياق الكلام يدل عليه صراحة، وذكر هذا الرأي في كتب كثيرة منها:

١. ما ذكر ابن جرير في تفسيره قال: عنى بذلك أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. وقال بسنده: كان عكرمة ينادي في السوق (إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) قال: نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة. ونقل ابن أبي حاتم في تفسيره نفس الرواية عن عكرمة.^(٣)

٢. وقال القرطبي في تفسيره "قال عكرمة وابن عباس: هم زوجاته خاصة، لا رجل معهن. وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي صلى الله عليه وسلم، لقوله تعالى: "واذكركن ما يتلى في بيوتكن".^(٤)

٣. وقال الشوكاني: إن أهل البيت المذكورين في الآية هن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم خاصة. قالوا: والمراد بالبيت بيت النبي صلى الله عليه وسلم ومساكن زوجاته لقوله: واذكرن ما يتلى في بيوتكن. وأيضاً السياق في الزوجات من قوله:

(١) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨٢/٤.

(٢) - سورة الأحزاب: آية ٣٣.

(٣) - جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٠/٢٦٧، و تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣١٣٢/٩.

(٤) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨٢/٤، وانظر: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ) ٢/٤٢٠، ن: مؤسسة الرسالة - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

يأيها النبي قل لأزواجك إلى قوله: واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً.^(١)

٤. وقال ابن عاشور: وأهل البيت: أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، والخطاب موجه إليهن وكذلك ما قبله وما بعده لا يخالط أحداً شك في ذلك، ولم يفهم منها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعون إلا أن أزواج النبي عليه الصلاة والسلام هن المراد بذلك وأن النزول في شأنهن.^(٢)

الرأي الثاني: (هم أصحاب الكساء)

قال بعض العلماء "أهل البيت" عني به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم.^(٣) واستدلوا بأحاديث صحيحة منها:

١. ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده قال: قالت عائشة: خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)^(٤) " (٥)

(١) - فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ٣٢٣/٤ ن:

دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى-١٤١٤هـ.

(٢) - التحرير والتنوير لابن عاشور لابن عاشور ١٥/٢٢.

(٣) - جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٦٧/٢٠.

(٤) - سورة الأحزاب: آية ٣٣.

(٥) - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم

وسلم ١٨٨٣/٤ ، حديث رقم: ٢٤٢٤.

٢. وما ذكره القرطبي في تفسيره قال: وقالت فرقة منهم الكلبي^(١): هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة، وفي هذا أحاديث عن النبي عليه السلام، واحتجوا بقوله تعالى: "ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم" بالميم ولو كان للنساء خاصة لكان "عنكن ويطهركن".^(٢)

٣. وقال الشوكاني: وقال أبو سعيد الخدري، ومجاهد، وقتادة، وروى عن الكلبي أن أهل البيت المذكورين في الآية هم علي، وفاطمة، والحسن، والحسين خاصة، ومن حججهم الخطاب في الآية بما يصلح للذكر لا للإناث، وهو قوله: عنكم ويطهركم ولو كان للنساء خاصة لقال عنكن ويطهركن.^(٣)

الرأي الثالث: (هم أصحاب الكساء وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم) قال أكثر العلماء إن هذه الآية أي آية التطهير عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهن و شاملة للزوجات ولعلي وفاطمة والحسن والحسين.^(٤) واستدلوا بالأحاديث الصحيحة والروايات المذكورة في الكتب الكثيرة منها:

١. ما ذكر صاحب تاج العروس بعد تشريح الكلمة "أهل" لغة، قال: من المجاز: الأهل للرجل: زوجته ويدخل فيه الأولاد، وبه فسر قوله تعالى: وسار ليأهله أي زوجته وأولاده} كأهله بالتاء. (و) {الأهل للنبي صلى الله عليه وسلم: أزواجه وبناته وصهره علي رضي الله عنه، أو نسأوه.^(٥)

(١) - هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، أبو ثور: الفقيه صاحب الإمام الشافعي. قال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلماء ورعا وفضلا، صنّف الكتب وفرّع على السنن، ونب عنها، يتكلم في الرأي فيخطئ ويصيب. مات ببغداد شيخا سنة ٢٤٠ هـ. الأعلام للزركلي ٣٧/١.

(٢) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨٢/٤.

(٣) - فتح القدير للشوكاني ٣٢١/٤.

(٤) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨٢/٤ و فتح القدير للشوكاني ٣٢١/٤.

(٥) - انظر: تاج العروس للزبيدي مادة أه ل ٤٠/٢٨-٤٥.

٢. والإمام الرازى فى تفسير آية التطهير بعد ذكر الأقوال المختلفة يقول والأولى أن يقال هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلي منهم لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته ببنت النبي عليه السلام وملازمته للنبي^(١).

٣. والقرطبى فى تفسير آية التطهير بعد ذكر الأقوال المختلفة يقول والذي يظهر من الآية أنها عامة فى جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم. وإنما قال: "ويطهركم" لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلياً وحسناً وحسيناً كان فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، فاقترضت الآية أن الزوجات من أهل البيت، لأن الآية فيهن، والمخاطبة لهن يدل عليه سياق الكلام. والله أعلم^(٢).

٤. وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية نظير دلالة هذه الآية على دخول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته ودلالة حديث عائشة رضي الله عنها المتقدم فى الرأى الثانى على دخول علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فى أهل البيت، مثل دلالة قول الله عز وجل: (لَمَسْجِدَ أُسِّسَ عَلَى النَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ^(٣)) على أن المراد به مسجد قباء، ودلالة السنة فى الحديث على أن المراد بالمسجد الذي أسس على النقوى مسجده صلى الله عليه وسلم^(٤).

٥. ورجح الشوكانى هذا الرأى عندما قال بعد ذكر الأقوال المختلفة فى هذا الباب: وقد توسطت طائفة ثالثة بين الطائفتين، فجعلت هذه الآية شاملة للزوجات ولعلي

(١) - التفسير الكبير للرازى ١٦٨/٢٥.

(٢) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٨٢/٤.

(٣) - سورة التوبة: آية ١٠٨.

(٤) - حقوق آل البيت لابن تيمية ٢٥/١ والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الحج ، باب بيان أن المسجد الذي أسس على النقوى هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ١٠١٥/٢ ، حديث رقم: ١٣٩٨.

وفاطمة والحسن والحسين، أما الزوجات فلكونهن المرادات في سياق هذه الآيات كما قدمنا، ولكونهن الساكنات في بيوته صلى الله عليه وسلم النازلات في منازلهن، ويعضد ذلك ما تقدم عن ابن عباس وغيره. وأما دخول علي وفاطمة والحسن والحسين فلكونهن قرابته وأهل بيته في النسب، ويؤيد ذلك ما ذكرناه من الأحاديث المصرحة بأنهم سبب النزول، فمن جعل الآية خاصة بأحد الفريقين فقد أعمل بعض ما يجب إعماله، وأهمل ما لا يجوز إهماله. وقد رجح هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبي، وابن كثير، وغيرهما.^(١)

وهذه الآراء الثلاثة هي المشهورة، وهناك أقوال أخرى ذكرها أهل العلم منها:

١. المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وحده.^(٢)
 ٢. وقال بعضهم إن المراد به جميع بني هاشم.^(٣)
 ٣. وقال بعضهم إن المراد من آل البيت جميع المؤمنين.^(٤)
 ٤. وقال بعضهم إن المراد من آل البيت علماء أمة الأنبياء - صلى الله عليه وسلم -.^(٥)
- والرأي الراجح في هذا الباب أن المراد بآل البيت هم من تحرم عليهم الصدقة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: القول الصحيح في المراد بآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم هم من تحرم عليهم الصدقة، وهم أزواجه وذريته، وكل مسلم ومسلمة من نسل عبد المطلب، وهم بنو هاشم بن عبد مناف، كما قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى: "وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة هكذا قال الشافعي وأحمد بن حنبل؛ وغيرهما من العلماء

(١) - فتح القدير للشوكاني ٣٢٣/٤.

(٢) - انظر: الصواعق المحرقة ٤٢١/٢.

(٣) - الصواعق المحرقة ٤٢٥/٢.

(٤) - تفسير روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ١٧٣/٧، ن: دار الفكر - بيروت.

(٥) - انظر: تفسير روح البيان لإسماعيل حقي ١٧٣/٧.

- رحمهم الله - فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد^(١)} وقد قال الله تعالى في كتابه: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا^(٢)} وحرم الله عليهم الصدقة لأنها أوساخ الناس^(٣).

وأيضاً قال الشوكاني: قال جماعة: هم بنو هاشم، واستدلوا بما تقدم من حديث ابن عباس، ويقول زيد بن أرقم المتقدم، حيث قال: ولكن آله من حرم الصدقة بعده: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس، فهؤلاء ذهبوا إلى أن المراد بالبيت بيت النسب^(٤).

وأما دليل القائلين بدخول أزواجه صلى الله عليه وسلم في آل بيته ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه بإسناد صحيح عن ابن أبي مليكة: أن خالد بن سعيد بعث إلى عائشة ببقرة من الصدقة فردتها، وقالت: «إنا آل محمد صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة»^(٥) وما ذكره ابن القيم: وإنما دخل الأزواج في الآل وخصوصاً أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تشبيهاً لذلك بالنسب؛ لأن اتصالهن بالنبي صلى الله عليه وسلم غير مرتفع، وهن

(١) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة، ٧٥٢/٢، حديث رقم: ١٠٧٢ عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أنه ذهب هو والفضل بن عباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبان منه أن يولييهما على الصدقة ليصيبا من المال ما يتزوجان به، فقال لهما صلى الله عليه وسلم: ((إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد؛ إنما هي أوساخ الناس))، ثم أمر بتزويجهما وإصداقهما من الخمس.

(٢) - سورة الأحزاب: آية ٣٣.

(٣) - مجموع الفتاوى لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) بيان فضيلة علي وقربه إلى الحق ممن قاتله ٤٠٧/٣، ن: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٤) - فتح القدير للشوكاني ٣٢٣/٤.

(٥) - أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة (المتوفى: ٢٣٥هـ) في مصنفه، كتاب الزكاة، باب من قال لا تحل الصدقة على بني هاشم، ٤٢٩/٢، حديث رقم: ١٠٧٠٨، ن: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

محرمات على غيره في حياته وبعد مماته، وهن زوجاته في الدنيا والآخرة، فالسبب الذي لهن بالنبي صلى الله عليه وسلم قائم مقام النسب، وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على الصلاة عليهن، ولهذا كان القول الصحيح . وهو منصوص الإمام أحمد رحمه الله . أن الصدقة تحرم عليهن؛ لأنها أوساخ الناس، وقد صان الله سبحانه ذلك الجناب الرفيع، وآله من كل أوساخ بني آدم^(١).

وأرى أن هذا الرأي هو الراجح؛ لأن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم دخلن في " أهل البيت " بسبب سياق الآية . ولأن أصحاب الكساء وأعمام النبي صلى الله عليه وسلم دخلوا في " أهل البيت " بسبب الأحاديث الصحيحة التي نقلتها في الرأي الثاني. وهذا مثل دلالة قول الله عز وجل: (لَمَسْجِدَ أُسَسِّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ^(٢)) على أن المراد به مسجد قباء، ودلالة السنة في الحديث على أن المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى مسجده صلى الله عليه وسلم^(٣).

(١) - انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، ٢١٧/١ ، ن: دار العروبة - الكويت.

(٢) - سورة التوبة: آية ١٠٨ .

(٣) - حقوق آل البيت لابن تيمية ٢٥/١ والحديث سبق تخريجه ص ١٨٤ .

المطلب الأول: الأوصاف العامة لأهل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم-.

بعد أن بينت المراد بأهل البيت سأذكر هنا الأوصاف التي ذكرها القرآن الكريم في أهل البيت عامة وهي: طهارتهم وإذهاب الرجس عنهم وإشراكهم في صلوات الأمة مع النبي -صلى الله عليه وسلم-.

الوصف الأول: طهارتهم وإذهاب الرجس عنهم.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١)

ذكر المفسرون معنى الرجس وكيفية ذهابه وكيفية التطهير، منه. فبعضهم قالوا إن المراد بالرجس "الشيطان و الشريك وبعضهم قالوا المراد به عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضى، وقيل: الرجس الشك وقيل السوء.^(٢)

وذكر الإمام الرازى فى قوله تعالى (ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم) لطيفة وهي أن الرجس قد يزول عينا ولا يطهر المحل فقوله تعالى: ليذهب عنكم الرجس أي يزيل عنكم الذنوب ويطهركم أي يلبسكم خلع الكرامة.^(٣)

الوصف الثانى: إشراكهم فى صلوات الأمة مع النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٤)

عند ما نزلت هذه الآية سئل النبي عليه السلام كيف نصلي عليك يا رسول الله؟ فأجاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وأشرك آله فى الصلاة معه وعلم الصحابة كيفية الصلاة، فذكر المفسرون قول النبي -صلى الله عليه وسلم- فى توضيحه، فقالوا سئل النبي عليه

(١) - سورة الأحزاب: آية ٣٣.

(٢) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ٢٠/٢٦٣، وتفسير الخازن ٣/٤٢٥.

(٣) - تفسير الكبير ٢٥/١٦٨.

(٤) - سورة الأحزاب: آية ٥٦.

السلام كيف نصلي عليك يا رسول الله؟ فقال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(١)

وقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري، قال: قلنا: يا رسول الله هذا التسليم فكيف نصلي عليك؟ قال: "قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم" قال أبو صالح عن الليث: «على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم» حدثنا إبراهيم بن حمزة، حدثنا ابن أبي حازم والدروردي، عن يزيد، وقال: «كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد، وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم»^(٢)

وكذلك "آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم" لهم من الحقوق ما يجب رعايتها فإن الله جعل لهم حقا في الخمس والفيء وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لنا: {قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد}^(٣)

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣٢٠/٢٠، والتفسير الكبير للرازي: ١٨٢/٢٥.

(٢) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب قوله: إن تبدوا شيئا أو تخفوه ١٢١/٦، حديث رقم: ٤٧٩٨.

(٣) - مجموع الفتاوى لابن تيمية بيا ن فضيلة على و قره إلى الحق ممن قاتله ، ٤٠٧/٣ ، ن: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م والحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتب الصلاة ، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم - ٣٠٥/١ ، حديث رقم: ٤٠٦.

وفى رواية أخرى (قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى أزواجه، وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه، وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد)^(١)

ومن الأحاديث التى تبين أوصاف أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما قالت عائشة: خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا"^(٢). وعن جابر بن عبد الله، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعتة يقول: "يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي"^(٣)

وفى رواية أخرى قال النبي - صلى الله عليه وسلم - «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»^(٤) وذكر بعض المفسرين أن المراد بـ"المودة" فى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٥) هى محبة أهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذا القول

(١) - أخرجه مسلم فى صحيحه كتب الصلاة ، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم -

٣٠٦/١ ، حديث رقم: ٤٠٧ ..

(٢) - سبق تخريجه ص ١٨٢ .

(٣) - أخرجه الترمذى فى سننه، أبواب المناقب ،باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، ٦٦٢/٥ ، وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وحكم الألبانى: صحيح .

(٤) - أخرجه مسلم فى صحيحه ١٨٧٣/٤ ، كتب الفضائل ، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه حديث رقم: ٢٤٠٨ .

(٥) - سورة الشورى: آية ٢٣ .

مرجوح كما ذكر ابن جرير والرازي وابن عاشور بل المراد من هذه الآية صلة الرحم^(١).
لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يليق بشانه أن يطلب أجر التبليغ مثل هذه الصورة
مع أنه لم يسئل أى أجر من الأمة على تبليغه ، كما قال تعالى: (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ
فَهُوَ لَكُمْ)^(٢) وقال: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ)^(٣)

(١) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ٥٣٠/٢١ ، والتفسير الكبير للرازي ٥٩٤/٢٧

، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٨٢/٢٥ .

(٢) - سورة سبأ: آية ٤٧ .

(٣) - سورة ص: آية ٨٦ .

المطلب الثاني: الأوصاف الخاصة لبعض أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.
ذكرت في المطلب الأول الآيات والأحاديث التي تبين فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم - عامة. ولكن القرآن الكريم ذكر أوصافاً خاصة لبعض أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم منها بعض الآيات تتحدث عن أوصاف نساء النبي - صلى الله عليه وسلم -، وبعض الآيات تبين فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وحمزة وعبدة بن الحارث^(١) رضي الله عنهم.

يشتمل هذا المطلب على ثلاثة مسائل:

المسئلة الأولى: أوصاف أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم.

أذكر هنا خمسة أوصاف نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يشارك فيها أحد. وهي.
الوصف الأول: إن الله أعطانَ درجة أمهات المؤمنين.
قال الله سبحانه وتعالى:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(٢)

ذكر المفسرون أن هذه الآية تثبت حرمة نكاحهن وقالوا حرمة أزواجه حرمة أمهاتهم عليهم، في أنهم يحرم نكاحهن من بعد وفاته، كما يحرم عليهم نكاح أمهاتهم وهذا الحكم في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التأييد لا في النظر إليهن والخلوة بهن، فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب^(٣).

الوصف الثاني: مضاعفة أجرهن.

إن الله وعدهن أن يعطينَ الأجر مرتين للعمل الصالح في قوله تعالى:

(١) - هو عبدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي. كان من السابقين، وهو أحد الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر ومات من الصربة التي ضربها يومئذ. انظر: الإصابة لابن حجر (أخذت ترجمته من ترجمة ابنه "محمد") ٢١/٦.

(٢) - سورة الأحزاب: آية ٦.

(٣) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٠/٢٠٩، وتفسير الخازن ٣/٤١٠.

﴿وَمَنْ يَفْتَنُ مِنْكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَعْمَلْ صَالِحًا ثَوَّتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾^(١)
يعطها الله ثواب عملها، مثلي ثواب عمل غيرها من سائر نساء الناس و قيل: الحسنة
بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه إشارة إلى أنهم أشرف نساء العالمين.
وأعتدنا لها في الآخرة عيشا هنيئا في الجنة^(٢).

الوصف الثالث: فضلهن على سائر النساء.

إن الله إمتازهن على سائر النساء الأخرى كما قال تعالى:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ.....﴾^(٣)

قال ابن عباس: يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات، أنتن أكرم
علي وثوابكن أعظم لدي إن اتقيتن أي الله فأطعته فإن الأكرم عند الله هو الأتقى^(٤).

الوصف الرابع والخامس: قصرهن على النبي صلى الله عليه وسلم وقصره عليهن.

إن الله جعلهن مختصة للنبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يجوز لأحد أن ينكحهن بعده، كما
قال الله تعالى.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ
اللَّهِ عَظِيمًا﴾^(٥)

ذكر المفسرون سبب نزول وقالوا نزلت في رجل كان يدخل قبل الحجاب، قال: لئن مات
محمد لأتزوجن امرأة من نسائه سماها، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك (وما كان لكم أن
تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا)^(٦).

(١) - سورة الأحزاب: آية ٣١.

(٢) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٥٦/٢٠ وتفسير الخازن ٤٢٤/٣.

(٣) - سورة الأحزاب: آية ٣٢.

(٤) - تفسير الخازن ٤٢٤/٣.

(٥) - سورة الأحزاب: آية ٥٣.

(٦) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣١٦/٢٠ وتفسير الخازن ٤٣٤/٣.

واختارهنَّ الله تعالى للنبي -صلى الله عليه وسلم- وقال له أنه لا يجوز له أن ينكح بعدهنَّ غيرها. كما قال تعالى.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾^(١)

لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ أي من بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترتك وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النساء سواهن، ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن، قاله ابن عباس^(٢).

ومن الأحاديث التي تدل على أوصاف نساء النبي -صلى الله عليه وسلم- ما قالت عائشة -رضي الله عنه-، لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال: «إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرني أبويك» قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: " إن الله جل ثناؤه قال: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا... إِلَى أَجْرٍ عَظِيمًا)"^(٣) قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت^(٤).

وعن ابن عباس قال: قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ...) ^(٥) الآية نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بعد نسائه الأول شيئا.

(١) - سورة الأحزاب: آية ٥٢.

(٢) - انظر: تفسير الخازن ٤٣٣/٣ ، وجامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٩٧/٢٠.

(٣) - سورة الأحزاب: آية ٢٨-٢٩.

(٤) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب باب قوله: وإن كنتم تريدن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجرا عظيما، ١١٧/٦.

(٥) - سورة الأحزاب: آية ٥٢.

وعن قتادة قال: لما خيرهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره عليهن؛ فقال: (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج) وهن التسع التي اخترن الله ورسوله^(١).

المسئلة الثانية: أوصاف سيدة عائشة رضى الله عنها.

لقد ذكر الله تعالى أوصاف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه المبين وهذه الأوصاف المذكورة كانت عامة لجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرتها في المسئلة الأولى. ولكن هناك أوصاف خاصة بالمسيدة عائشة رضى الله عنها منها:

براءتها وطهارتها مما نسب إليها في حادثة الإفك ، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ... وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * ﴿٢﴾﴾

قال الشوكاني: أجمع المسلمون على أن المراد بما في الآية ما وقع من الإفك على عائشة أم المؤمنين^(٣).

وقال الزمخشري في تفسير الآية الأولى: الإفك: أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء. وقيل: هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك. وأصله: الأفك، وهو القلب، لأنه قول مأفوك عن وجهه. والمراد: ما أفك به على عائشة رضى الله عنها.

(١) - جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٠/٢٩٧.

(٢) - سورة النور: آية ١١-٢٢.

(٣) - انظر: فتح القدير للشوكاني ٤/١٤.

والعصبة: الجماعة من العشرة إلى الأربعين، وكذلك العصابة. واعصو صبوا: اجتمعوا، وهم عبد الله بن أبي رأس النفاق، وحسان بن ثابت^(١)، ومسطح ابن أثاثة^(٢)، وحمنة بنت جحش^(٣)، ومن ساعدتهم. والذي تولاه عبد الله، لإمعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانتهازه الفرص، وطلبه سبيلا إلى الغمزة. أى يصيب كل خائض في حديث الإفك من تلك العصبة نصيبه من الإثم على مقدار خوضه. والعذاب العظيم لعبد الله، لأن معظم الشر كان منه.

والخطاب في قوله هو خير لكم لمن ساء ذلك من المؤمنين، وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأبى بكر، وعائشة، وصفوان بن المعطل رضى الله عنهم. ومعنى كونه خيرا لهم: أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم، لأنه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتسلية له، وتنزيهه لأمر المؤمنين رضوان الله عليها، وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه، وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة، وفوائد دينية، وأحكام وآداب لا تخفى على متأملها^(٤).

(١) - هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي ثم النجاري، يكنى: أبا الوليد. كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في أيام النبوة، وشاعر اليمين كلها في الإسلام قال ابن سعد: عاش في الجاهلية ستين، وفي الإسلام ستين، ومات وهو ابن عشرين ومائة. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٥٥/٢.

(٢) - تقدمت ترجمته.

(٣) - هي حمنة بنت جحش الأسدية، أخت أم المؤمنين زينب وإخوتها، كانت زوج مصعب بن عمير، فقتل عنها يوم أحد، فتزوجها طلحة بن عبيد الله فولدت له محمدا وعمران. وأمها وأختها زينب أميمة بنت عبد المطلب. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٨٨/٨.

(٤) - انظر: تفسير الكشاف للزمخشري ٢١٧/٣.

فهذه الآية تدل على براءة أم المؤمنين من البهتان مما رماها به المنافقون. أما الآيات الأخرى التي تدل على تعليم الصحابة ساذكر بعضها في الفصل الثالث.

والقصة التهمة التي سماها القرآن الكريم بالإفك ، أخرجها البخاري: عن عائشة رضي الله عنها: قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما نزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي، وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة قافلين، أذن ليلة بالرحيل، فقامت حين آذنا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فالتصمت عقدي وحبسنى ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي، فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت، وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا، لم يثقلهن اللحم، إنما تأكل العلقة من الطعام، فلم يستتكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع، ولا مجيب فأمرت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي^(١) ثم الذكواني من وراء الجيش، فأدلى فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رأيته، وكان رأي قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخرمت وجهي بجلبابي، ووالله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك،

(١) - هو صفوان بن المعطل بن ربيعة ، بالتصغير. شهد الخندق والمشاهد في قول الواقدي، وقيل: أول مشاهدة المريسيع جرى ذكرها في حديث الإفك المشهور في الصحيحين، عاش إلى خلافة معاوية، فغزا الروم، ثم نزل بطاعن حتى مات. انظر: الإصابة لابن حجر ٣/٣٥٨.

وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول^(١)، فقدمنا المدينة، فاشتكت حين قدمت شهرا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك وهو يرييني في وجعي، أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول: «كيف تيكم؟» ثم ينصرف، فذاك الذي يرييني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت، فخرجت معي أم مسطح^(٢) قبل المناصع وهو متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي، وقد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا؟ قالت: أي هنتاء أولم تسمعي ما قال؟ قالت: قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي، ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم تعني سلم، ثم قال: «كيف تيكم؟» فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي، قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيئن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمته ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضينة عند رجل يحبها، ولها ضرائر إلا كثرن عليها، قالت: فقلت سبحان الله، أولقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى

(١) - هو عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي. وهو أبي ابن سلول، وكانت سلول امرأة من خزاعة، وكان رأس المنافقين، ويكنى بأبي حباب. أخذت ترجمته من ترجمة ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي وهو صحابي. انظر: الإصابة لابن حجر ١٣٣/٤.

(٢) - هي أم مسطح القرشية التيمية، ويقال المطلبية، وهي بنت أبي رهم أنيس، ابن عبد المطلب بن عبد مناف. أنها بنت خالة أبي بكر الصديق، اسمها رائطة بنت صخر ... إلخ، أو سلمى، أو ربطة، وهي مشهورة بكنيتها. انظر: الإصابة لابن حجر ٤٧٢/٨.

أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد^(١) رضي الله عنهما حين استلبث الوحي، يستأمرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله، أهلك ولا نعم إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة، فقال: «أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟» قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمرا أغمصه عليها، أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي ابن سلول، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي» فقام سعد بن معاذ^(٢) الأنصاري، فقال: يا رسول الله أنا أعذك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عباد^(٣) وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير^(٤)

(١) - هو أسامة بن زيد بن حارثة ، (سبق نسبه في ترجمة والده زيد بن حارثة ص ١٧٧) يكنى أبا محمد. ويقال أبو زيد. وأمه أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم. ولد في الإسلام، ومات النبي صلى الله عليه وسلم وله عشرون سنة، أو ثمانين عشرة. وصحح ابن عبد البر أنه مات سنة أربع وخمسين. انظر: الإصابة لابن حجر ٢٠٢/١.

(٢) - تقدمت ترجمته.

(٣) - تقدمت ترجمته.

(٤) - تقدمت ترجمته.

وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عباد: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتناور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا، وسكت، قالت: فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم، ولا يرقأ لي دمع، يظنان أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي، وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي، قالت: فبينما نحن على ذلك، دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد «لبث» شهرا لا يوحى إليه في شأني، قالت: فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس، ثم قال: «أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه» قالت: فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأمي: أجيبني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث، حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن، قلت لكم: إني بريئة، والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقني، والله ما أجد لكم مثلا إلا قول أبي يوسف، قال: (فَصَبَّرَ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ^(١))، قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله

(١) - سورة يوسف: آية ١٨.

صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها، قالت: فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شات، من ثقل القول الذي ينزل عليه، قالت: فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سري عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: «يا عائشة، أما الله عز وجل فقد برأك» فقالت أُمي: قومي إليه، قالت: فقلت: لا والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله عز وجل، فأنزل الله عز وجل: (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه) العشر الآيات كلها...^(١) الخ.

بعد بيان قصة الإفك أذكر هنا الأمور التي انفردت بها عائشة رضي الله عنها عن النساء الأخرى وطبعا هذه الأمور تدل على فضلها وشرفها:

الأمر الأول: أنها من أفضل النساء، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(٢)

الأمر الثاني: أنها كانت أحب الأزواج إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويدل على ما أخرجه البخاري عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال، إن النبي صلى الله عليه وسلم، بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: "أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، فقلت: من الرجال؟ فقال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب» فعد رجالا^(٣).

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب تفسير القرآن، باب لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات... ١٠١/٦ حديث رقم: ٤٧٥٠.

(٢) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب فضل عائشة ، ٢٩/٥ ، حديث رقم: ٣٧٧٠.

(٣) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذا خليلا» ٥/٥ ، حديث رقم: ٣٦٦٢.

الأمر الثالث: أن أباهما كان أحب الرجال إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأعزهم عليه، ويدل عليه حديث عمرو بن العاص السابق.

الأمر الرابع: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها، فعنها رضي الله عنها قالت: «قلت: يا رسول الله، أرايت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجرة لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: "في الذي لم يرتع منها" تعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها»^(١).

الأمر الخامس: نزلت براءتها من السماء بما نسبته إليها أهل الإفاك كما ذكرتها في بداية المطلب.

الأمر السادس: لم ينزل بها أمر إلا جعل الله لها منه مخرجا وللمسلمين بركة، كما في قصة الإفاك السابقة، (سأذكرها الأمور التي علمها الله تعالى بها الأمة في الفصل الثالث) وأيضا مما أنزل بسببها وبركتها، آية التيمم التي كانت رحمة ورخصة للمؤمنين، كما أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها: «أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من أصحابه في طلبها، فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم، فقال أسيد بن حضير: جزاك الله خيرا، فوالله ما نزل بك أمر قط، إلا جعل الله لك منه مخرجا، وجعل للمسلمين فيه بركة»^(٢).

الأمر السابع: أن الملك جاء بصورتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرقة من حرير، فعنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رايتك في المنام

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، باب نكاح الأبقار ٥/٧، حديث رقم: ٥٠٧٧.

(٢) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة، ٢٩/٥، حديث رقم: ٣٧٧٣.

يجيء بك الملك في سرقة من حرير، فقال لي: هذه امرأتك، فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي، فقلت: إن يك هذا من عند الله يمضه^(١)».

الأمر الثامن: اختيار النبي صلى الله عليه وسلم دارها ليمرض فيها، ووفاته في بيتها، بين سحرها ونحرها، كما أخرج مسلم عن عائشة، قالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليتفقد يقول: «أين أنا اليوم؟ أين أنا غدا؟» استبطاء ليوم عائشة، قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري^(٢).

الأمر التاسع: لم يكن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في لحاف امرأة من نسائه غيرها، كما أخرج البخاري قال: حدثنا هشام، عن أبيه، قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحيبي إلى أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريد عائشة، فمري رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ما كان، أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذاك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها^(٣)».

الأمر العاشر: أن جبريل أرسل لها السلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما: «يا

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، باب نكاح الأبقار ٥/٧، حديث رقم: ٥٠٧٨.

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها ٤/١٨٩٣، حديث رقم: ٢٤٤٣.

(٣) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة، ٣٠/٥، حديث رقم: ٣٧٧٥.

عائش، هذا جبريل يقرئك السلام» فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى
«تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(١).

المسئلة الثالثة: أوصاف حمزة وعبيدة بن الحارث وعلى رضي الله عنهم.

بعد ذكر الآيات والأحاديث التي تدل على فضائل نساء النبي -صلى الله عليه وسلم- أذكر
الآيات التي تبين فضائل حمزة وعبيدة وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
قال الله تعالى:

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ
فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْخَمِيمُ ﴾^(٢)

ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في علي - رضي الله عنه - كما روى البخاري عن
علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة
يوم القيامة» وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت: (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ)^(٣)
قال: " هم الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة، أو أبو عبيدة بن الحارث، وشيبة
بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة^(٤) وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: نزلت:
(هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ)^(٥) في ربهما في ستة من قریش: علي، وحمزة، وعبيدة
بن الحارث، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة^(٦)."

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب فضل عائشة ،

٢٩/٥ ، حديث رقم: ٣٧٦٨.

(٢) - سورة الحج: آية ١٩ .

(٣) - سورة الحج: آية ١٩ .

(٤) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب قتل أبي جهل ، ٧٥/٥ حديث رقم: ٣٩٧٥ .

(٥) - سورة الحج: آية ١٩ .

(٦) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب قتل أبي جهل ، ٧٥/٥ حديث رقم: ٣٩٦٦ .

ولكن بعض المفسرون ذكروا أقوالاً غير هذا القول مثلاً ذكر ابن جرير جميع الأقوال في تفسير هذه الآية ثم بعد ذلك قال: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: عني بالخصمين جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين^(١).

ولكن مع هذا ، أول مصداق هذه الآية على -رضى الله عنه لأنه كان أول من بارز في سبيل الله تعالى من هذه الأمة في غزوة بدر.

والآية الأخرى التي تدل على إمتياز على -رضى الله عنه - هي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)

يرى أكثر المفسرين أن هذه الآية نزلت ولم يعمل بها أحد إلا على بن أبي طالب -رضى الله عنه- حتى نسخت ونقل الإمام الرازي قول بعض العلماء أن هذه الآية لم تنسخ بل كانت لغرض وهي الإمتياز بين المؤمنين المخلصين والمنافقين وعندما حصل المقصود فوجب انتهاءه عند الانتهاء إلى الغاية المخصوصة، فلا يكون هذا نسخاً، ولكن عند الجمهور أنه منسوخ بقوله: أشفقتم ومنهم من قال: إنه منسوخ بوجوب الزكاة.^(٣)

وهناك خصيصة امتاز بها على -رضى الله عنه عن غيره في هذا الباب وذكر ابن جرير في تفسيره روايات كثيرة تدل على هذا المعنى منها:

عن مجاهد، قال، قال علي رضي الله عنه: إن في كتاب الله عز وجل لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ) قال: فُرِضَتْ، ثم نُسِخَتْ^(٤).

(١) - جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٥٩٠/١٨.

(٢) - سورة المجادلة: آية ٢٣.

(٣) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٤٩٦/٢٩.

(٤) - جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير، ٢٤٩/٢٣.

وذكر الإمام الرازي في تفسيره نفس المفهوم تحت هذه الآية، وقال: روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: لما نزلت الآية دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما تقول في دينار؟ قلت: لا يطيقونه، قال: كم؟ قلت: حبة أو شعيرة، قال: إنك لزهيد» والمعنى إنك قليل المال فقدرت على حسب حالك^(١).

ومن الأحاديث التي تدل على فضيلة علي رضي الله عنه - ما روى البخاري قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: «أنت مني وأنا منك» وقال عمر: «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض»^(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون، من موسى»^(٣).

قال بعض المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٤) أنه نزل في علي رضي الله عنه^(٥) ولكن لم يختار جمهور المفسرين هذا القول بل نقوه على هذا القول وأبطلوه بوجوه مختلفة^(٦) وقال

(١) - التفسير الكبير للرازي ٤٩٥/٢٩ ، والحديث أخرجه الدارمي في صحيحه كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة، رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم ، ذكر تخفيف الله جل وعلا عن هذه الأمة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه الصدقة بين يدي نجواهم ٣٩٠/١٥ ، حديث رقم: ٦٩٤١ ، وقال شعيب الأرنؤوط في التعليق إسناده ضعيف.

(٢) - أخرجه البخاري كتاب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - باب مناقب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ١٨/٥ .

(٣) - أخرجه البخاري كتاب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - باب مناقب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ١٩/٥ ، حديث رقم: ٣٧٠٦ .

(٤) - سورة المائدة: آية ٥٥ .

(٥) - التفسير الكبير للرازي ٣٨٣/١٢ .

(٦) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٣٨٣/١٢ - ٣٨٤ .

ابن جرير: "إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا"، ليس لكم، أيها المؤمنون، ناصر إلا الله ورسوله، والمؤمنون الذين صفتهم ما ذكر تعالى ذكره^(١).

(١) - جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٤٢٤/١٠.

الفصل الثالث

منهج القرآن الكريم فى تعليم الصحابة.

المبحث الأول: الآيات التى نزلت لبيان أخطاء وقع فيها الصحابة فى الغزوات.

المبحث الثانى: الآيات التى نزلت لتعليم الصحابة.

المبحث الثالث: الآيات التى نزلت لتعليم أزواج النبی صلى الله عليه وسلم. "

الفصل الثالث : منهج القرآن الكريم فى تعليم الصحابة

لقد أرسل الله تعالى النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن على المؤمنين بأن بعث نبيه - صلى الله عليه وسلم - إليهم ، فذكر فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ^(١) وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٢) وغيرهما من الآيات الأخرى التى نزلت فى هذا الموضوع، فذكر الله تعالى ثلاثة أوصاف لنبيه - صلى الله عليه وسلم - وهى :

١. تلاوة الآيات.

٢. تعليم الكتاب والحكمة.

٣. التزكية.

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - تلا آيات القرآن الكريم وعلم الصحابة القرآن والسنة، وفى بعض الأحيان أنزل الله تعالى الآيات لتعليم الصحابة وأهل البيت وتربيتهم. وسأذكر فى هذا الفصل الآيات التى نزلت لتعليم الصحابة وأهل البيت، والآيات التى نزلت لبيان أخطاء وقع فيها الصحابة فى الغزوات.

(١) - سورة آل عمران: آية ١٦٤.

(٢) - سورة الجمعة: آية ٢.

المبحث الأول

الآيات التي نزلت لبيان أخطاء وقع فيها الصحابة في الغزوات.

المطلب الأول: المواقف التي عولجت فيها أخطاء وقع فيها الصحابة في غزوة أحد.

المطلب الثاني: المواقف التي عولجت فيها أخطاء وقع فيها الصحابة في غزوة

الفتح ويوم حنين.

المطلب الثالث: المواقف التي عولجت فيها أخطاء وقع فيها الصحابة في غزوة تبوك.

المبحث الأول: الآيات التي نزلت لبيان أخطاء وقع فيها الصحابة في الغزوات.
ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أكثر من مرة أن الصحابة حضروا الغزوات مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، حتى استشهد بعضهم وجرح بعضهم. وأثنى الله تعالى عليهم بأنهم أنفقوا أموالهم وبذلوا أنفسهم في سبيل الله فقط لوجه الله وإعلاء كلمته وفي إطاعة رسوله. وقد نصرهم الله تعالى في الغزوات، وقد ذكرت بعض هذه الغزوات وأوصاف الصحابة الذين حضروها في الفصل الثاني من هذه الرسالة. ولكن في بعض الغزوات وقع الصحابة في بعض الأخطاء، وذكر الله تعالى هذه الأخطاء في القرآن الكريم، وأرشدهم إلى طريق الصواب. ولكن مع هذه الأخطاء عفا الله عنهم، وذكر هذا العفو في القرآن الكريم.

وسأذكر في هذا المبحث الغزوات التي وقع الصحابة فيها في بعض الأخطاء.

المطلب الأول: المواقف التي عولجت فيها أخطاء وقع فيها الصحابة في غزوة أحد.
عندما أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يخرج من المدينة ويقاتل مع الكفار خارج المدينة حسب رأى بعض الصحابة. رجع المنافقون من الغزوة قائلين "لو نعلم قتالا لاتبعناكم" فتبعهم أبو جابر السلمي^(١) يدعوهم، فلما غلبوه وقالوا له: ما نعلم قتالا ولئن أطعنا لترجعن معنا، فقال الله تعالى: "إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا"، وهم بنو سلمة وبنو حارثة، هموا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي، فعصمهم. فذهب الصحابة إلى الغزوة ورجع المنافقون، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمئة^(٢).

(١) - هو عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي، والد جابر بن عبد الله الصحابي المشهور، من أجلائهم. كان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وبدر، وقتل يوم أحد. انظر: الإصابة لابن حجر ١٦٢/٤ والأعلام للزركلي ١١١/٤.

(٢) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ١٦٧/٧ وتفسير الخازن ٢٩١-٢٩٢.

وعند ما وصل النبي -صلى الله عليه وسلم- أحداً ، سوى صفوف الصحابة وأجلس جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير ^(١) بسفح الجبل ، وقال لهم: "لا تبرحوا مكانكم، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تعينونا". فلما التقى القوم، هزم المشركون، فذهب الرماة لجمع الغنائم ،ولكن منعهم أميرهم عبد الله بن جبير وقال: مهلاً! أما علمتم ما عهد إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم! فأبوا، فانطلقوا، فلما أتوهم صرف الله وجوهمهم، فأصيب من المسلمين سبعون قتيلاً. ^(٢)

فأنزل الله تعالى آيات تعالج أخطاء كاد بعض الصحابة أن يقعوا فيها فعصمهم الله تعالى وآيات عالجت أخطاء وقع فيها الصحابة.

امتنان الله على بنى سلمة وبنى حارثة بعدم الرجوع من غزوة أحد.

ومن الآيات التي نزلت لمعالجة أخطاء كاد بعض الصحابة أن يقعوا فيها فعصمهم الله بفضله ما ذكر في قول الله تعالى:

﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٣)

فقد هم بنوا سلمة وبنوا حارثة بالرجوع عن غزوة أحد فعصمهما الله تعالى بالثبات وعدم الرجوع وعلمهما التوكل على الله وأن النصر ليس بكثرة العدد والعدة وإنما بالتوكل عليه وحده، قال تعالى: ﴿...وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٤). روى الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله قال: "فينا نزلت: "إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا، والله وليهما" قال: نحن الطائفتان بنو حارثة، وبنو سلمة وما نحب - وقال سفيان مرة - وما يسرني

(١) - هو عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري صحابي. شهد العقبة وبدرا، وكان أمير الرماة يوم أحد، وأن المشركين لما انهزموا ذهبت "٢" الرماة ليأخذوا من الغنيمة، فنهاهم عبد الله بن جبير، فمضوا وتركوه، فاستشهد فيها. انظر: الإصابة لابن حجر ٣١/٤، والأعلام للزركلي ٧٦/٤.

(٢) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٨٢/٧.

(٣) - سورة آل عمران: آية ١٢٢.

(٤) - سورة آل عمران: آية ١٢٢.

أنها لم تنزل لقول الله: "والله وليهما"^(١)

وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد مع ألف رجل، وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل فلما بلغوا الشوط انخذل عبد الله بن أبي بثلث الناس لما سمع عدد المشركين، رجع في ثلاثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعه أبو جابر السلمي^(٢) وقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله بن أبي لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف مع عبد الله بن أبي. فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال إنهما هممتا بالفشل، ولكن عصمهم الله تعالى فثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس: أضمرنا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال: إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما أي ناصرهما وحافظهما ومتولي أمرهما بالتوفيق والعصمة.^(٣)

أما الإشكال الذي يرد على ظاهر الآية وهو أن المراد بكلمة "الهم" العزم على فعل الشيء والآية تدل على أن الطائفتين قد عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما؟

فأجاب الإمام الرازي عن هذا الإشكال قائلا: إن المراد بكلمة "الهم" هو حديث النفس، والله تعالى لا يؤاخذ بحديث النفس، ويعضده قول ابن عباس إنهم أضمرنا أن يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله تعالى بقوله والله

(١) - سبق تخريجه ص ١٠٢.

(٢) - هو عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ثم السلمي أبو جابر، شهد العقبة وبدرا، من النقباء، استشهد يوم أحد، ودفن مع صفيه وويده عمرو بن الجموح، كلم الله روحه بالكفاح، وأظلت الملائكة جسمه بالجناح، قاتل المشركين بالجد والثبات فقتلوه محتسبا عن تسع من البنات. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) ١٧١٧/٣، ن: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(٣) - انظر: تفسير الخازن ٢٩١/١.

وليهما، عن جابر قال: نزلت فينا: إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُهُمَا قَالَ نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله والله وليهما^(١) ففيه الاستبصار بما حصل لهم من الشرف العظيم، وإنزاله فيهم آياته ناطقة مفصحة بأن الله وليهم وأن تلك الهمة التي هموها ما أخرجتهم من ولاية الله تعالى. (٢)

ففي هذه الآية امتن الله على بنى سلمة وبنى حارثة بعصمته لهم من الرجوع عن غزوة أحد، وعلم جميع الصحابة أن يتوكلوا على الله ولا يتوكلوا على عددهم، قال الإمام الرازي: وفي الآية إشارة إلى أنه ينبغي أن يدفع الإنسان ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكل على الله، وأن يصرف الجزع عن نفسه بذلك التوكل^(٣).

والآية الأخرى في هذا الموضوع هي قوله تعالى:

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزِنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٤)

ذكر الله تعالى في هذه الآية خطأ آخر وقع الصحابة فيه وهو: أن الصحابة عندما وقعوا في الإبتلاء في الغزوة وصاروا منهزمين، فصعدوا على الجبل وكانوا لا يلتفتون إلى أحد، مع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يدعوهم، فجازاهم بهذا العمل "غما بغم"، يعنى: غما على غم. واختلف أهل التأويل في الغم الذي أثيب القوم على الغم، وما كان غمهم الأول والثاني؟ فقال بعضهم: "أما الغم الأول، فكان ما تحدث به القوم أن نبيهم صلى الله عليه وسلم قد قتل. وأما الغم الآخر، فإنه كان ما نالهم من القتل والجراح". وقال آخرون: "بل غمهم الأول كان قتل من قتل منهم وجرح من جرح منهم. والغم الثاني كان من سماعهم صوت القاتل: "قتل محمد"، صلى الله عليه وسلم. وغير ذلك من الأقوال.

(١) - سبق تخريجه ص ١٠٢.

(٢) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٣٤٧/٨، وتفسير الخازن ٢٩٢/١.

(٣) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٣٤٨/٨.

(٤) - سورة آل عمران: آية ١٥٣.

ثم قال تعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم"، يعنى لاتحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة التي كنتم ترجون ولا تحزنوا على ما أصابكم من الهزيمة.^(١)
وقال بعض المفسرين إن المراد بالغم الأول ما حصل للصحابه رضوان الله عليهم بالهزيمة والقتل، والغم الثاني للرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفة أمره، أي إنكم لما أذقتم الرسول غما بسبب عصيانكم أمره، أذاقكم الله غم الانهزام وقتل الأحاباب يعنى أنه أذاقكم هذا عوض هذا.^(٢)

سبب هزيمة المسلمين عصيان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ومن الآيات التي نزلت لبيان أسباب هزيمة المسلمين ولتعالج أخطاء وقع فيها الصحابة في أحد قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)

فقد نزلت هذه الآيات لتبين ماحدث من الرماة الذين أجلسهم النبي صلى الله عليه وسلم على أحد ليمحوا أظهر الجيش ، فلما رأو هزيمة المشركين نزلوا فانهزم جيش المسلمين ومع ذلك فقد عفا عنهم وبين أنه صاحب الفضل عليهم.

ذكر ابن جرير قصة جيش الرماة الذين أجلسهم النبي صلى الله عليه وسلم - بسفح الجبل، وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل ، وقال لهم: "لا تبرحوا مكانكم، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهوروا علينا فلا تعينونا". ولكن لما التقى القوم، هزم المشركون حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن وبدت خلاخلهن، فجعلوا

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣٠٣/٧-٣١٤.

(٢) - انظر: تفسير الخازن ٣٠٩/١ ، وتفسير المراغي ١٠٢/٤.

(٣) - سورة آل عمران: آية ١٥٢.

يقولون: "الغنيمة، الغنيمة!" قال أميرهم عبد الله: مهلاً! أما علمتم ما عهد إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم! فأبوا، فانطلقوا، فلما أتوهم صرف الله وجوههم، فأصيب من المسلمين سبعون قتيلاً. (١)

فتفسير الآية في ضوء هذه القصة كما ذكر ابن جرير "حتى إذا فشلتم"، أي تخاذلتم "وتنازعت في الأمر"، أي: اختلفتم في أمري "وعصيتكم"، أي: تركتم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم؛ وما عهد إليكم، يعني الرماة "من بعد ما أراكم ما تحبون"، أي: الفتح لا شك فيه، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم. ولما رأى الرماة الذين كانوا بسفح الجبل أن الله عز وجل هزم المشركين، انطلق بعضهم وهم يتنادون: "الغنيمة! الغنيمة! لا تفتكم!" وثبت بعضهم مكانهم، وقالوا: لا نريم موضعنا حتى يأذن لنا نبي الله صلى الله عليه وسلم!. ففي ذلك نزل: "منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة"، فكان ابن مسعود يقول: ما شعرت أن أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها، حتى كان يوم أحد. (٢)

وذكر القرطبي كلاماً جميلاً في تفسير آية ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾* (٣) قال: لما أخل الرماة يوم أحد بمراكزهم - على ما تقدم - خوفاً من أن يستولي المسلمون على الغنيمة فلا يصرف إليهم شيئاً، بين الله سبحانه أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز في القسمة، فما كان من حَقِّكم أن تنهموه. (٤)

ومن الآيات التي بينت سبب هزيمة الصحابة في أحد قول الله تعالى:

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٨٢/٧.

(٢) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٩٢/٧ - ٢٩٤.

(٣) - سورة آل عمران: آية ١٦٢.

(٤) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٥٤/٤.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(١)

ذكر الله تعالى في هذه الآية هزيمة الصحابة في غزوة الأحد وسببها ، وخاطبهم بأنهم انهزموا وهربوا منهم. وقال: "إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ" يعنى الذين ولّوا عن المشركين، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وانهزموا عنهم، ثم ذكر سبب هذه الهزيمة بأن قال: (إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ) يعنى إنما دعاهم إلى الزلة الشيطان ، وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وذلك بإلقاء الوسوسة في قلوبهم لا أنه أمرهم بها. (بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) يعنى بمعصيتهم النبي صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز^(٢).

عفا الله عن الصحابة:

ومن الآيات التى تدل على عفو الله عن بنى حارثة وبن سلمة والرماة الذين نزلوا من أحد وغيرهم ما قال الله تعالى:

١. ﴿... وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)

بعد بيان الخطأ التى وقع فيها الصحابة قال الخازن: ولكن لا إشكال على عدالة الصحابة بسبب هذه الأمور التى ارتكبوها فى هذه الغزوة مع أن بعضها من باب الكبائر مثل مخالفة أمر النبى -صلى الله عليه وسلم- وغير ذلك من الأمور، لأن الله تعالى قد عفا عنهم كما قال تعالى: "وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ" وعند ما عفا الله تعالى عنهم فليس عليهم شئ فى هذا الباب ، وأيضاً الصحابة لم يخرجوا من الإيمان بسبب ارتكاب هذه الأمور، لأن الله تعالى سمّاهم بالمؤمنين بعد إعلان العفو عنهم و قال: "وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ". وهذا من تمام

(١) - سورة آل عمران: آية ١٥٥.

(٢) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ٣٢٦/٧، وتفسير الخازن ٣١٠/١-٣١١.

(٣) - سورة آل عمران: آية ١٥٢.

نعمه عليهم، لأنه نصرهم أولا ثم عفا عن المذنبين منهم ثانيا لأنه ذو الفضل والطول والإحسان.^(١)

وقال ابن عاشور: ليس في هذا الكلام ما يدل على أن الفريق الذين أرادوا ثواب الدنيا قد ارتدوا عن الإيمان حينئذ، إذ ليس الحرص على تحصيل فائدة دنيوية من فعل من الأفعال، مع عدم الحرص على تحصيل ثواب الآخرة من ذلك الفعل بدال على استخفاف بالآخرة، وإنكار لها، كما هو بين، ولا حاجة إلى تقدير: منكم من يريد الدنيا، فقط. وإنما سميت مخالفة من خالف أمر الرسول عصيانا، مع أن تلك المخالفة كانت عن اجتهاد لا عن استخفاف، إذ كانوا قالوا: إن رسول الله أمرنا بالثبات هنا لحماية ظهور المسلمين، فلما نصر الله المسلمين فما لنا وللوقوف هنا حتى تقوتنا الغنائم، فكانوا متأولين، فإنما سميت هنا عصيانا لأن المقام ليس مقام اجتهاد، فإن شأن الحرب الطاعة للقائد من دون تأويل، أو لأن التأويل كان بعيدا فلم يعذروا فيه، أو لأنه كان تأويلا لإرضاء حب المال، فلم يكن مكافئا لدليل وجوب طاعة الرسول.

وإنما قال: (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) ليدل على أن ذلك الصرف بإذن الله وتقديره، كما كان القتل بإذن الله وأن حكمته الابتلاء، ليظهر للرسول وللناس من ثبت على الإيمان من غيره، ولأن في الابتلاء أسارا عظيمة في المحاسبة بين العبد وربه سبحانه.

وعقب هذا الملام بقوله: (ولقد عفا عنكم) تسكينا لخواطرهم، وفي ذلك تلطف معهم على عادة القرآن في تقرير المؤمنين، وأعظم من ذلك تقديم العفو على الملام في ملام الرسول - عليه السلام - في قوله تعالى: (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَبْتَ لَهُمْ^(٢))، فتلك رتبة أشرف من رتبة تعقيب الملام بذكر العفو، وفيه أيضا دلالة على صدق إيمانهم إذ عجل لهم الإعلام بالعفو لكيلا تطير نفوسهم رهبة وخوفا من غضب الله تعالى.

(١) - انظر: تفسير الخازن ٣٠٨/١.

(٢) - سورة التوبة: آية ٤٣.

وفي تذييله بقوله: (والله ذو فضل على المؤمنين) تأكيد ما اقتضاه قوله: (ولقد عفا عنكم)^(١).

وذكر المفسرون أنَّ الآية ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ...﴾^(٢) متعلقة بالآية السابقة وهي (ولقد عفا عنكم)، أيها المؤمنون، إذ لم يستأصلكم، إهلاكاً منه جمعكم بذنوبكم وهريكم.^(٣) وهذا يدل على أنَّ الله تعالى قد عفا عنهم ، وبعد عفو الله تعالى عنهم ليس هناك شيء يُتَّهموا به.

وأيضاً الآية القادمة تدل على فضل الصحابة بأنَّ الله تعالى أنزل عليهم أمانةً نعاساً يغشاهم، والنعاس في القتال أمانة كما ذكر ابن جرير في تفسيره^(٤)، تحت قوله تعالى:

٢. ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ...﴾^(٥) الآية

ذكر الله تعالى أنه أنزل النعاس أي أمانة على طائفة وهي طائفة أهل الإخلاص منكم واليقين، دون أهل النفاق والشك. أمّا الطائفة الأخرى وهي طائفة المنافقين ظلّوا بالله الظنون الكاذبة ، وقالوا "هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ؟"^(٦).

٣. ﴿... وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ خَلِيمٌ*﴾^(٧)

(وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ) يعني ولقد تجاوز الله عن الذين تولّوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم

(١) - التحرير والتنوير لابن عاشور ١٢٩/٤ - ١٣٠.

(٢) - سورة آل عمران: آية ١٥٣.

(٣) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٣٩٠/٩ ، وجامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٩٩/٧ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٣٩/٤.

(٤) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣١٩/٧.

(٥) - سورة آل عمران: آية ١٥٤.

(٦) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣١٥/٧.

(٧) - سورة آل عمران: آية ١٥٥.

بذلك وغفر لهم.^(١)

قال ابن عاشور: ولقد عفا الله عنهم أعيد الإخبار بالعفو تأنيسا لهم كقوله: ولقد عفا عنكم.^(٢)

(١) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣٢٦/٧، وتفسير الخازن ٣١٠/١-٣١١.

(٢) - التحرير والتنوير لابن عاشور ١٤١/٤.

المطلب الثاني: المواقف التي عولجت فيها أخطاء وقع فيها الصحابة في غزوة الفتح ويوم حنين.

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم فضائل الصحابة الذين آمنوا قبل فتح مكة ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في الغزوات المختلفة. قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتِلُوا... ﴾ (١) الآية وعند ما أراد النبي - صلى الله عليه وسلم فتح مكة أمر الصحابة أن يتجهزوا ، وفي مرحلة التجهيز هذه وقع أحد الصحابة في خطأ. ولكن هذا الخطأ كان سببا في تعليم الصحابة وجميع الأمة ألا يتخذوا عدو الله وعدوهم أولياء يلقون إليهم بالموادة. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * ﴾ (٢)

يرى أكثر المفسرين أن هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة (٣)، عند ما أراد أن يخبر قريشا عن تجهيز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لفتح مكة. وكتب إلى قريش أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يريدكم، وأعطى هذا الكتاب الطعينة (٤) التي جاءت من مكة

(١) - سورة الحديد: آية ١٠.

(٢) - سورة الممتحنة: آية ١.

(٣) - هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي صحابي، شهد الوقائع كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أشد الرماة، في الصحابة. بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه إلى المقوقس صاحب الإسكندرية. مات في المدينة، في خلافة عثمان سنة ٣٠ هـ. انظر: الإصابة لابن حجر ٥/٢، والأعلام للزركلي ١٥٩/٢.

(٤) - الطعينة المرأة المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهدج، تفسير الخازن ٢٧٩/٤.

وكانت ترجع من المدينة إلى مكة. ولكن الله أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-. فأرسل النبي -صلى الله عليه وسلم- علياً و الزبير والمقداد -رضى الله عنهم- لأن يأخذوا هذا الكتاب من الطعينة وقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ^(١) فإن بها طعينة معها كتاب فخذوه منها. فذهبوا وأخذوا الكتاب منها وعندما رجعوا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا حاطب ما هذا؟ فقال يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امراً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلته كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقالوا اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ إِلَى قَوْلِهِ سَوَاءَ السَّبِيلِ^(٢).

فنهى الله تعالى المؤمنين عن اتخاذ العدو المشرك ولياً، والمراد العداوة في الدين فإن المؤمنين لم يبدأوهم بالعداوة وإنما أبدى المشركون عداوة المؤمنين انتصاراً لشركهم فعداوا من خرجوا عن الشرك أعداء لهم. وقد كان مشركو العرب متفاوتين في مناوأة المسلمين فإن خزاعة كانوا مشركين وكانوا موالين للنبي صلى الله عليه وسلم. فمعنى إضافة عدو إلى ياء التكلم على تقدير: عدو ديني، أو رسولي^(٣).

(١) - موضع بقرب حمراء الأسد، تفسير الخازن ٢٧٩/٤.

(٢) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣١٢/٢٣، وتفسير الخازن ٢٧٩/٤، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ١٤٩/٦، حديث رقم: ٤٨٩٠.

(٣) - انظر: أضواء البيان للشنقيطي ٧٩/٨ والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٣٣/٢٨.

وقد بين النبي -صلى الله عليه وسلم- صدق الصحابي وبراعته في هذا الباب، فلا إشكال على عدالة الصحابي كما أخرج البخاري نفس القصة في نفس المفهوم بسنده أكثر من مرة وقال إن النبي -صلى الله عليه وسلم- عفا عنه وقال: أليس من أهل بدر؟ فقال: " لعل الله اطلع إلى أهل بدر؟ فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو: فقد غفرت لكم ".^(١)

اغترار الصحابة بكثرتهم في حنين كان سببا في هزيمتهم.

ومن الآيات التي نزلت لتعالج خطأ وقع فيه الصحابة رضوان الله عليهم في حنين قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ...﴾^(٢) فقد اغترب بعض الصحابة بكثرتهم في هذه الغزوة حتى قال بعضهم لن نغلب اليوم من قلة فكان هذا الاغترار سببا لهزيمتهم ، قال الإمام الطبري: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعاش هنا أيام من شهر رمضان ثم خرج إلى حنين لقتال هوازن وثقيف ، ففي هذه الغزوة قال رجل من المسلمين: لن نغلب اليوم من قلة ، فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا إلى كلمة الرجل.^(٣) فذكر الله تعالى هذا الخطأ في قوله تعالى:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِّرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ *﴾^(٤)

لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، وقد بقيت أيام من شهر رمضان، خرج متوجها إلى حنين لقتال هوازن وثقيف. وكانوا ستة عشر ألفا، أو اثني عشر ألفا ؛ عشرة

(١) - سبق تخريجه ص ٩٢.

(٢) - سورة التوبة: آية ٢٥-٢٧.

(٣) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣٤٥/٢.

(٤) - سورة التوبة: آية ٢٥-٢٧.

آلاف الذين حضروا مكة، وألفان من الطلقاء. وقال الكلبي: كانوا عشرة آلاف وبالجمله فكانوا عددا كثيرا، وكانت هوازن وثقيف أربعة آلاف، فلما التقوا قال رجل من الأنصار يقال له سلمة بن سلامة بن رقيش^(١): لن نغلب اليوم من قلة، فهذه الكلمة ساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي المراد من قوله: إذ أعجبتمكم كثرتكم وقيل إنه قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل قالها أبو بكر وإسناد هذه الكلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيد، لأنه كان في أكثر الأحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها.

ثم قال تعالى: فلم تغن عنكم شيئا ومعنى الإغناء إعطاء ما يدفع الحاجة فقوله: فلم تغن عنكم شيئا أي لم تعطكم شيئا يدفع حاجتكم والمقصود من هذا الكلام أن الله تعالى أعلمهم أنهم لا يغلِبون بكثرتهم، وإنما يغلِبون بنصر الله، فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين، وقوله: وضائق عليكم الأرض بما رحبت يقال رحبت يرحب رحبا ورحابة، فقوله: بما رحبت أي يرحبها، ومعناه مع رحبها "فما" هنا مع الفعل بمنزلة المصدر، والمعنى: أنكم لشدة ما لحقكم من الخوف ضاقت عليكم الأرض فلم تجدوا فيها موضعا يصلح لفراركم عن عدوكم. قال البراء بن عازب: كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا وكبينا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام وانكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يبق معه إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحرث^(٢).

قال ابن عاصم: إذ أعجبتمكم كثرتكم بديعا لأنه تنبيه على خطئهم في الأدب مع الله المناسب لمقامهم أي: ما كان ينبغي لكم أن تعتمدوا على كثرتكم.

(١) - هو سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشجعي، أبو عوف. شهد العقبة الأولى والثانية، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها. مات سنة أربع وثلاثين وهو ابن أربع وسبعين سنة بالمدينة. انظر: الإصابة لابن حجر ٦١٥/٤.

(٢) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٦/١٨-١٩.

(وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) وهذا التركيب تمثيل لحال المسلمين لما اشتد عليهم البأس واضطربوا ولم يهتدوا لدفع العدو عنهم، بحال من يرى الأرض الواسعة ضيقة^(١).
(ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ) أي رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن اطمئنانا كلياً مستتبعا للنصر القريب، وأما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) عطف على رسوله وإعادة الجار للايذان بالتفاوت، والمراد بهم الذين انهزموا، وفيه دلالة على أن الكبيرة لا تنافي الإيمان^(٢).

(١) - انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ١٠/١٥٥-١٥٦.

(٢) - انظر: تفسير روح المعاني للأكوسى ٥/٢٦٨.

المطلب الثالث: المواقف التي عولجت فيها أخطاء وقع فيها الصحابة في غزوة تبوك.

عندما دعاه النبي -صلى الله عليه وسلم- الصحابة إلى تبوك فأكثرتهم ارتحلوا معه ، ولكن بعضهم لم يذهبوا معه بل تخلفوا ، فبعض المتخلفين كانوا منافقين وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه. ولكن بعض الصحابة أيضا لم يذهبوا وعند ما رجع النبي -صلى الله عليه وسلم- صاروا على قسمين.

القسم الأول: التائبون وهم الذين سارعوا إلى التوبة بعد ما اعترفوا بذنوبهم.

القسم الثاني: موقوفون ومؤخرون إلى أن يحكم الله تعالى فيهم.

فذكر الله تعالى تخلفهم و نبتهم على هذا التخلف ، وذكرندمهم و توبتهم.

أولا: أقسام المتخلفين وتوبة الله عليهم.

أذكر هنا الآيات التي تبين أقسام المتخلفين عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتوبة الله عليهم.

القسم الأول: التائبون وهم الذين سارعوا إلى التوبة بعد ما اعترفوا بذنوبهم.

هذا القسم يتعلق بالتائبين الذين سارعوا إلى التوبة بعد ما اعترفوا بذنوبهم وهم أبو لبابة^(١) وأصحابه فقبل الله توبتهم ، وذكرهم في قوله تعالى:

﴿وَأَخْرُوجُوا اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَأَخَّرَ سَرِيًّا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ*﴾^(٢)

إختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى: "وَأَخْرُوجُوا بِذُنُوبِهِمْ" ولكن جمهور المفسرين قالوا إنها نزلت في جماعة من المسلمين من أهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله

(١) - هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، مختلف في اسمه: بعضهم اسمه بشير، بمعجمة وزن عظيم، أو بالمهملة أوله، ثم تحتانية ثانية. وقال البعض اسمه رفاعه، وقال البعض مروان. كان أحد النقباء ليلة العقبة. مات في خلافة علي بعد مقتل عثمان. انظر: الإصابة لابن حجر ٢٨٩/٧ - ٢٩٠.

(٢) - سورة التوبة: آية ١٠٢.

عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك. و لم يعتذروا عن تخلفهم بأعذار باطلة كغيرهم من المنافقين ولكن اعترفوا على أنفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا.

ثم اختلف المفسرون في عددهم فبعضهم قالوا إنهم كانوا عشرة وبعضهم قالوا إنهم كانوا خمسة أحدهم أبولبابة وقال بعضهم كانوا ثمانية أحدهم أبولبابة وقال بعضهم كانوا سبعة أحدهم أبولبابة. وقيل: كانوا ثلاثة ، ونزلت هذه الآية لأنهم كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا ، وقال مجاهد: نزلت الآية في أبي لبابة الأنصاري خاصة في شأنه مع بني قريظة. فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا: والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعذرنا فربطوا أنفسهم في سواري المسجد فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم مر بهم فزأهم فسأل عنهم، فأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عنهم وعن حلفهم فأقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم: بأن لا يطلقهم ولا يعذرهم حتى يؤمر بإطلاقهم. فأنزل الله عز وجل هذه الآية فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فأطلقهم وعذرهم فلما أطلقوا قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا. فأنزل الله: خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الآية. (١)

وهناك نقطة دقيقة وهي هل الاعتراف بالذنب يكون توبة أم لا؟ فأجاب الإمام الرازي عن هذا السؤال وقال: " مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة، فأما إذا اقترن به الندم على الماضي، والعزم على تركه في المستقبل، وكان هذا الندم والتوبة لأجل كونه منهيا عنه من قبل الله تعالى، كان هذا المجموع توبة، إلا أنه دل الدليل على أن هؤلاء قد تابوا بدليل قوله تعالى: عسى الله أن يتوب عليهم والمفسرون قالوا: إن عسى من الله يدل على الوجوب". (٢)

(١) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٢/٨ ، وتفسير الخازن ٤٠١/٢ .

(٢) - التفسير الكبير للرازي ١٣٢/١٦ .

وذكر الله تعالى قبول توبتهم في قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ*﴾ (١)

لما حكى الله تعالى عن القوم الذين تقدم ذكرهم أنهم تابوا عن ذنوبهم وأنهم تصدقوا وهناك لم يذكر إلا قوله: (عسى الله أن يتوب عليهم) وما كان ذلك صريحا في قبول التوبة ذكر في هذه الآية أنه يقبل التوبة وأنه يأخذ الصدقات، والمقصود ترغيب من لم يتب في التوبة، وترغيب كل العصاة في الطاعة (٢).

ثم بعد ذلك حث الله الصحابة أن يعملوا وذلك في قوله تعالى:

﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ*﴾ (٣)

قال الله تعالى في هذه الآية لنبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يقول لهؤلاء التائبين و يعلمهم أن يعملوا لله بما يرضيه، من طاعته، وأداء فرائضه ، "فسيرى الله عملكم" فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعد عظيم للمذنبين فكأنه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فإن الله تعالى يرى أعمالكم ويجازيكم عليها، وإن عملتم عملكم، ويراها رسوله والمؤمنون، في الدنيا ، وسترجعون يوم القيامة إلى من يعلم سركم وعلايتكم ولا يخفى عليه شيء من بواطنكم وظواهركم فينبئكم أي فيخبركم بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من خير أو شر فيجازيكم عن أعمالكم. (٤)

قال ابن عاشور: قل لهم اعملوا، أي بعد قبول التوبة، فإن التوبة إنما ترفع المؤاخذه بما مضى فوجب على المؤمن الراغب في الكمال بعد توبته أن يزيد من الأعمال الصالحة

(١) - سورة التوبة: آية ١٠٤.

(٢) - التفسير الكبير للرازي ١٦/١٣٩.

(٣) - سورة التوبة: آية ١٠٥.

(٤) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ١٤/٤٦٣، وتفسير الخازن ٢/٤٠٥.

ليجبر ما فاتته من الأوقات التي كانت حقيقة بأن يعمرها بالحسنات فعمرها بالسيئات فإذا وردت عليها التوبة زالت السيئات وأصبحت تلك المدة فارغة من العمل الصالح، فلذلك أمروا بالعمل عقب الإعلام بقبول توبتهم لأنهم لما قبلت توبتهم كان حقا عليهم أن يدلوا على صدق توبتهم وفرط رغبتهم في الارتقاء إلى مراتب الكمال حتى يلحقوا بالذين سبقوهم، فهذا هو المقصود، ولذلك كان حذف مفعول اعملوا لأجل التحويل على القرينة، ولأن الأمر من الله لا يكون بعمل غير صالح^(١).

القسم الثاني: موقوفون ومؤخرون إلى أن يحكم الله تعالى فيهم.

بعض المتخلفين لم يسرعوا في التوبة بل توقفوا وتأخروا فذكرهم الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ *﴾^(٢)

نزلت هذه الآية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم: كعب بن مالك^(٣)، وهلال بن أمية^(٤)، ومرارة بن الربيع^(٥)، وهم لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من أهل بدر، فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم يقول: عسى الله أن يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله

(١) - انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٥/١١.

(٢) - سورة التوبة: آية ١٠٦.

(٣) - هو كعب بن مالك بن عمرو بن القين، الأنصاري السلمي الخزرجي صحابي، من أكابر الشعراء من أهل المدينة في الجاهلية، وفي الإسلام من شعراء النبي صلى الله عليه وآله. وشهد أكثر الوقائع. وعسى في آخر عمره توفي سنة ٥٠. انظر: الإصابة لابن حجر ٤٥٦/٥، والأعلام للزركلي ٢٢٩/٥.

(٤) - هو هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعم بن عامر بن كعب بن واقف الأنصاري الواقفي. شهد بدر وما بعدها. وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. وعاش إلى خلافة معاوية حتى أدرك عكرمة الرواية عنه. انظر: الإصابة لابن حجر ٤٢٨/٦.

(٥) - هو مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسي: من بني عمرو بن عوف، ويقال: إن أصله من قضاة، حالف بني عمرو بن عوف. صحابي مشهور، شهد بدر على الصحيح، هو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. انظر: الإصابة لابن حجر ٥٢/٦.

سبحانه وتعالى: إما يعذبهم وإما يتوب عليهم يعني أن أمرهم إلى الله تعالى إن شاء عذبهم بسبب تخلفهم وإن شاء غفر لهم وعفا عنهم والله عليم يعني بما في قلوبهم حكيم يعني بما يقضي عليهم^(١).

ثم بعد ذلك ذكر الله تعالى توبتهم في قوله تعالى:

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)

ذكر الله تعالى في هذه الآية بأنه قد تجاوز وصفه عن النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار وذكر المفسرون توجيهات للتوبة على النبي -صلى الله عليه وسلم- منها:

عدم مؤاخذته بإذنه للمنافقين بالتخلف في غزوة تبوك وهي كقوله سبحانه وتعالى: (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ^(٣)) فهو من باب ترك الأفضل لا أنه ذنب يوجب عقاباً.

أو ذكر النبي بالتوبة عليه تشريعاً للمهاجرين والأنصار في ضم توبتهم إلى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول إلى اسم الله في قوله (فَأَن لَّهِ خَمْسَةٌ وَلِلرَّسُولِ) فهو تشريف له.

ثم بعد ذلك ذكر الله تعالى توبته الله على المهاجرين والأنصار، لأجل ما وقع في قلوبهم من الميل إلى القعود عن غزوة تبوك لأنها كانت في وقت شديد وربما وقع في قلوب بعضهم أنا لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية.

(١) - انظر: تفسير الخازن ٤٠٥/٢ ، وجامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٤٦٤/١٤ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٥٢/٨.

(٢) - سورة التوبة: آية ١١٧.

(٣) - سورة التوبة: آية ٤٣.

الَّذِينَ اتَّبَعُوا النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- في تلك الغزوة من المهاجرين والأنصار في غزوة العسرة لأنَّ غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار فيه يسمى جيش العسرة. من بعد ما قارب أن تميل قلوب بعضهم عن الحق من أجل المشقة والشدة التي نالتهم. وقيل: هم بعضهم أن يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ما خطر في قلوبهم فلأجل ذلك قال تعالى: ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ يعني أنه سبحانه وتعالى علم إخلاص نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الإنابة والتوبة. (١)

والآية الأخرى التي تدل على نفس الموضوع هي قوله تعالى:

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٢)

يرى أكثر المفسرين أنَّ هذه الآية نزلت في بيان توبة الصحابة الثلاثة الذين خلفوا عن الغزوة وأيضاً تخلّفوا عن توبة أبي لبابة وأصحابه. وأنَّ هذه الآية معطوفة على ما قبلها؛ تقديرها لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا العطف بين قبول توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الأنصار وهم المرادون بقوله سبحانه وتعالى وآخرون مرجون لأمر الله. (٣)

وأن الله تعالى وصف هؤلاء الثلاثة بصفات ثلاثة.

الصفة الأولى: "حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت" وذلك لأن النبي عليه الصلاة والسلام صار معرضاً عنهم ومنع المؤمنين من مكالمتهم وأمر أزواجهم باعتزالهم وبقوا على هذه الحالة خمسين يوماً.

(١) انظر: تفسير الخازن ٤١٤/٢ والتفسير الكبير للرازي ١٦٢/١٦.

(٢) سورة التوبة: آية ١١٨.

(٣) انظر: تفسير الخازن ٤١٥/٢.

والصفة الثانية: "وضاقت عليهم أنفسهم" والمراد ضيق صدورهم بسبب الهم والغم ومجانبة الأولياء والأحباء، ونظر الناس لهم بعين الإهانة.
الصفة الثالثة: "وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه".^(١)

وذكر المفسرون الرواية المشهورة عن كعب بن مالك -رضي الله عنه- فيها تفصيل لقصة توبتهم، فأذكرها ملخصاً كما ذكر الإمام الرازي؛ قال كعب: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب حديثي ولكن لما أبطأت عنه في الخروج قال عليه الصلاة والسلام: ما الذي حبس كعباً؟ فلما رجع من الغزوة وقدم المدينة اعتذر المنافقون فعذرهم وأتيته وقلت: إن كراعي وزادي كان حاضراً واحتبست بذنبي فاستغفر لي فأبى الرسول ذلك، ثم إنه عليه الصلاة والسلام نهى عن مجالسة هؤلاء الثلاثة، وأمر بمباينتهم حتى أمر بذلك نساءهم، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وجاءت امرأة هلال بن أمية وقالت: يا رسول الله لقد بكى هلال حتى خفت على بصره حتى إذا مضى خمسون يوماً أنزل الله تعالى: لقد تاب الله على النبي والمهاجرين وأيضاً "وعلى الثلاثة الذين خلفوا" فعند ذلك خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حجرته وهو عند أم سلمة فقال: "الله أكبر قد أنزل الله عذر أصحابنا" فلما صلى الفجر ذكر ذلك لأصحابه ويشرهم بأن الله تاب عليهم، فانطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا عليهم ما نزل فيهم. فقال كعب: توبتي إلى الله تعالى أن أخرج مالي صدقة فقال: "لا" قلت: فنصفه قال: "لا" قلت: فثلثه قال: "نعم".^(٢)

ثانياً: تعليم الصحابة من هذه القصة.

أما الآية التي تدل على موطن التعليم في هذه القصة هي قوله تعالى.

(١) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٦/١٦٥.

(٢) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٦/١٦٤-١٦٥، و جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ١٤/٥٤٨-٥٥٨، وتفسير الخازن ٢/٤١٥-٤١٩، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب وعلى الثلاثة الذين خلفوا ٧٠/٦٠٠، حديث رقم: ٤٦٧٧.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾ (١) إنه تعالى لما حكم بقبول توبة هؤلاء الثلاثة، ذكر ما يكون كالزاجر عن فعل ما مضى، وهو التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد فقال: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) في مخالفة أمر الرسول (وكونوا مع الصادقين) يعني مع الرسول وأصحابه في الغزوات، ولا تكونوا متخلفين عنها وجالسين مع المنافقين في البيوت. (٢)

ذكر ابن عاشور في تفسير الآية الأولى حديث كعب بن مالك حين تخلف عن غزوة تبوك أنه قال: «فو الله ما أعلم أحدا ... أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا كذبا وأنزل الله على رسوله " لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ - إلى قوله - وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » (٣). فهذه الآية بمنزلة التذليل للقصة فإن القصة مشتملة على ذكر قوم اتقوا الله فصدقوا في إيمانهم وجهادهم فرضي الله عنهم، وذكر قوم كذبوا في ذلك واختلقوا المعاذير وحلفوا كذبا فغضب الله عليهم، وقوم تخلفوا عن الجهاد وصدقوا في الاعتراف بعدم العذر فتأب الله عليهم، فلما كان سبب فوز الفائزين في هذه الأحوال كلها هو الصدق لا جرم أمر الله المؤمنين بتقواه وبأن يكونوا في زمرة الصادقين مثل أولئك الصادقين الذين تضمنتهم القصة (٤)».

(١) - سورة التوبة: آية ١١٩-١٢٠.

(٢) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٦/١٦٦.

(٣) - سورة التوبة: آية ١١٧-١١٩.

(٤) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٥٤/١١، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: وعلى الثلاثة الذين خلفوا، ٣/٦، حديث رقم: ٤٤١٨.

وأكد ذلك في الآية الثانية ونهى عن التخلف عنه. فقال: (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) والأعراب الذين كانوا حول المدينة مزينة، وجهينة، وأشجع، وأسلم، وغفار، هكذا قاله ابن عباس. وقيل: بل هذا يتناول جميع الأعراب الذين كانوا حول المدينة فإن اللفظ عام، والتخصيص تحكم، وعلى القولين فليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله، ولا يطلبوا لأنفسهم الحفظ والدعة حال ما يكون رسول الله في الحر والمشقة، وقوله: (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) يقال: رغبت بنفسي عن هذا الأمر أي توقفت عنه وتركته، وأنا أَرغب بفلان عن هذا أي أبخل به عليه ولا أتركه. والمعنى: ليس لهم أن يكرهوا لأنفسهم ما يرضاه الرسول عليه الصلاة والسلام لنفسه.^(١)

قال ابن عاشور: هذا وجوب عيني على هؤلاء شرفهم الله بأن جعلهم جند النبي صلى الله عليه وسلم وحرس ذاته. وصيغة ما كان لأهل المدينة خبر مستعمل في إنشاء الأمر على طريق المبالغة، إذ جعل التخلف ليس مما ثبت لهم، فهم برآء منه فيثبت لهم ضده وهو الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم إذا غزا. فيه ثناء على أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب لما قاموا به من غزو تبوك، فهو يقتضي تحريضهم على ذلك كما دل عليه قوله: ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ إلخ. وأيضاً تعريض بالذين تخلفوا من أهل المدينة ومن الأعراب. وذلك يدل على إيجاب النفير عليهم إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم للغزو.^(٢) ولا إشكال على عدالة الصحابة بسبب هذا التخلف، لأن الله تعالى قد عفا عنهم وتاب عليهم ورضى عنهم كما ذكر الله تعالى في الآيات التالية. رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

(١) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٦/١٦٩.

(٢) - انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٥٥/١١.

المبحث الثانى

الآيات التى نزلت لتعليم الصحابة.

المطلب الاول: المواقف التى علمت الصحابة الأدب مع رسول الله.

المطلب الثانى: تعليم الصحابة أدب التعامل مع اخوانهم.

المبحث الثاني: الآيات التي نزلت لتعليم الصحابة

لقد أمر الله تعالى المؤمنين بالصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وغيرها من الفرائض وأيضاً أنزل الله تعالى بعض الآيات القرآنية لتعليم الصحابة وتربيتهم ، وعلمهم الأدب مع النبي -صلى الله عليه وسلم وكيفية التعامل معه ، وفي بعض الآيات علمهم كيفية التعامل مع إخوانهم المؤمنين. وسأذكر في هذا المبحث الآيات التي نزلت لبيان الأدب مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وبيان كيفية التعامل مع المؤمنين الآخرين.

المطلب الأول: المواقف التي علمت الصحابة الأدب مع رسول الله

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أنه بعث نبيّه وحبيبه محمد-صلى الله عليه وسلم- إلى الأميين وقد منّ على المؤمنين أن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ، وعلمهم كيفية الشكر لله على هذه النعمة الكبرى وأيضاً علمهم كيفية تعاملهم مع النبي المصطفى-صلى الله عليه وسلم-. وسأذكر في هذا المطلب الآيات التي علمت الصحابة الأدب مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرٍ إِنَاءَهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَخِيبُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَخِيبُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا *﴾^(١)

(١) - سورة الأحزاب: آية ٥٣.

قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش^(١) كما قال القرطبي: هذه الآية تضمنت قصتين: إحداهما - الأدب في أمر الطعام والجلوس. والثانية - أمر الحجاب. فأما القصة الأولى فالجمهور من المفسرين على أن: سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش أولم عليها، فدعا الناس، فلما طعموا جلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته مولية وجهها إلى الحائط، فأثقلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أنس: فما أدري أنا أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أن القوم قد خرجوا أو أخبرني. قال: فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب. قال: ووعظ القوم بما وعظوا به، وأنزل الله عز وجل "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي" - إلى قوله - "إن ذلكم كان عند الله عظيماً"^(٢).

قال الإمام الرازي إن هذه الآية نزلت إرشاداً لهم ولبيان حال الصحابة مع النبي - صلى الله عليه وسلم - من الاحترام ثم إن حال الأمة مع النبي على وجهين. أحدهما: في حال الخلوة والواجب هناك عدم إزعاجه وبين ذلك بقوله: لا تدخلوا بيوت النبي. وثانيهما: في الملأ والواجب هناك إظهار التعظيم كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه.. الآية^(٣).

(١) - هي زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أمها أمية عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث ، وهي بنت خمس وثلاثين سنة ، وماتت سنة عشرين ، وهي بنت خمسين ، ونزلت بسببها آية الحجاب. انظر: الإصابة لابن حجر ١٥٥/٨.

(٢) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٣/١٤ - ٢٢٤ ، وجامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣١٠/٢٠ ، والأحاديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله: لا تدخلوا بيوت النبي... ١١٨/٦ ، حديث رقم: ٤٧٩١ - ٤٧٩٤.

(٣) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٧٧/٢٥ - ١٧٨.

فذكر الله تعالى في هذه الآية بعض آداب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلم الصحابة كيفية التعامل معه - ومع أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - . أذكرها ملخصا حسب ما ذكرها القرطبي والرازي والخازن في تفاسيرهم.

الأدب الأول:

(لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا).

يعني لا تدخلوا بيوت النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا أن تدعوا إلى طعام فيؤذن لكم فتأكلون غير ناظرين إناه يعني منتظرين نضجه وقت إدراكه. (ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا) فأكد المنع، وخص وقت الدخول بأن يكون عند الإذن على جهة الأدب، وحفظ الحضرة الكريمة من المباشطة المكروهة. قال ابن العربي: وتقدير الكلام: ولكن إذا دعيتم وأذن لكم في الدخول فادخلوا، وإلا فنفس الدعوة لا تكون إذنا كافيا في الدخول. والفاء في جواب "إذا" لازمة لما فيها من معنى المجازاة. (١)

الأدب الثاني:

(فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ) فإذا أكلتم الطعام فاخرجوا من منزله وتفرقوا (ولا مستأنسين لحديث) لا تمكثوا مستأنسين بالحديث كما فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في وليمة زينب. لأن جلوسكم كان يؤذي النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يستحي من إخراجكم والله لا يستحي من الحق أي لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء. كما قال سبحانه وتعالى: (إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي

(١) - راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٣/١٤ - ٢٢٥ ، وتفسير الخازن ٤٣٤/٣ ، والتفسير الكبير للرازي ١٨٠/٢٥ .

من الحق).^(١)

الأدب الثالث:

(وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) علم الله تعالى الصحابة الأدب مع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم - لأنه تعالى لما منع الناس من دخول بيوت النبي عليه السلام، وكان في ذلك تعذر الوصول إلى الماعون، بين أن ذلك غير ممنوع منه فليسأل وليطلب من وراء حجاب.^(٢)

الأدب الرابع:

(وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا) لما علم المؤمنين الأدب أكد به بما يحملهم على المحافظة عليه، فقال: (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) وكل ما منعتهم عنه مؤذ فامتنعوا عنه. المراد به أن إيذاء الرسول حرام، والتعرض لنسائه في حياته إيذاء فلا يجوز، ثم قال لا بل ذلك غير جائز مطلقاً، ثم أكد بقوله: إن ذلكم كان عند الله عظيماً أي إيذاء الرسول.^(٣)

والآية الأخرى التي تبين الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤) ذكر المفسرون أقوالاً مختلفة في سبب نزول هذه الآية منها ما أخرج البخاري بسنده عن ابن جريج، قال: أخبرني ابن أبي مليكة، أن عبد الله بن الزبير أخبرهم: أنه " قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال

(١) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/٢٢٣-٢٢٥، وتفسير الخازن ٣/٤٣٤، والتفسير

الكبير للرازي ١٨٠/٢٥.

(٢) - المرجع السابق.

(٣) - المرجع السابق.

(٤) - سورة الحجرات: آية ١.

عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلى، أو إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافاً، فتمارياً حتى ارتفعت أصواتهما "، فنزل في ذلك: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) حتى انقضت الآية^(١).

وبعض المفسرين قالوا إنها نزلت في صوم يوم الشك، وبعضهم قالوا نزلت في التضيعة قبل صلاة العيد، وقيل نزلت في ثلاثة قتلوا اثنين من سليم ظنوهما من بني عامر، وقيل نزلت في جماعة أكثروا من السؤال وكان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفود^(٢). قال الإمام الرازي: والأصح أنه إرشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل إثبات وتقدم واستبداد بالأمر وإقدام على فعل غير ضروري من غير مشاورة^(٣).

وأشار الزمخشري إلى نفس المفهوم بأنه ذكر وجهي حذف المفعول في قوله تعالى ، لا تُقَدِّمُوا ، أحدهما: أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم. وثانيهما: أن لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه، ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدم، كأنه قيل: لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل، ولا تجعلوه منكم بسبيل^(٤).

فعلّم الله تعالى الصحابة في هذه الآية إحترام رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لأوامره ونواهيه ، بأن قال لا تعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قبل أن يفعله ، مثلاً لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا تصوموا قبل أن يصوم النبي -صلى الله عليه وسلم-. ولا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة^(٥).

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب تفسير القرآن ، باب "إن الذين ينادونك من وراء الحجرات " ١٣٧/٦ ، حديث رقم: ٤٨٤٧.

(٢) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٩١/٢٨ ، وتفسير الدر المنثور للسيوطي ٥٤٦/٧.

(٣) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٩١/٢٨.

(٤) - انظر: الكشف للزمخشري ٣٥٠/٤.

(٥) - انظر: تفسير الخازن ١٧٥/٤.

والآية الأخرى التى ذكر الله تعالى فيها الأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم هى قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * (١)

أخرج البخارى فى سبب نزول هذه الآية عن ابن أبي مليكة، قال: "كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر - قال نافع لا أحفظ اسمه - فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافاً فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم...) " الآية قال ابن الزبير: «فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر (٢)».

ذكر الله تعالى فى هذه الآية أدباً آخر للنبي -صلى الله عليه وسلم- وأمر المؤمنين عامةً والصحابة خاصةً أن يبجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادى بعضهم بعضاً فيقول يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله ، يعنى لا تجعلوا كلامكم مرتفعاً على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وذلك، لأن رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام. منع الله تعالى الصحابة عن التقدّم فى الفعل فى الآية السابقة بقوله: "لا تقدموا" أما فى هذه الآية منعهم عن التقدّم فى القول بقوله "لا ترفعوا أصواتكم" ، وعن نداء النبي -صلى الله عليه وسلم- مثل ما ينادى بعضهم بعضاً بقوله: وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ، لأنّ هذه الأشياء توجب انحطاط

(١) - سورة الحجرات: آية ٢.

(٢) - أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب تفسير القرآن ، باب "إن الذين ينادونك من وراء الحجرات " ١٣٧/٦ ، حديث رقم: ٤٨٤٥.

درجنتكم وإحباط حسناتكم لئلا تحبط أعمالكم. (١)

وذكر الإمام الرازي فائدة أخرى لهذا الكلام أى "وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ..." وقال: إن بالأول حصل المنع من أن يجعل الإنسان كلامه أو صوته أعلى من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وصوته، ولقائل أن يقول فما منعت من المساواة؟ فقال تعالى: وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ كَمَا تَجْهَرُونَ لأقرانكم ونظرانكم بل اجعلوا كلمته عليا. (٢)

وذكر المفسرون مواقف الصحابة بعد نزول هذه الآيات منها. عن أنس بن مالك قال: لما نزلت هذه الآية جلس ثابت بن قيس (٣) في بيته وقال: أنا من أهل النار. واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ (٤) عنه؟ فقال سعد: إنه لجاري وما علمت له شكوى. قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أنني من أرفعكم صوتاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من أهل الجنة (٥).

(١) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٩٣/٢٨ وتفسير الخازن ٧٦/٤.

(٢) - التفسير الكبير للرازي ٩٣/٢٨.

(٣) - هو ثابت بن قيس الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر الأنصاري الظفري صحابي، كان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد. وفي الحديث: نعم الرجل ثابت. قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر، انظر: الإصابة لابن حجر ٥٠٩/١ والأعلا م للزركلي ٩٨/٢.

(٤) - تَقَمَّتْ ترجمته.

(٥) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٨١/٢٢، تفسير الخازن ١٧٦/٤، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب {لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} ١٣٧/٦، حديث رقم: ٤٨٤٦.

وفى رواية أخرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة؟ فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا. (١)

والآية الأخرى التى تبين نفس الموضوع هى قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *﴾ (٢)

أثنى الله تعالى على الصحابة بأنهم إذا كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر جامع أي يجمعهم من حرب أو صلاة حضرت، أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل لم يتركوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له حتى يستأذنه ، (كما ذكرت في الفصل الأول) وعلمهم أن لا يجعلوا دعاء الرسول بينهم كدعاء بعضهم بعضا.

ذكر الإمام الرازى فى قوله تعالى: " لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا " أربعة وجوه وهى: أحدها: ولا تجعلوا أمره إياكم ودعائه لكم كما يكون من بعضكم لبعض إذ كان أمره فرضا لازما، وثانيها: لا تتنادوه كما ينادي بعضكم بعضا يا محمد، ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله، وثالثها: لا ترفعوا أصواتكم في دعائه وهو المراد من قوله: (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) (٣) ورابعها: احذروا دعاء الرسول عليكم إذا

(١) - انظر: جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير ٢٨١/٢٢ ، والحديث أخرجه الحاكم فى مستدركه

، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر ثابت بن قيس ٢٦٠/٣ ، حديث رقم: ٥٠٣٤.

(٢) - سورة النور: آية ١٦٢.

(٣) - سورة الحجرات: آية ٣.

أسخطتموه فإن دعاءه موجب ليس كدعاء غيره، ولكن قال بعد ذكر هذه الوجوه أن الوجه الأول أقرب إلى نظم الآية. (١)

والآية الأخرى التي ذكر الله تعالى فيها أدبا آخر من هذا الباب هي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ *﴾ (٢)

ذكر الله تعالى في هذه الآية أدبا آخر علم الصحابة أن لا يفارقوا النبي - صلى الله عليه وسلم - وذكر المفسرون الرواية المشهورة في سبب نزول هذه الآية ، وهي: عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة، فجاءت غير من الشام فانقتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا - في رواية أنا فيهم - فانزلت هذه الآية التي في الجمعة وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما. في رواية: فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. وقد ذكر الكلبي (٣) وغيره: أن الذي قدم بها دحية بن خليفة الكلبي (٤) من الشام عند مجاعة وغلاء سعر، وكان معه جميع ما يحتاج الناس من

(١) - انظر: التفسير الكبير للرازي ٤٢٥/٢٤، وتفسير الخازن ٣٠٧/٣.

(٢) - سورة الجمعة: آية ٩-١١.

(٣) - هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو ابن الحارث الكلبي، أبو النضر: عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب. ولد بالكوفة وتوفي فيها سنة ١٤٦ هـ. وهو من (كلب بن وبرة) من قضاعة. قال النسائي: حدث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ١٧٨/٩-١٧٩.

(٤) - هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج، بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف الكلبي. صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق وقيل أحد، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته، نزل دمشق وسكن المنزة، وعاش إلى خلافة معاوية. انظر: الإصابة لابن حجر ٣٢٣/٢.

بر ودقيق وغيره، فنزل عند أحجار الزيت، وضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه، فخرج الناس إلا اثني عشر رجلاً. وقيل: أحد عشر رجلاً.

فنزلت هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادي نارا، أوقال لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فأنزل الله هذه الآية "وأراد باللهو الطبل وكانت العير إذا قدمت استقبلوها بالطبل والتصفيق، فانفضوا يعني تفرقوا وذهبوا نحوها وتركوا النبي -صلى الله عليه وسلم- قائماً.

فقال الله تعالى للنبي -صلى الله عليه وسلم- أن يخبر الصحابة ما عند الله من الثواب والأجر على الصلاة والثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم (خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ) الذي جاء بهما دحية والله خَيْرُ الرَّازِقِينَ يعني أنه تعالى موجد الأرزاق وأصلها منه فإياه فاسألوا ومنه فاطلبوا. (١)

والآية الأخرى التي ذكر الله تعالى فيها الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هي قوله تعالى:

﴿وَاغْلَمُوا أَنْ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ...﴾ (٢)

علم الله تعالى الصحابة أدباً آخر للنبي -صلى الله عليه وسلم- وهو أن تطيعوه ولا تتمنوا أن يطيعكم ولا تخبروه بما لا يصح، فإنه رسول الله يطلعه على ذلك. فإنه لو أطاعكم في كثير من الأمر الذي يؤدي إليه اجتهدكم وتقدمكم بين يديه لعنتم: أي لشق عليكم. (٣)
قال ابن عاشور: المقصود تعليم المسلمين اتباع ما شرع لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحكام ولو كانت غير موافقة لرغباتهم. وجملة لو يطيعكم في كثير من الأمر...

(١) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠٩/١٨ والتفسير الكبير للرازي ٥٤٤/٣٠ ، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب في قوله تعالى: وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائماً... ٥٩٠/٢ ، حديث رقم: ٨٦٣.

(٢) - سورة الحجرات: آية ٧.

(٣) - انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٥١٣/٩.

إلخ يجوز أن تكون استثناءً ابتدائياً. فضمير الجمع في قوله: يطيعكم وقوله: لعنتم عائداً إلى الذين آمنوا على توزيع الفعل على الأفراد فالمطاع بعض الذين آمنوا وهم الذين يبتغون أن يعمل الرسول صلى الله عليه وسلم بما يطلبون منه، والعائت بعض آخر وهم جمهور المؤمنين الذين يجري عليهم قضاء النبي صلى الله عليه وسلم بحسب رغبة غيرهم^(١).

(١) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٣٤/٢٦-٢٣٥.

المطلب الثاني: تعليم الصحابة أدب التعامل مع إخوانهم

ذكر الله تعالى في كتابه المبين كيفية تعامل المؤمنين مع إخوانهم في كثير من الآيات الكريمة، وسأذكر هنا في هذا المطلب الآيات التي تتعلق ببعض الآداب التي علمها الله الصحابة خاصة والمؤمنين عامة لأن هذه الآيات نزلت لأفراد مخصوصة في وقعات خاصة ثم بعد ذلك صارت عامة لجميع الأمة الإسلامية.

الأدب الأول: اجتناب التهم والافتراء.

عندما افترى بعض الناس من المنافقين على أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- خاض بعض الصحابة في حديث الإفك الذي رميت به أم المؤمنين عائشة المبرأة، رضي الله عنها. فعلم الله تعالى الصحابة بعض الآداب المتعلقة بحديث الإفك مثل الإجتنب من التهمة في قوله تعالى:

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾^(١)

هذا عتاب من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين في ظنهم حين قال أصحاب الإفك ما قالوا: ظن المؤمنون أن المؤمن لا يفجر بأمه، قاله المهدي^(٢). و"لولا" بمعنى هلا. وقيل: المعنى أنه كان ينبغي أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم، فإن كان ذلك يبعد فيهم فذلك في عائشة وصفوان^(٣) أبعد.

والمراد بقوله تعالى: (بأنفسهم) قال النحاس^(٤): معنى "بأنفسهم" بإخوانهم. فأوجب الله على

(١) - سورة النور: آية ١٢.

(٢) - محمد بن إبراهيم المهدي، أبو عبد الله: فقيه. من أهل المهدية (بالمغرب) نزل بفاس، وتوفي بها. عرّفه صاحب جذوة الاقتباس بالفقيه العالم الصالح صاحب كتاب "الهداية"، توفي سنة ٥٩٥ هـ، الأعلام للزركلي ٢٩٦/٥.

(٣) - تقدمت ترجمته.

(٤) - هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس: مفسر، أديب. كان من

المسلمين إذا سمعوا رجلا يقذف أحدا ويذكره بقبيح لا يعرفونه به أن ينكروا عليه ويكذبوه. وتواعد من ترك ذلك ومن نقله^(١).

قال ابن عاشور: قوله تعالى: (بأنفسهم خيرا) وقع في مقابلة ظن المؤمنين والمؤمنات فيقتضي التوزيع، أي ظن كل واحد منهم بالآخرين ممن رموا بالإفك خيرا إذ لا يظن المرء بنفسه. وهذا كقوله تعالى: "وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ"^(٢) أي يلمز بعضهم بعضا^(٣).

والآية الأخرى التي تشير إلى نفس الموضوع هي قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤)

كان عليكم أن تقولوا حين سمعتموه: إن هذا كذب واختلاق كبير، وأن تتصحوا بعدم الخوض فيه، لأنه غير لائق بكم، وأن تقولوا متعجبين من هول هذه الفرية: سبحانك يا رب، نحن ننزهك، إن هذا كذب عظيم. ثم حذر الله المؤمنين أن يعودوا لمثل هذا فقال: "يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين" يعظكم الله بهذه المواعظ وينهاكم أن تعودوا لمثل هذه المعصية أبدا، إن كنتم مؤمنين حقا، لأن هذه الأعمال تتنافى مع الإيمان الصادق^(٥).

قال القرطبي: الآية عتاب لجميع المؤمنين أي كان ينبغي عليكم أن تنكروه ولا يتعاطاه

نظراء لفظويه وابن الأنباري. زار العراق واجتمع بعلمائه. توفي سنة ٣٣٨ هـ. وصنف (تفسير القرآن) و (إعراب القرآن) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٩٩/١.

(١) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٢/١٢.

(٢) - سورة الحجرات: آية ١١.

(٣) - انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ١٧٤/١٨.

(٤) - سورة النور: آية ١٦-١٧.

(٥) - انظر: تيسير التفسير لإبراهيم القطان ٤٩٣/٢.

بعضكم من بعض على جهة الحكاية والنقل، وأن تنزهوا الله تعالى عن أن يقع هذا من زوج نبيه عليه الصلاة والسلام. وأن تحكموا على هذه المقالة بأنها بهتان، وحقيقة البهتان أن يقال في الإنسان ما ليس فيه. و"يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً" يعني في عائشة، لأن مثله لا يكون إلا نظير القول في المقول عنه بعينه، أو فيمن كان في مرتبته من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، لما في ذلك من إذائه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرضه وأهله، وذلك كفر من فاعله. "إن كنتم مؤمنين" توقيف وتوكيد، كما نقول: ينبغي لك أن تفعل كذا وكذا إن كنت رجلاً^(١).

الأدب الثاني: العفو والصفح.

وذكر الله تعالى أدبا آخر في قوله تعالى:

﴿وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)

ذكر الله تعالى في هذه الآية أدبا آخر للصحابية، وهو أن يكون المؤمن مشفقاً على إخوانه المسلمين ولا يقطع التصديق على إخوانه خاصة في الفقراء واليتامى لوجه ما. هذه الآية أيضاً تتعلق بالحديث الإفك وذكر المفسرون سبب نزول هذه الآية أن المراد بأولى الفضل أبو بكر رضي الله عنه - والآية نزلت له عندما اتهم المنافقون عائشة رضي الله عنها - وخاض بعض من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، وأفشو وتكلموا به، وعند ما نزلت البراءة لعائشة رضي الله عنها - أقسم أبو بكر، ألا يتصدق على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصله، فعندما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح^(٣) وهو ابن خالة أبي بكر، وقد كان يتيماً في حجره وكان ينفق عليه وعلى قرابته، نزلت هذه الآية وقال

(١) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٥/١٢.

(٢) - سورة النور: آية ١٧.

(٣) - تقدمت ترجمته.

سبحانه وتعالى: لا يقسم أولو الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم، وأن يعطوهم من أموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك. فأمر الله أن يغفر لهم وأن يعفو عنهم^(١).
ومن الأحاديث التي تدل على هذا الأدب ما روى عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو، إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»^(٢).

وعن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كم أعفو عن الخادم؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: يا رسول الله، كم أعفو عن الخادم؟ فقال: «كل يوم سبعين مرة»^(٣) وغيرهما من الأحاديث الأخرى الكثيرة.

الأدب الثالث: التثبت من الأخبار.

ذكر الله تعالى أدبا آخر في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ *﴾^(٤)

أدب الله عباده المؤمنين بأدب نافع لهم في دينهم ودنياهم - أنه إذا جاءهم الفاسق المجاهر بترك شعائر الدين بأي خبر، لا يصدقونه بآدى ذى بدء حتى يتثبتوا، ويتطلبوا انكشاف الحقيقة ولا يعتمدوا على قوله، فإن من لا يبالي بالفسق لا يبالي بالكذب الذي هو من

(١) - انظر جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ١٣٧/١٩ ، والتفسير الكبير للرازي ٣٤٨/٢٣.

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع ٢٠٠١/٤ حديث رقم: ٢٥٨٨.

(٣) - أخرجه الترمذي في سننه ، ابواب البر والصلة، باب ما جاء في العفو عن الخادم ٣٣٦/٤ ، حديث رقم: ١٩٤٩ ، وقال: هذا حديث حسن غريب وصححه الألباني في التعليق.

(٤) - سورة الحجرات: آية ٦.

فصيلته - كراهة أن يصيبوا بأذى قوما هم جاهلون حالهم، فتندموا على ما فرط منكم، وتتمنوا أنه لو لم يكن قد وقع^(١).

قال الشوكاني في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) قرأ الجمهور: فتبينوا من التبين، وقرأ حمزة والكسائي: «فتثبتوا» من التثبت، والمراد من التبين التعرف والتفحص، ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع، والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر^(٢).

ذكر المفسرون في تفسير هذه الآية رواية مشهورة بينهم وقالوا إن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة^(٣)، حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم، إلى بني المصطلق وليا ومصدقا فالتقوه، فظنهم مقاتلين، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إنهم امتنعوا ومنعوا، فهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالإيقاع بهم، فنزلت هذه الآية، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم لم يفعلوا من ذلك شيئا، فنزلت هذه الآية في ذلك الوقت^(٤). وما روى الإمام أحمد عن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي، قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه، وأقررت به، فدعاني إلى الزكاة، فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله، أرجع إلى قومي، فأدعوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، فيرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا لإبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه، احتبس عليه الرسول، فلم

(١) - انظر: تفسير المراعي ١٢٦/٢٦.

(٢) - فتح القدير للشوكاني ٧١/٥.

(٣) - هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو نكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي، أخو عثمان بن عفان لأمه، وأسلم الوليد وأخوه عمارة يوم الفتح، مات في خلافة معاوية. انظر: الإصابة لابن حجر ٤٨١/٦ - ٤٨٣.

(٤) - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٨٦/٢٢، وتفسير الخازن ١٧٨/٤.

يأتيه، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عز وجل ورسوله، فدعا بسرورات قومه، فقال لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لي وقتاً يرسل إلي رسولاً ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف، ولا أرى حبس رسول الله إلا من سخطة كانت، فانطلقوا، فنأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق، فرق، فرجع، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا رسول الله، إن الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث وفصل من المدينة، لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم، قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعه الزكاة، وأردت قتله قال: لا، والذي بعث محمداً بالحق، ما رأيته بته، ولا أتاني فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «منعت الزكاة، وأردت قتل رسولي؟» قال: لا، والذي بعثك بالحق ما رأيته، ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم، خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عز وجل، ورسوله. قال: فنزلت (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا..... إلى ... وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (١)

ولكن بعض العلماء ضعفوا هذه الروايات ، كما قال ابن عاشور بعد ذكر هذه الروايات: " فهذا تلخيص هذه الروايات وهي بأسانيد ليس منها شيء في الصحيح " (٢).

ثم بعد ذلك قال ابن عاشور: واعلم أن ليس في الآية ما يقتضي وصف الوليد بالفاسق تصريحاً ولا تلويحاً. وقد اتفق المفسرون على أن الوليد ظن ذلك؛ كما في "الإصابة" (

(١) - سورة الحجرات: آية ٦-٨ ، والحديث أخرجه أحمد في مسنده ، أول مسند الكوفيين ، حديث الحارث بن ضرار الخزاعي، ٤٠٣/١٨ ، حديث رقم: ١٨٤٥٩.

(٢) - التحرير والتوير لابن عاشور ٢٢٨/٢٦.

فظن أنهم خرجوا يقاتلونه^(١) عن ابن عبد البر وليس في الروايات ما يقتضي أنه تعمد الكذب^(٢).

ثم ذكر تأويل هذه الروايات المذكورة وقال: وعلى تسليم أن تكون الآية إشارة إلى فاسق معين فلماذا لا يحمل على إرادة الذي أعلم الوليد بأن القوم خرجوا له ليصدوه عن الوصول إلى ديارهم قصدا لإرجاعه؟ وفي بعض الروايات أن خالدا وصل إلى ديار بني المصطلق. وفي بعضها أن بني المصطلق وردوا المدينة معتذرين، واتفقت الروايات على أن بين بني المصطلق وبين الوليد بن عقبة شحناء من عهد الجاهلية. وفي الرواية أنهم اعتذروا للتسلح بقصد إكرام ضيفهم. وفي السيرة الحلبية أنهم قالوا: خشينا أن يبادئنا بالذي كان بيننا من شحناء^(٣).

ثم ذكر دليلا آخر على موقفه وقال: والخطاب بـ "يا أيها الذين آمنوا" مراد به النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ويشمل الوليد بن عقبة إذ صدق من أخبره بأن بني المصطلق يريدون له سوءا ومن يأتي من حكام المؤمنين وأمرائهم لأن المقصود منه تشريع تعديل من لا يعرف بالصدق والعدالة. ومجيء حرف إن في هذا الشرط يومئذ إلى أنه مما ينبغي أن لا يقع إلا نادرا^(٤).

وقال الإمام الرازي هذا جيد إن قالوا بأن الآية نزلت في ذلك الوقت، وأما إن قالوا بأنها نزلت لذلك مقتصرًا عليه ومتعديا إلى غيره فلا، بل نقول هو نزل عاما لبيان التثبيت، وترك الاعتماد على قول الفاسق، ويدل على ضعف قول من يقول: إنها نزلت لكذا، أن الله تعالى لم يقل إني أنزلتها لكذا، والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينقل عنه أنه بين أن الآية وردت لبيان ذلك فحسب، غاية ما في الباب أنها نزلت في ذلك الوقت، وهو مثل التاريخ

(١) - الإصابة لابن حجر ٤٨١/٦.

(٢) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢٩/٢٦.

(٣) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٣٠/٢٦.

(٤) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٣١/٢٦.

لنزول الآية، ونحن نصدق ذلك، ويتأكد ما ذكرنا أن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد سيء بعيد، لأنه توهم وظن فأخطأ، والمخطئ لا يسمى فاسقاً.^(١)

وقال القاضي أبو بكر بن العربي^(٢) وأما الوليد فقد روى بعض المفسرين أنه الله سماه فاسقاً في قوله: "إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ"^(٣) فإنها - في قولهم - نزلت فيه، أرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني المصطلق، فأخبر عنهم أنهم ارتدوا، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم خالد بن الوليد، فتثبت في أمرهم فبين بطلان قوله، وقد اختلف فيه، فقيل: نزلت في ذلك، وقيل في علي، والوليد في قصة أخرى، وقيل: إن الوليد سبق يوم الفتح في جملة الصبيان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمسح على رؤوسهم وبرك عليهم، إلا هو فقال: إنه كان على رأسي خلوق، فامتنع صلى الله عليه وآله وسلم من مسه، فمن يكون في مثل هذه السن يرسل مصدقاً. وبهذا الاختلاف يسقط العلماء الأحاديث القوية، وكيف يفسق رجل يمثل هذا الكلام؟ فكيف برجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟^(٤)

بعد ذكر أقوال المفسرين في سبب نزول الآية المذكورة فهمت أنا، أن رأى قاضي أبي بكر بن العربي والإمام الرازي وابن عاشور هو الراجح، لأن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد سيء بعيد، لأنه توهم وظن فأخطأ، والمخطئ لا يسمى فاسقاً^(٥) ولأن الصحابة كلهم

(١) - التفسير الكبير للرازي ٩٨/٢٨.

(٢) - هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية سنة ٤٦٨ هـ، صنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس سنة ٥٤٣ هـ، الأعلام للزركلي ٢٣٠/٦.

(٣) - سورة الحجرات: آية ٦.

(٤) - العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي ١٠٢/١ - ١٠٤، تدويع، محب الدين الخطيب - ومحمود مهدي الاستنبولي ن: دار الجيل بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ.

(٥) - التفسير الكبير للرازي ٩٨/٢٨.

عدول وكلمة "فاسق" لا تليق بشأنهم. والروايات التي ذكرت في سبب نزول الآية ضعيفة كما ذكر الشيخ محب الدين الخطيب^(١) في تعليقه على العواصم من القواصم^(٢).

الأدب الرابع: الإصلاح بين المتقاتلين.

ذكر الله تعالى أدبا آخر وطلب من المؤمنين أن يزيلوا ما نتج من كلامه، وأن يصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى ترجع إلى الصلح بدفعها عن الظلم مباشرة إن أمكن، أو باستعداد الحاكم عليها، وإن كان الباغي هو الحاكم فالواجب على المسلمين دفعه بالنصيحة فما فوقها بشرط ألا تثير فتنة أشد من الأولى. ثم تتم الإرشاد وأبان أن الصلح كما يلزم بين الفتنين - يجب بين الأخوين، ثم أمرهم بتقوى الله ووجوب اتباع حكمه وعدم الإهمال فيه رجاء أن يرحمهم إذا هم أطاعوه ولم يخالفوا أمره^(٣).

قال الله تعالى:

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *﴾^(٤)

اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية وذكروا روايات مختلفة فيه؛ فأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال: كان رجل من الأنصار يقال له عمران تحته امرأة يقال

(١) - هو محب الدين بن أبي الفتح محمد ابن عبد القادر بن صالح الخطيب، يتصل نسبه بعبد القادر الجيلاني الحسني: من كبار الكتاب الإسلاميين. ولد في دمشق سنة ١٣٠٣ هـ. وتعلم بها وتوفي سنة ١٣٨٩ هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٢٨٢/٥.

(٢) - انظر: تعليق العواصم من القواصم لقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي ١٠٢/١ - ١٠٤، تدويع، محب الدين الخطيب.

(٣) - انظر: تفسير المراغي ١٢٩/٢٦.

(٤) - سورة الحجرات: آية ٩.

لها أم زيد، وأنها أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها، وجعلها في علية له لا يدخل عليه أحد من أهلها، وإن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها فأنزلوها لينطلقوا بها، وكان الرجل قد خرج فاستعان أهل الرجل، فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم هذه الآية وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فبعث إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأصلح بينهم وفاؤوا إلى أمر الله^(١).

وذكر ابن جرير رواية أخرى في هذا الموضوع عن قتادة (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) ... الآية، ذكر لنا أنها نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حقّ بينهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذنه عنوة لكثرة عشيرته، وأن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، فأبى أن يتبعه، فلم يزل الأمر حتى تدافعوا، وحتى تناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، ولم يكن قتال بالسيوف، فأمر الله أن تقاتل حتى تقيء إلى أمر الله، كتاب الله، وإلى حكم نبيه صلى الله عليه وسلم؛ وليست كما تأولها أهل الشبهات، وأهل البدع، وأهل الفراء على الله وعلى كتابه، أنه المؤمن يحلّ لك قتله، فوالله لقد عظم الله حرمة المؤمن حتى نهاك أن تظنّ بأخيك إلا خيراً، فقال (إنما المؤمنون إخوة) ... الآية^(٢).

وأخرج البخاري أن أنسا رضي الله عنه، قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: لو أتيت عبد الله بن أبي^(٣)، «فانطلق إليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة»، فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، فشتمه، فغضب

(١) - تفسير ابن أبي حاتم، ٣٣٠٤/١، والجامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٩٤/٢٢.

(٢) - جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٩٥/٢٢.

(٣) - تقدمت ترجمته.

لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها أنزلت:
(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)^(١).

وأخرج مسلم في صحيحه عن عروة، أن أسامة بن زيد، أخبره، أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عليه إكاف تحته قطيفة فذكية، وأردف وراءه أسامة وهو يعود سعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين، والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فيهم عبد الله بن أبي، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم وقف، فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء، لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقا، فلا تؤذنا في مجالسنا وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة^(٢): اغشنا في مجالسنا، فإننا نحب ذلك، قال: فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عباد، فقال: "أي سعد، ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب؟ - يريد عبد الله بن أبي - قال: كذا وكذا"، قال: اعف عنه يا رسول الله، واصفح، فوالله، لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطالح أهل هذه البحيرة أن يتوجه فيعصبوه بالعصاة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك، شوق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم^(٣).

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلح باب ما جاء في الإصلاح بين الناس "إذا تفاسدوا، ١٨٣/٣، حديث رقم: ٢٦٩١، ومسلم كتاب الجهاد والسير باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله، وصبره على أذى المنافقين ١٤٢٤/٣، حديث رقم: ١٧٩٩.

(٢) - تقدمت ترجمته.

(٣) - أخرجه مسلم كتاب الجهاد والسير باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله، وصبره على أذى المنافقين ١٤٢٢/٣، حديث رقم: ١٧٩٨.

أما الرواية التي أخرجها البخاري إن كانت صحيحة ولكن ليست نصا في السببية. فيحتمل أن تكون بيانا لحكم في الآية كما ذكر ذلك ابن تيمية رحمه الله.

قال الحافظ بن حجر: وقد استشكل بن بطلان نزول الآية المذكورة وهي قوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا في هذه القصة لأن المخاصمة وقعت بين من كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه وبين أصحاب عبد الله بن أبي وكانوا إذ ذاك كفارا فكيف ينزل فيهم طائفتان من المؤمنين. ولا سيما إن كانت قصة أنس وأسامة متحدة فإن في رواية أسامة فاستب المسلمون والمشركون قلت يمكن أن يحمل على التغليب مع أن فيها إشكالا من جهة أخرى وهي أن حديث أسامة صريح في أن ذلك كان قبل وقعة بدر وقبل أن يسلم عبد الله بن أبي وأصحابه والآية المذكورة في الحجرات ونزولها متأخر جدا وقت مجيء الوفود لكنه يحتمل أن تكون آية الإصلاح نزلت قديما فيندفع الإشكال^(١).

بعد بيان سبب نزول الآية أذكر الأدب الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية. فحصل ما قال المفسرون في تفسير هذه الآية ذكره المراغي: "وإن اقتتل طائفتان من أهل الإيمان، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم الله والرضا بما فيه، سواء كان لهما أو عليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل. (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) أي فإن أبت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم الله وتعدت ما جعله الله عدلا بين خلقه، وأجابت الأخرى فقاتلوا التي تعدت وتأبى الإجابة إلى حكمه حتى ترجع إليه وتخضع طائعة له. (فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل) أي فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياها إلى الرضا بحكم الله - فأصلحوا بينهما بالإنصاف والعدل حتى لا يتجدد بينهما القتال في وقت آخر. ثم أمرهم سبحانه بالعدل في كل أمورهم فقال: (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) أي واعدلوا في كل ما تأتون وما تذكرون، إن الله يحب العادلين في جميع أعمالهم ويجازيهم أحسن الجزاء^(٢).

(١) - فتح الباري لابن حجر، ٢٩٩/٥.

(٢) - انظر: تفسير المراغي ١٣٠/٢٦-١٣١.

ومن الأحاديث التي تدل على نفس الموضوع ما أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟ قال: «تَحْجِزْهُ، أو تمنعه، من الظلم فإن ذلك نصره»^(١)

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإكراه يمين الرجل لصاحبه: إنه أخوه ، إذا خاف عليه القتل أو نحوه ، ٢٢/٩ ، حديث رقم: ٦٩٥٢ .

المبحث الثالث

الآيات التي نزلت لتعظيم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: الآيات التي نزلت لتعليم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

أثنى الله تعالى على أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - في كثير من الآيات القرآنية كما ذكرتها في الفصل الثاني. مثل قوله تعالى: "النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ" (١) فأعطاهن الله تعالى الدرجات العليا ، واختارهن لنبيه المصطفى ، واصطفاهن كما اصطفى نبيه ، وفضلهن على سائر النساء ، وعلمهن الأمور التي تتعلق بهذا المنصب العظيم الذي أعطيهن من جانب الله تعالى. وسأذكر في هذا المبحث الآيات التي تتعلق بتعليم أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم -.

أولاً: المواقف التي علمت أزواج النبي حقوق الله والأدب مع رسول الله.

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أنه خير أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - بين الله ورسوله والدار الآخرة وبين أعراض الدنيا ، فاخترن الله ورسوله ، فأدبهن الله وهددتهن للتوقي عما يسوء النبي عليه السلام ويقبح بهن من الفاحشة التي هي أصعب على الزوج من كل ما تأتي به زوجته وأوعدهن بتضعيف العذاب. في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُورُهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا *﴾ (٢)

ذكر المفسرون روايات مختلفة في سبب نزول هذه الآيات فأذكروها ملخصاً. هذه الآيات نزلت عند ما بعض سأل بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم من عرض الدنيا شيئاً وطلبن منه زيادة في النفقة وأذينه بغيره بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله

(١) - سورة الأحزاب: آية ٦.

(٢) - سورة الأحزاب: آية ٢٨-٣١.

عليه وسلم وآلى أن لا يقربهن شهرا، ولم يخرج إلى أصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، فذهب عمر -رضي الله عنه في بيت النبي - صلى الله عليه وسلم- لأن يعلم الحقيقة فأخبر الصحابة بأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يطلق نساءه، فأنزل الله هذه الآية يعنى آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة^(١).

وعند ما نزلت هذه الآية بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة، وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي رواية أخرى فقال: يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبوك قالت: وما هو يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وهكذا سائر أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- اخترن الله ورسوله ورجحن الله ورسوله على الدنيا وأعراضها. ^(٢)

ولما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النساء سواهن، ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن، قال تعالى: لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ..... ^(٣).

^(١) - انظر: الجامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٥١/٢٠-٢٥١ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٤٧١/٨ ، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (بقريب منه) ، كتاب الطلاق ، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية ١١٠٤/٢ ، ١٤٧٨.

^(٢) - انظر: الجامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٥١/٢٠-٢٥٢ ، التفسير الكبير للرازي ١٦٨-١٦٧/٢٥ ، وتفسير الخازن ٤٢٣/٣ ، و و ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب تفسير القرآن ، ١١٧/٦ ، ٤٧٨٥-٤٧٨٦.

^(٣) - سورة الأحزاب: آية ٥٢ ، وانظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٢٥٣/٢٠ ، وتفسير الخازن ٤٣٣/٣.

وعندما خيرهن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واخترن الله ورسوله أدبهن الله وهددهن للتوقي عما يسوء النبي عليه السلام ويقبح بهن من الفاحشة التي هي أصعب على الزوج من كل ما تأتي به زوجته وأوعدهن بتضعيف العذاب وذكر الإمام الرازي حكمتين في تضعيف العذاب.

إحدهما: أن زوجة الغير تعذب على الزنا بسبب ما في الزنا من المفساد وزوجة النبي تعذب إن أتت به لذلك والإيذاء قلبه والإضرار بمنصبه، وعلى هذا بنات النبي عليه السلام كذلك ولأن امرأة لو كانت تحت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأتت بفاحشة تكون قد اختارت غير النبي عليه السلام، ويكون ذلك الغير خيراً عندها من النبي وأولى، والنبي أولى من النفس التي هي أولى من الغير، فقد نزلت منصب النبي مرتبتين فتعذب من العذاب ضعفين ثانيتهما: أن هذا إشارة إلى شرفهن، لأن الحرة عذابها ضعف عذاب الأمة إظهاراً لشرفها، ونسبة النبي إلى غيره من الرجال نسبة السادات إلى العبيد لكونه أولى بهم من أنفسهم، فكذلك زوجاته وقرائبه اللاتي هن أمهات المؤمنين.^(١)

وقال تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ) يعنى بمعصية ظاهرة، وقال المفسرون هو كقوله (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ)^(٢) أي لأن منهن من أتت بفاحشة، فإن الله تعالى صان أزواج الأنبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق، وكان ذلك على الله يسييراً أي عذابها وليس كونها تحت النبي عليه السلام وكونها شريقات جليلات مما يدفع العذاب عنكن، وليس أمر الله كأمر الخلق حيث يتعذر عليهم تعذيب الأعزة بسبب كثرة أوليائهم وأعوانهم أو شفعائهم وإخوانهم. وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ يعنى تطع الله ورسوله وتعمل صالحاً تؤتيها أجرها مرتين أي مثلي أجر غيرها

(١) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٦٦/٢٥.

(٢) - سورة الزمر: آية ٦٥.

يعنى الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه إشارة إلى أنهم أشرف نساء العالمين وأعتدنا لها رزقاً كريماً أي الجنة. (١)

وأمرهن الله تعالى بالصلاة والزكاة وطاعته وطاعة رسوله في قوله تعالى:

﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبيراً﴾ (٢)

أمرهن الله تعالى بأربعة أمور، وهى: أقمن الصلاة أي الواجبة وآتين الزكاة أي المفروضة وأطعن الله ورسوله يعنى كل ما أمر الله به فأتين به وكل ما نهى الله عنه فانتهين عنه. قال ابن عاشور: أريد بهذه الأوامر الدوام عليها لأنهن مثلسات بمضمونها من قبل، وليعلم الناس أن المقربين والصالحين لا ترتفع درجاتهم عند الله تعالى عن حق توجه التكليف عليهم، وخص الصلاة والزكاة بالأمر ثم جاء الأمر عاما بالطاعة لأن هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات فمن اعتنى بهما حق العناية جرتاه إلى ما وراءهما، قال تعالى: "إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ" (٣)

ثم ذكر الله تعالى حكمة هذه الأمور المذكورة في قوله تعالى: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً" (٤). يعنى ليس المنفع بتكليفكن هو الله ولا تنفعن الله فيما تأتين به. وإنما نفعه لكن وأمره تعالى إياكن لمصلحتكن،

ثم قال تعالى: واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله يعنى القرآن والحكمة يعنى كلمات النبي عليه السلام إشارة إلى أن التكليف غير منحصر في الصلاة والزكاة، وما ذكر الله

(١) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٦٧/٢٥-١٦٨، وتفسير الخازن ٤٢٣/٣-٤٢٤.

(٢) - سورة الأحزاب: آية ٣٣-٣٤.

(٣) - سورة العنكبوت: آية ٤٥، وانظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ١٣/٢٢.

(٤) - سورة الأحزاب: آية ٣٤.

في هذه الآية بل قال: واذكرن ما يتلى ليعلمن الواجبات كلها فيأتين بها، والمحرمات بأسرها فينتهين عنها. (١)

والأدب الآخر الذي ذكره الله تعالى في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ *﴾ (٢)

ذكر المفسرون الرويات المختلفة في سبب نزول هذه الآيات أذكر هنا الرواية المشهورة والراجحة عندهم ملخصاً. وهي ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش (٣) فيشرب عندها عسلاً فتواطيت أنا وحفصة أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل له إني أجد منك ريح مغافير (٤) أكلت مغافير فدخل على إحدهما (يعني حفصة) فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له ، فنزلت يا أيها النبي لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ إِلَى قَوْلِهِ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ ، وقال قد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً، كما قال تعالى تعالى: وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا. (٥)

(١) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٦٨/٢٥ وتفسير الخازن ٤٢٥/٣.

(٢) - سورة التحريم: آية ٢-٣.

(٣) - تقدمت ترجمتها.

(٤) - (مغافير) جمع مغفور وهو صمغ حلو له رائحة كريهة ينضجه شجر يسمى العرفط، التعليق على البخاري مصطفى البغا.

(٥) - تفسير الخازن ٣١٢/٤ ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (بقریب منه) ، كتاب تفسير القرآن ، باب يا أيها النبي لم تحرم ما... الآية ، ٤٤/٧ ، حديث رقم: ٥٢٦٧.

ولكن أخبرت بذلك حفصة عائشة و أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعائشة كقوله تعالى: "فَلَمَّا ثَبَّتَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ"^(١) أي عرف بعض الذي فعلته حفصة فغضب من إفشاء سره وبعضها لم يخبرها به ، وجازاها عليه بأن طلقها فجاءه جبريل عليه السلام وأمره بمراجعتها وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وإنما هم بطلاقها فأتاه جبريل فقال لا تطلقها فإنها صوامة قوامه وإنها من نسائك في الجنة. فَلَمَّا أَخْبَرَ حَفْصَةَ بِمَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَتْ حَفْصَةُ مَنْ أَخْبَرَكَ بِأَنِّي أَفْشَيْتُ السِّرَّ قَالَ ثُبَّانِي الْعَلِيمُ بِمَا تَكُنُهُ الضَّمَائِرُ الْخَبِيرُ بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ.^(٢)

عند ما أفشأت حفصة رضى الله عنها- سر النبي- صلى الله عليه وسلم- وأخبرت عائشة رضى الله عنها- فنبهها الله تعالى على هذا الأمر وقال: إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ.....الآية. خطاب لعائشة وحفصة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتيهما والتوبة من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيذاء فقد صغت قلوبكما أي عدلت ومالت عن الحق، وهو حق الرسول عليه الصلاة والسلام، وذلك حق عظيم يوجد فيه استحقاق العتاب بأدنى تقصير وقال تعالى: وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ أَي وَإِنْ تَعَاوَنَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بالإيذاء فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ أَي وليه وناصره وَجِبْرِيلُ يَعْنِي وَجِبْرِيلُ وَلِيهِ وَنَاصِرُهُ أَيضاً وإنما أفرده وإن كان داخلاً في جملة الملائكة تعظيماً له وتنبيهاً على علو منزلته ومكانته وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ رَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَقِيلَ هُمُ الْمُخْلِصُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَيْسُوا بِمُنَافِقِينَ وَقِيلَ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ أَي بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين ظهير أي أعوان للنبي صلى الله عليه وسلم ينصرونه.

(١) - سورة التحريم: آية ٣.

(٢) - انظر: الجامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٤٧٥/٢٣ والتفسير الكبير للرازي ٥٦٨/٣٠، وتفسير الخازن ٣١٢/٤.

ثم خوف نساءه بقوله تعالى: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن.. وهذا من باب الإخبار عن القدرة لا عن الكون لأنه قال إن طلقكن وقد علم أنه لا يطلقهن فأخبر عن قدرته أنه إن طلقهن أبدله أزواجا خيرا منهن تخويفا لهن. (١)

وذكر الرازي الإشكال الذي يرد على ظاهر الآية وعلى أمهات المؤمنين وهو: كيف يكون المبدلات خيرا منهن، ولم يكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين؟ وأجاب عن هذا الإشكال قائلا: إذا طلقهن الرسول لعصيانهن له، وإيذائهن إياه لم يبقين على تلك الصفة، وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف مع الطاعة لرسول الله خيرا منهن. (٢)

ثانيا: ما نزل من القرآن الكريم بشأن حجاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

لقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم الأمور التي لابد لأزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يخرنها وأن يعملنها عند ما يتعاملن مع الناس، وعلمهن الله تعالى كيفية التكلم مع الأجانب، وأيضا علمهن أن يقرن في بيوتهن ولا يبدين زينتهن، وأيضا ذكر لهن طريقة الخروج من بيوتهن، وبواسطهن علم الله تعالى جميع نساء المؤمنين. فهذه الأمور كلها تتعلق بالحجاب فأذكر هنا الآيات التي تتعلق بتعليم أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- هذه الأمور المذكورة.

ذكر الله تعالى فضيلة نساء النبي -صلى الله عليه وسلم- وعلمهن كيفية التكلم مع الناس في قوله تعالى:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٣)

قال الله تعالى يا نساء النبي لستن كأحد من النساء يعني ليس قدركن عندي مثل قدر

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي ٣٠/٥٧٠-٥٧١، وتفسير الخازن ٤/٣١٤-٣١٥.

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي: ٣٠/٥٧١.

(٣) سورة الأحزاب: آية ٣٢.

غيركن من النساء الصالحات، أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم لدي ، وفيكن غير ذلك أمر لا يوجد في غيركن وهو كونكن أمهات جميع المؤمنين وزوجات خير المرسلين، وكما أن محمدا عليه السلام ليس كأحد من الرجال، كذلك قرائبه اللاتي يشرفن به وبين الزوجين نوع من الكفاءة.

قال الإمام الرازي: قوله تعالى: (إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول) يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون متعلقا بما قبله على معنى لستن كأحد إن اتقيتن فإن الأكرم عند الله هو الأتقى وثانيهما: أن يكون متعلقا بما بعده على معنى إن اتقيتن فلا تخضعن والله تعالى لما منعهن من الفاحشة وهي الفعل القبيح منعهن من مقدماتها وهي المحادثة مع الرجال والانقياد في الكلام للفاسق^(١).

وقال القرطبي: لا تلتن القول. أمرهن الله أن يكون قولهن جزلا وكلامهن فصلا، ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين، كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكاملة الرجال بترخيم الصوت ولينه، مثل كلام المريبات والمومسات. فنهاهن عن مثل هذا^(٢).

(فَيُطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) يعنى فجور وشهوة أو نفاق والمعنى لا تقلن قولاً يجد المنافق والفاجر به سبيلا إلى الطمع فيكن والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقال إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع فيهن (وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) أمرهن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمرأة تندب إذا خاطبت الأجانب وكذا المحرمات عليها بالمصاهرة إلى الغلظة في القول، من غير رفع صوت فإن المرأة مأمورة بخفض الكلام. وعلى الجملة فالقول المعروف: هو الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس^(٣).

(١) - التفسير الكبير للرازي ١٦٧/٢٥.

(٢) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٧/١٤.

(٣) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٨/١٤ ، وتفسير الخازن ٤٢٤/٣.

قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: "فلا تخضعن بالقول..... الآية" فرع على تفضيلهن وترفع قدرهن إرشادهن إلى دقائق من الأخلاق قد تقع الغفلة عن مراعاتها لخفاء الشعور بآثارها، ولأنها ذرائع خفية نادرة تفضي إلى ما لا يليق بحرمتهن في نفوس بعض من اشتملت عليه الأمة، وفيها منافقوها.

وابتدئ من ذلك بالتحذير من هيئة الكلام فإن الناس متفاوتون في لينه، والنساء في كلامهن رقة طبيعية وقد يكون لبعضهن من اللطافة ولين النفس ما إذا انضم إلى لينها الجبلي قربت هيئته من هيئة التدلل لقلة اعتياد مثله إلا في تلك الحالة. فإذا بدا ذلك على بعض النساء ظن بعض من يشافهها من الرجال أنها تتحجب إليه، فرما اجتزأت نفسه على الطمع في المغازلة فبدرت منه بادرة تكون منافية لحرمة المرأة، بله أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي هن أمهات المؤمنين^(١).

وذكر الله تعالى أدبا آخر لأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...﴾ * (٢)

أمر الله تعالى في هذه الآية أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - بملازمة بيوتهن ونهاهن عن التبرج وأعلمهن أنه فعل الجاهلية الأولى، وأن يسكن في بيوتهن ولا يبرجن تَبَرُّجَ الجاهلية الأولى يعنى ولا يظهرن زينتهن أمام الرجال الأجانب ، لأن قبل الإسلام كانت المرأة تظهر زينتها ومحاسنها أمام الرجال الأجانب ، كما كانت تفعل النساء قبل الإسلام من إظهار زينتهن ومحاسنهن أمام الرجال الأجانب.

والمراد بالتبرج ، التكشف والظهور للعيون، ومنه: بروج مشيدة. وبروج السماء والأسوار، أي لا حائل دونها يسترها ، وقيل هو التكرس والتغنج والتبختر وقيل: هو إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال.

(١) - انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٨/٢٢.

(٢) - سورة الأحزاب: آية ٣٣.

وذكر المفسرون آراء متعددة في تفسير كلمة "الجاهلية الأولى" ولكن الأولى في هذا الباب أن الجاهلية الأولى ما قبل الإسلام وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كن عليه، وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى. وقد أوقع اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبل الإسلام، وقيل الجاهلية الأولى ما قبل الإسلام والجاهلية الأخرى، قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل قد تذكر الأولى وإن لم تكن لها أخرى.

وروى أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا قرأت هذه الآية تبكي حتى تبل خمارها. وذكر أن سودة^(١) قيل لها: لم لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟ فقالت: قد حججت واعتمرت، وأمرني الله أن أقر في بيتي. قال الراوي: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها. رضوان الله عليها!^(٢)

ولذلك لما مات سعد بن أبي وقاص أمرت عائشة أن يمر عليها بجنازته في المسجد لتدعو له، أي لتصلي عليه. وأما خروج السيدة عائشة رضي الله عنها إلى البصرة في الفتنة التي تدعى: واقعة الجمل، لأنها رأت أن في خروجها إلى البصرة مصلحة للمسلمين لتسعى بين فريقَي الفتنة بالصلح فإن الناس تعلقوا بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة ورجوا بركتها أن تخرج فتصلح بين الفريقين، وظنوا أن الناس يستحيون منها فتأولت لخروجها مصلحة تفيد إطلاق القرار المأمور به في قوله تعالى: وقرن في بيوتكن يكافين الخروج للحج. وأخذت بقوله تعالى: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما^(٣)

(١) - هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية العامرية. تزوجها السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو، فتوفي عنها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت أول امرأة تزوجها بعد خديجة، توفيت في آخر زمان عمر بن الخطاب، انظر: الإصابة لابن حجر ١٩٧/٨.

(٢) - انظر: التفسير الكبير للرازي ١٦٧/٢٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨٠/١٤-١٨٢، وتفسير الخازن ٤٢٥/٣.

(٣) - سورة الحجرات: آية ٩.

ورأت أن الأمر بالإصلاح يشملها وأمثالها ممن يرجون سماع الكلمة، فكان ذلك منها عن اجتهاد^(١).

ثم بعد ذلك ذكر الله تعالى أدبا آخر لأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم خاصة والنساء غيرهن عامة، في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا*﴾^(٢)

طلب سبحانه من نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر النساء المؤمنات المسلمات، وبخاصة أزواجه وبناته، بأن يسلن عليهن الجلابيب إذا خرجن من بيوتهن ليتميزن عن الإمام^(٣). قال القرطبي: أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن إذا أردن الخروج إلى حوائجهن، فيقع الفرق بينهن وبين الإمام، فتعرف الحرائر بسترهن، فيكف عن معارضتهن من كان عذبا أو شابا. وكانت المرأة من نساء المؤمنين قبل نزول هذه الآية تتبرز للحاجة فيتعرض لها بعض الفجار. يظن أنها أمة، فتصيح به فيذهب، فشكروا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية بسبب ذلك.

والمراد بكلمة الجلابيب في قوله تعالى (من جلابيبهن) الجلابيب جمع جلباب، وهو ثوب أكبر من الخمار. أو أنه الرداء. وقيل: إنه القناع. والصحيح أنه الثوب الذي يستر جميع البدن^(٤).

(١) - انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ١١/٢٢.

(٢) - سورة الأحزاب: آية ٥٩.

(٣) - انظر: تفسير المراعي ٣٨/٢٢.

(٤) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٣/١٤.

الخاتمة

وتشتمل على النتائج

الخاتمة: وتشتمل على النتائج.

الحمد لله الذي بفضلہ وعونه انتهیت من كتابة هذا البحث وأهم ما توصلت إليه من نتائج خلال هذا البحث أخصه فيما يلي:

١. إن الصحابي هو من لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - يقظة مؤمنا به بعد بعثته حال حياته ومات على الإيمان.

٢. إن آيات الكتاب الحكيم ناطقة بفضل الصحابة مشيدة بمكانتهم وهم رضى الله عنهم وإن تساوا في شرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشملا جميعا بهذا الفضل العميم إلا أنهم متفاوتون في فضائلهم متميزون في درجاتهم.

٣. ومن الأوصاف العامة لجميع الصحابة أنهم كانوا أشداء على الكفار ، ورحماء بينهم ، ومخلصين في عبادتهم وهجرتهم وجهادهم ، وكانوا صادقين ومصدقين للنبي - صلى الله عليه وسلم - والدين ، وكانوا متقين وراسخين في إيمانهم ، وكانوا يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، ولأزموا النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يفارقوه في السفر والحضر والجهاد ، ولم يذهبوا عنه بغير إذنه.

٤. أثنى الله تعالى على الصحابة الذين حضروا الغزوات المختلفة مثل غزوة بدر، وأحد، وحمراء الأسد، والخندق، وفتح مكة، وحنين، وتبوك ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم حتى استشهد بعضهم وجرح بعضهم. وأثنى على المهاجرين بهجرتهم ونصرهم لله وللرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وعلى الأنصار بنصرتهم وإيثارهم لإخوانهم المهاجرين. وعلى مسلمة أهل الكتاب بأن لهم أجرين على إيمانهم بنبيهم وأجرا على إيمانهم برسول الله - صلى الله عليه وسلم .

٥. أثنى الله تعالى على بعض الصحابة منفردين منهم؛ أبو بكر ، وعمر ، وعلى ، وحمزة ، ، وزيد بن حارثة ، وعبدالله بن أم مكتوم ، وعمار ، وعبدالله بن سلام - رضى الله عنهم أجمعين - ، ولم يذكر من أسمائهم صراحة إلا زيد بن حارثة رضى الله عنه .

٦. ذكر الله تعالى أوصاف أهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم ، بأنهم مطهرون ، وأذهب الله عنهم الرجس ، ووصف أزواجه بأنهن أمهات للمؤمنين و اختارهن وخصنهن للنبي - صلى الله عليه وسلم - ووعدهن أن يعطينهن الأجر مرتين ، وحرمن على غير النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى بعد وفاته .

٧. علم الله تعالى الصحابة بعض الأشياء المهمة ونبيهم على بعض الأخطاء التي وقعوا فيها فى الغزوات المختلفة ، وبعد التنبيه قد عفا الله عنهم ، وعلمهم آداب التعامل مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأمرهم بإطاعته ، وعلمهم آداب التعامل مع إخوانهم المسلمين .

٨. علم الله تعالى أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - حقوقه وآداب رسوله وآداب التعامل مع المجتمع .

هذا ما توصلت إليه في بحثي عن هذا العنوان حسب طاقتي، ولا يزال مجال البحث في هذا الموضوع مفتوحاً للعلماء وطلاب العلم، ولا أدعي أنني وضحت كل ما له وما عليه، وما ينبغي لهذا الموضوع ، فإن الباري جل وعلا يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(١) فما لي إلا أن أتأسى بالسلف الصالح وما قالوا في جهودهم: فما كان صواباً فمن الله، وما كان خطأً فمني ومن الشيطان، وأخيراً أوصي نفسي وإخواني الطلاب بالعمل بما جاء في

(١) - سورة يوسف: آية ٧٦ .

كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وياتباع الصحابة -رضوان الله تعالى عنهم أجمعين لنفوز بالسعادة في الدارين . بإذنه تعالى .

وأسأل الله أن يرزقني علماً نافعاً يباعدي كل البعد عن العلم الذي لا ينفع، وأن يتقبل عملي هذا ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يغفر لي ولوالدي ولأساتذتي وإخواني ولأخواتي ولزملائي ولجميع المسلمين.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١)

آمين.

إسلام آباد: الإثنين : ٢٦ إبريل ٢٠١٤م

(١) - . سورة البقرة: آية ٢٨٦.

قائمة المصادر والمراجع

فهارس:

فهرس المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب التفسير.

أحكام القرآن لأحمد بن علي بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان ، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بـ" تفسير البيضاوي" لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) بغير ذكر ناشر وتاريخ الطبعة.

البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المعروف بـ"التحرير والتتوير"، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠.

تفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١.

تفسير القرآن العظيم؛ المعروف بـ"تفسير ابن كثير" لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طبية للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.

تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، عدد الأجزاء: ٣٠.

تيسير التفسير لإبراهيم القطان (المتوفى: ١٤٠٤هـ)، بغير ذكر ناشر وتاريخ الطبعة. جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف بـ"تفسير الطبري" لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٤.

الجامع لأحكام القرآن، المعروف بـ"تفسير القرطبي"، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءاً.

الدر المنثور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عدد الأجزاء: ٨.

روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥) ومجلد فهارس).

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥) ومجلد فهارس).

فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ٤.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المعروف بـ "تفسير الثعلبي" لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة

وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٠.

لباب التأويل في معاني التنزيل، المعروف بـ "تفسير الخازن" لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١ هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

لطائف الإشارات المعروف بـ "تفسير القشيري" لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥ هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الثالثة.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢ هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

مفاتيح الغيب، المعروف بـ "التفسير الكبير"، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

ثالثاً: كتب الحديث وشروح الحديث.

الأدب المفرد لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبي عبد الله (المتوفى: ٢٥٦ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩، عدد الأجزاء: ١.

سنن ابن ماجه لا بن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: ٢.

سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.

سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، عدد الأجزاء: ٩ (٨ ومجلد للفهارس).

شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجدي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٤.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مغيرة، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) المحقق: شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣ عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ جزء ومجلد فهارس)

صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ، عدد الأجزاء: ٩.

صحيح المسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٥.

فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، عدد الأجزاء: ١٣.

فضائل الصحابة ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ ، عدد الأجزاء: ٢.

المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠، عدد الأجزاء: ٤.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

مصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩، عدد الأجزاء: ٧.

المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٢٥.

رابعاً: كتب التخريج والزوائد.

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، بن: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: ٦، عام النشر: ج ١ - ٤: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ج ٦: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ج ٧: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١٤.

صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبي عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، تحقيق وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.

صحيح وضعيف سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، قام بإعادة فهرسته وتنسيقه: أحمد عبد الله عضو في ملتقى أهل الحديث.

صحيح وضعيف سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مصدر
الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام
لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

صحيح وضعيف سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مصدر
الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام
لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان
القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى:
٩٧٥هـ) ، تحقيق: بكرى حياني - صفوة السقا ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة:
الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مُستدرك أبي عبد الله الحاكم لابن الملقن سراج
الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) ، تحقيق
ودراسة: ج ١ ، ٢: عبد الله بن حمد اللحيان ، ج ٣ - ٧: سعد بن عبد الله بن عبد
العزیز آل حميد ، الناشر: دارُ العاصِمة، الرياض - المملكة العربية السعودية ، الطبعة:
الأولى، ١٤١١ هـ ، عدد الأجزاء: ٨ (٧ ومجلد للفهارس).

خامساً: كتب علوم القرآن.

الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى:
٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة:
١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، عدد الأجزاء: ٤.

فصول في أصول التفسير لمساعد بن سليمان الطيار (نسخة مصورة).

المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

سادساً: كتب علوم الحديث.

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ، الناشر: دار طيبة ، عدد الأجزاء: ٢.

معرفة علوم الحديث لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) المحقق: السيد معظم حسين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، عدد الأجزاء: ١.

نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ، الناشر: مطبعة سفير بالرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ ، عدد الأجزاء: ١.

سابعاً: التاريخ والسيرة والشمال.

البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، تحقيق: علي شيري ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م.

تاريخ الخلفاء لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، تحقيق: حمدي الدمرداش ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز ، الطبعة: الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، عدد الأجزاء: ١.

تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، المعروف بـ "تاريخ الطبري" لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، الناشر: دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ، عدد الأجزاء: ١١.

جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٧. حياة الصحابة لمحمد يوسف بن محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، تحقيق وتعليق عليه: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٥.

الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام السلمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٧.

السيرة النبوية لابن هشام لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبي محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م، عدد الأجزاء: ٢.

عدد الأجزاء: ١.

ثامناً: كتب اللغات و المعاجم.

تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبي الفيض،
الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر:
دار الهداية.

لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري
الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة -
١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.

مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي
الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار
النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١.

المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد
القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

تاسعا: كتب التراجم والطبقات.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن
عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار
الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٤.

أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد
الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق:
علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة:
الأولى، سنة النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٨ (٧ ومجلد فهارس).

الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر
العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد

معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨.

الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

تذكرة الحفاظ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٤.

تقريب التهذيب ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ) تحقيق: محمد عوامة ، الناشر: دار الرشيد - سوريا ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ ، عدد الأجزاء: ١.

تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦ هـ، عدد الأجزاء: ١٢.

حقوق آل البيت لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ، عدد الأجزاء: ١.

سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، عدد الأجزاء: ١٨.

الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤ هـ)

، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط ، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، عدد الأجزاء: ٢.

طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١هـ) ، تحقيق: سليمان بن صالح الخزري ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، عدد الأجزاء: ١.

طبقات المفسرين لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، تحقيق: علي محمد عمر ، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦، عدد الأجزاء: ١.

طبقات المفسرين للداودي، لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، عدد الأجزاء: ٢.

عاشرا: كتب العقيدة والفقه والفتاوى.

العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لقاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب رحمه الله ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ، عدد الأجزاء: ١.

غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) الناشر: مكتبة ابن تيمية ، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر ، عدد الأجزاء: ٣.

مجموع الفتاوى لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة

المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، عام النشر:
١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

معرفة الصحابة لابن منده لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده
العبدى (المتوفى: ٣٩٥هـ) تحقيق وتقديم وتعليق: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري،
الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥
م ، عدد الأجزاء: ١.

المغني لابن قدامة لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي
المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) الناشر:
مكتبة القاهرة الطبعة: بدون طبعة عدد الأجزاء: ١٠ تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
نزهة الألباء في طبقات الألباء لعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبي
البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ) ، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الناشر:
مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء:
١.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم
بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) ، تحقيق: إحسان عباس،
الناشر: دار صادر - بيروت ، الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ١٩٠٠، الجزء: ٢ -
الطبعة: ١٩٠٠، الجزء: ٣ - الطبعة: ١٩٠٠، الجزء: ٤ - الطبعة: ١٩٧١،
الجزء: ٥ - الطبعة: ١، ١٩٩٤ ، الجزء: ٦ - الطبعة: ١٩٠٠ ، الجزء: ٧ -
الطبعة: ١، ١٩٩٤، عدد الأجزاء: ٧.

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية:

الرقم	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة			
١.	قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ....الآية	٩٧	١٦١
٢.	وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى....الآية	١٢٥	١٥٩، ١٦٠
٣.	أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ....الآية	٢١٤	١٠٨
٤.	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا....الآية	٢١٨	٤٦
٥.	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ....الآية	٢١٩	١٦٢
سورة آل عمران			
٦.	قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا....الآية	١٣	٩٢
٧.	إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءُ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ....الآية	١٠٣	٣٩
٨.	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ....الآية	١١٠	٦٣، ٧٠
٩.	لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ....الآية	١١٣-١١٥	١٤٠
١٠.	إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ....الآية	١٢٢	١٠٢، ٢١٢
١١.	وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ....الآية	١٢٣	٩٧
١٢.	إِذْ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ....الآية	١٢٤-١٢٦	٩٦، ٩٧

٢١٥	١٥٢	وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ....الآية	١٣.
٢١٤	١٥٣	إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى....الآية	١٤.
٢١٩	١٥٤	ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ....الآية	١٥.
٢١٧	١٥٥	إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْنَقَى....الآية	١٦.
٢١٦	١٦٢	وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ....الآية	١٧.
٢٠٩	١٦٤	لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ....الآية	١٨.
١٠٣	١٧٢	الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ....الآية	١٩.
٣٥	١٨٢	لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا....الآية	٢٠.
١٢٨	١٩٥	فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا...الآية	٢١.
١٣٧	١٩٩	وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ...الآية	٢٢.
سورة النساء			
١٦٢	٤٣	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا...الآية	٢٣.
١٦٣	٦٥-٦٤	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ...الآية	٢٤.
٢٧، ١٦٣	٦٥	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى...الآية	٢٥.
١٧١	٩٥	لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ...الآية	٢٦.

٢٧.	وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا... الآية	١٤٢	١٤٢
سورة المائدة			
٢٨.	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ... الآية	٣	٧٧
٢٩.	مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ... الآية	٤١	٥٢
٣٠.	فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ... الآية	٥٤	٣٠
٣١.	إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ... الآية	٥٥	٢٠٧
٣٢.	وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ... الآية	٨٣-٨٤	١٣٨
٣٣.	إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ... الآية	٩١	١٦٢
٣٤.	لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا... الآية	٩٣	٦٠
٣٥.	إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ... الآية	١١٨	١٦٤
سورة الأنعام			
٣٦.	قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً... الآية	١٩	٦٠٧
٣٧.	وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ... فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ	٥١-٥٢	١٧٤
سورة الأنفال			
٣٨.	فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ... الآية	١٧	٩٩
٣٩.	إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ... كُلَّ بَنَانٍ	١١-١٢	٩٨

٩٨،١٥١	١٢	إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ... الْآيَةِ	.٤٠
٩٤	٤٤	وَيَقْلَلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ... الْآيَةِ	.٤١
٣٩	٦٣	وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ... الْآيَةِ	.٤٢
١٦٣،١٦٥	٦٧	مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى... الْآيَةِ	.٤٣
٦٣،٦٧	٧٤	أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا... الْآيَةِ	.٤٤
سورة التوبة			
٢٢٣	٢٧-٢٥	لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي... غَفُورٌ رَحِيمٌ	.٤٥
١٥١	٤٠	ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ... الْآيَةِ	.٤٦
٢١٨،٢٣٠	٤٣	عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ... الْآيَةِ	.٤٧
٧٥	٧٢-٧١	وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ... الْفَوْزُ الْعَظِيمُ	.٤٨
٨٢	٨٩-٨٨	لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ... الْآيَةِ	.٤٩
١٢٥،١٣٢	١٠٠	وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ... الْآيَةِ	.٥٠
٢٢٦	١٠٢	وَأَخْرُوجُوا اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا... الْآيَةِ	.٥١
٢٢٨	١٠٤	أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ... الْآيَةِ	.٥٢
٢٢٨	١٠٥	وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ... الْآيَةِ	.٥٣

٢٢٩	١٠٦	وَأَخْرَجُوا مُزَجَّجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا... الآية	.٥٤
١٨٤، ١٨٧	١٠٨	لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ... الآية	.٥٥
٧٣	١١٢-١١١	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ... وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ	.٥٦
٧٣، ٧٤	١١٢-١١١	الْأَمِيرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ... الآية	.٥٧
٢٣٠، ٢٣٣	١١٧	لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ... الآية	.٥٨
٢٣١	١١٨	وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا ... الآية	.٥٩
٢٣٣	١١٩-١١٧	لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ... الصَّادِقِينَ	.٦٠
٢٣٣	١٢٠-١١٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ	.٦١
٣١	١٢٣	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ... الآية	.٦٢
٨٤	١٢٨	لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...	.٦٣
سورة يونس			
١٦٤	٨٨	رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ... الآية	.٦٤
سورة هود			
١٧٩	٤٠	وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ... الآية	.٦٥
١٧٩	٤٦	إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ ... الآية	.٦٦
سورة يوسف			

٢٠٠	١٨	فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ... الآية	٦٧.
١٣٧	١٠٦	وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ ... الآية	٦٨.
سورة الرعد			
١٤٣	٤٣	وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ ... الآية	٦٩.
سورة إبراهيم			
٤	٧	لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ... الآية	٧٠.
١٦٤	٣٦	فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ ... الآية	٧١.
سورة النحل			
١٢٨، ١٢٩	٤٢-٤١	وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ... رَبَّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ	٧٢.
١٧٣	١٠٦	مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ ... الآية	٧٣.
سورة الإسراء			
١٤٣	١٩	فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً	٧٤.
سورة الكهف			
١٧٦	٢٨	وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ... الآية	٧٥.
سورة طه			
١٥١	٤٦	قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا ... الآية	٧٦.
سورة الأنبياء			

١٤٢	٨٦	وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ...الآية	٧٧.
سورة الحج			
٢٠٤، ٢٠٥	١٩	هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي...الآية	٧٨.
١٢١، ١٢٢	٤٠	الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغَيْرِ... الآية	٧٩.
١٢٩	٥٩-٥٨	وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي لَعَلِّمْ خَلِيمٍ	٨٠.
سورة النور			
٢٤٧	١٢	لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ...الآية	٨١.
٢٤٨	١٧-١٦	وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ...إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	٨٢.
٢٤٩	٢٢	وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ...الآية	٨٣.
٥٢، ٨١، ٢٤٣	٦٢	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا ... الآية	٨٤.
سورة النمل			
١٤٢	١٩	وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ...الآية	٨٥.
سورة القصص			
١٤٥	٥٤-٥٢	الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ... رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ	٨٦.
سورة العنكبوت			
٢٦٤	٤٥	إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ... الآية	٨٧.
سورة الأحزاب			

١٦٨	٥	اذْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ ... الآية	.٨٨
١٩٢	٦	النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ ... الآية	.٨٩
١٠٨	١٢	وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ ... الآية	.٩٠
١٠٨	٢٢	وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَخْزَابَ ... الآية	.٩١
٥١،١٠١،١٠٣	٢٣	مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا ... الآية	.٩٢
٥١،١٠١	٢٤	لِيُخْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ... الآية	.٩٣
١٩٤،٢٦١	٢٨-٣١	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ ... يَسِيرًا	.٩٤
١٩٣،٢٦١	٣١	وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ شَيْئًا فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ... الآية	.٩٥
١٩٣،٢٦٧	٣٢،٣٢	يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ ... الآية	.٩٦
٢٦٤	٣٣	وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ ... الآية	.٩٧
١٦٧	٣٧	وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ... الآية	.٩٨
١٩٤	٥٢	لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا ... الآية	.٩٩
١٦٠،٢٣٦	٥٣	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا ... الآية	.١٠٠
١٨٨	٥٦	إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ ... الآية	.١٠١
٢٧١	٥٩	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ ... الآية	.١٠٢

سورة سبأ			
١٩١	٤٧	قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ ... الآية	١٠٣.
سورة فاطر			
٤٦	٣٠	لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ ... الآية	١٠٤.
سورة ص			
١٩١ ٢٣٣	٨٦	قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ ... الآية	١٠٥.
سورة الزمر			
٥٤، ٥٨، ١٥٥	٣٣	وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ... الآية	١٠٦.
٢٦٣	٦٥	وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَالْيَاسِينَ ... الآية	١٠٧.
سورة الشورى			
١٩٠	٢٣	قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ... الآية	١٠٨.
سورة الأحقاف			
١٤٣	١٠	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ ... الآية	١٠٩.
سورة الفتح			
١١٠	٥-٤	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ ... فَوَرَأَ عَظِيمًا	١١٠.
١١١	١٠	إِنَّ الَّذِينَ يُتَابِعُونَكَ إِنَّمَا ... الآية	١١١.
١١١	٢٦	إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ ... الآية	١١٢.

٢٨،٣٧،٤٥،٨٠،٨٣	٢٩	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ... الآية	.١١٣
سورة الحجرات			
٢٣٩	١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا ... الآية	.١١٤
٢٤١	٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا الآية	.١١٥
٥٧،٢٤٣	٣	إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ... الآية	.١١٦
٢٥٢	٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ ... الآية	.١١٧
٢٤٥	٧	وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ ... الآية	.١١٨
٥٢	١٥	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ... الآية	.١١٩
سورة القمر			
٩٥	٤٥	سَنَهَزَمَ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ	.١٢٠
سورة الحديد			
١٥١	٤	وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ... الآية	.١٢١
١٥٧،٢٢١،٣٠١	١٠	وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... الآية	.١٢٢
١٤٧	٢٨	يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ	.١٢٣
سورة المجادلة			
٢٠٥	١٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَجَاسَيْتُمْ ... الآية	.١٢٤

١٢٥.	لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ ... الآية	٢٢	٣٣
سورة الحشر			
١٢٦.	لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ ... الآية	٨	١١٧
١٢٧.	وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ الآية	٩-٨	١٣٠
سورة الممتحنة			
١٢٨.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا... الآية	١	٢٢١
سورة الجمعة			
١٢٩.	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ ... الآية	٢	٢٠٩
١٣٠.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ... خَيْرُ الرَّازِقِينَ	١١-٩	٢٤٤
سورة المنافقون			
١٣١.	يَقُولُونَ لَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ... الآية	٨	٢٧
سورة التحريم			
١٣٢.	وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ ... الآية	٣-٢	٢٦٥
١٣٣.	عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ ... الآية	٥	١٦١
١٣٤.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ثُبُوتُوا إِلَى اللَّهِ ... الآية	٨	٨٠، ٨٥
سورة نوح			

١٦٤	٢٦	وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ... الآية	١٣٥.
سورة عبس			
١٧٠	٩-١	عَبَسَ وَتَوَلَّى وَهُوَ يُخْشَى	١٣٦.
سورة الليل			
١٥٣	٢١-١٧	وَسَيَجْزِيهَا الْأُنْقَى ... وَلَسَوْفَ يَرْضَى	١٣٧.
١٥٣، ١٥٤، ١٥٧	٢٠-١٨	الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ... رَبِّهِ الْأَعْلَى	١٣٨.

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس أطراف الأحاديث والآثار الواردة في البحث:

الرقم	الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
(١)	أخذہ المشركون وأخذوا أباه وأمه سمية وصهيبا ...	١٧٣
(٢)	إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله ...	٣٨
(٣)	أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل ...	١٩٠
(٤)	ارتحلنا من مكة، فأحبينا، ليلتنا ويومنا حتى	١٢٤
(٥)	ارم فذاك أبي وأمي....	١٠٢
(٦)	استشار رسول الله في الأسارى أبا بكر...	١٦٥
(٧)	أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه ...	١٠٠
(٨)	اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا...	١٧٥
(٩)	اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة...	٩٢
(١٠)	اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي أبي بكر...	١٧٧
(١١)	أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل	٢٤٣
(١٢)	أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون، ...	٢٠٦

١٥٤	(١٣) أمرنا رسول الله أن نتصدق فوافق ذلك عندي ما لا...
١٤٨	(١٤) إن الجنة تشتاقي إلى ثلاثة علي، وعمار، وسلمان...
٤١	(١٥) أن الحارث ، وعكرمة ، وعياش ، ارتأوا يوم ...
١٨٦	(١٦) إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد...
١٤٨	(١٧) إن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما...
١٥٦	(١٨) إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت،...
١٥٩	(١٩) إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه....
٢٦٥	(٢٠) أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند
٥٦-٥٥	(٢١) أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرسا من
٢٠٢-٢٠١	(٢٢) إن النبي صلى الله عليه وسلم، بعثه على جيش ...
١٧٧	(٢٣) إن أول من أظهر إسلامه سبعة
١٨٦	(٢٤) أن خالد بن سعيد بعث إلى عائشة ببقرة من....
٤٩	(٢٥) أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي فأمن به ...
١٠٣	(٢٦) أن رسول الله حين انصرف من أحد مر على مصعب
٩٥	(٢٧) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر...

١٦٨	(٢٨) أن زيد بن حارثة، مولى رسول الله ما كنا ندعوه
٥٠	(٢٩) أن عمرو بن أقيش، كان له ربا في الجاهلية، فكره ...
٢٠٣	(٣٠) إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليتفقد ...
٢٠٦	(٣١) أنت مني وأنا منك ...
١٣٤	(٣٢) الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا ...
٢٥٩	(٣٣) انصر أخاك ظالما أو مظلوما ...
٢٠٢	(٣٤) أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت ...
٢١٣	(٣٥) ائذنوا له، مرحبا بالطيب المطيب ...
٩٧	(٣٦) أيسركم أن تكونوا ربع أهل الجنة
٧٧-٧٦	(٣٧) بعث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أبا أمامة إلى ...
١٦٩	(٣٨) بعث النبي صلى الله عليه وسلم، بعثا، وأمر عليهم ...
٢٥٠	(٣٩) جاء رجل إلى النبي فقال: يا رسول الله، كم أعفو ...
١٨٢	(٤٠) خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط ...
٧١	(٤١) خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ...
٧٢	(٤٢) خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ...

١٢٧	(٤٣) رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض ...
٢٠٣	(٤٤) رأيتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من ...
١٧٧	(٤٥) سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة ...
١٧٧	(٤٦) صبرا آل ياسر موعدكم الجنة
١٤٢	(٤٧) العجلة من الشيطان، والتأني من الرحمن
١١٢	(٤٨) على أي شيء بايعتم رسول الله يوم الحديبية ...
٢٥١	(٤٩) عن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي، قال: ...
٢٢٢	(٥٠) عند ما أراد أن يخبر قريشا... أليس من أهل بدر؟...
١٠١	(٥١) غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: ...
١٧٢	(٥٢) فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وفخذه ...
٢٠١	(٥٣) فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على ...
٢٦٢-٢٦١	(٥٤) فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى أن لا...
٢٣٣	(٥٥) فو الله ما أعلم أحدا ...
١١٤	(٥٦) قال: لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ...
١٠٥	(٥٧) قالت لعروة: يا ابن أختي، كان أبواك منهم...

١٦٩	قدمت على رسول الله فقلت: يا رسول الله ابعث...	(٥٨)
٢٠٢	قلت: يا رسول الله، أرايت لو نزلت واديا وفيه...	(٥٩)
١٩٠	قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى أزواجه...	(٦٠)
٢٠٣	كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة...	(٦١)
١٩٧	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن...	(٦٢)
٢٣٢	كان رسول الله يحب حديثي ولكن لما أبطأت عنه...	(٦٣)
٦٠	كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر..	(٦٤)
١٧٧-١٧٦	كنا جلوسا عند النبي....	(٦٥)
٦٠	كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة، فنزل تحريم...	(٦٦)
١٠٣	كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي...	(٦٧)
٨٦	لا نقول كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك...	(٦٨)
١٤٥	لما أريد عثمان جاء عبد الله بن سلام....	(٦٩)
١٩٤	لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير...	(٧٠)
٢٣٧	لما تزوج زينب بنت جحش أولم عليها...	(٧١)
١١٩	لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة...	(٧٢)

٦٥	لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون.....	(٧٣)
٩٤	لما كان يوم بدر نظر رسول الله إلى المشركين ...	(٧٤)
١٦٢	لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بين لنا في الخمر...	(٧٥)
٢٤٢	لما نزلت هذه الآية جلس ثابت بن قيس في بيته ...	(٧٦)
٥٦	لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من ...	(٧٧)
١٣٣	اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، وأبناء ...	(٧٨)
١٠٩	اللهم إن العيش عيش الآخرة، ...	(٧٩)
١٣٣	اللهم أنتم من أحب الناس إلي، اللهم...	(٨٠)
١٢٧	لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار...	(٨١)
٦١	ليتني هذه التينة ، ليتني لم أك شيئا ...	(٨٢)
١٦٩	ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم	(٨٣)
١٤٢	ما تركوا دين آبائهم...	(٨٤)
٢٠٦	ما تقول في دينار؟ قلت: لا يطيقونه...	(٨٥)
١٧٤	ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أَرشدهما...	(٨٦)
١٤٤	ما سمعت النبي ، يقول: لأحد يمشي على الأرض ...	(٨٧)

١٠٢	ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جمع أبويه ...	(٨٨)
١٥٢	مَا ظَنَّاكَ يَا ثَنِينَ اللَّهُ تَالِيَهُمَا	(٨٩)
١٥٧	ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر ...	(٩٠)
٢٥٠	ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو ...	(٩١)
١٧٥	مَرَّ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	(٩٢)
١٧١	مرحبا بمن عاتبني فيه ربي	(٩٣)
١٤٧	من أسلم من أهل الكتابين فله أجره...	(٩٤)
٤	من لا يشكر الناس لا يشكر الله...	(٩٥)
١٠٩	من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير: أنا...	(٩٦)
١٠٩	نحن الذين بايعوا محمدا ...	(٩٧)
٢١٤	نزلت فينا: إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ ...	(٩٨)
١٠٢	نزلت هذه الآية فينا: بني سلمة، وبني حارثة ...	(٩٩)
٢٠٥-٢٠٤	نزلت: "هذان خصمان اختصموا" في ربهما في ...	(١٠٠)
١٠٧	نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور...	(١٠١)
٢٠٤	هم الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة ...	(١٠٢)

١٥٩	(١٠٣) وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله،...
٢٤٥	(١٠٤) والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى ...
٣٤	(١٠٥) وجعل يكلم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكلما تكلم ...
١٩٠	(١٠٦) يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن...
١٨٩	(١٠٧) يا رسول الله هذا التسليم فكيف نصلي عليك؟ قال:...
٢٠٤	(١٠٨) يا عائش، هذا جبريل يقرئك السلام...
٢٦٢	(١٠٩) يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن ...
٨٧	(١١٠) يا محمد، أجمعت أو شاب الناس، ثم جئت بهم ...

فهرس الأعلام المترجمين

فهرس الأعلام الواردة أسمائهم في الرسالة:

الرقم	العَلَم	رقم الصفحة
١.	إبراهيم بن خالد (الكلبي)	١٨٣
٢.	أحمد بن الأمين (الشنقيطي)	٦٥
٣.	أحمد بن علي (ابن حَجَر)	١٧
٤.	أحمد بن محمد بن إسماعيل (النحاس)	٢٤٧
٥.	أروى بنت عبد المطلب	٧٨
٦.	أسامة بن زيد	١٩٩
٧.	أسماء بنت أبي بكر الصديق	١١٩
٨.	إسماعيل بن عمر (ابن كثير)	٣٠
٩.	أسيد بن حضير	٧٨
١٠.	أم مسطح	١٩٨
١١.	أنس بن النضر	١٠١
١٢.	أنس بن مالك	٨٦
١٣.	البراء بن عازب	١٢٤
١٤.	بشير بن عبد المنذر الأنصاري (أبو لبابة)	٢٢٦
١٥.	بلال بن رباح	٦٨
١٦.	تميم بن أسد (ابن أسد)	١٤٥

١٤٤	تميم بن أوس	١٧.
٢٤٢	ثابت بن قيس	١٨.
١٠٩	جابر بن عبد الله	١٩.
٤٧	جندب بن عبد الله.	٢٠.
٤٠	حارث بن هشام	٢١.
٢٢١	حاطب بن أبي بلتعة	٢٢.
٢٧	حذيفة بن اليمان	٢٣.
١٩٦	حسان بن ثابت	٢٤.
١٩٦	حمنة بنت جحش	٢٥.
٦٧	خباب بن الارت	٢٦.
٥٥	خزيمة بن ثابت	٢٧.
٢٤٤	دحية بن خليفة	٢٨.
٧٥	رفيع بن مهران (أبو العالية)	٢٩.
١٣٣	زيد بن أرقم	٣٠.
٥٦	زيد بن ثابت	٣١.
١٥٠	زيد بن حارثة	٣٢.
٦٠	زيد بن سهل	٣٣.
٢٣٧	زينب بنت جحش	٣٤.
١٢٥	سراقة بن مالك	٣٥.
١٣٢	سعد بن الربيع	٣٦.
١٦٩	سعد بن إياس	٣٧.
٨٧	سعد بن عباد	٣٨.
٧٨	سعد بن معاذ	٣٩.

١٨	سعيد بن المسيب	.٤٠
١١٨	سعيد بن جبير الأسدي،	.٤١
٥٨	سعيد بن مسعدة المجاشعي (الافخس الاوسط)	.٤٢
١٤٠	سلمان الفارسي	.٤٣
١٢٣	سلمة بن أبي سلمة	.٤٤
٢٢٤	سلمة بن سلامة	.٤٥
١١٢	سلمة بن عمرو بن سنان الأكوخ	.٤٦
٧٦	سليمان بن أحمد (أبو القاسم الطبراني)	.٤٧
٦٩	سمية أم عمار بن ياسر	.٤٨
١٧٢	سهل بن سعد	.٤٩
٢٧٠	سودة بنت زمعة	.٥٠
٨٦	صخر بن حرب (أبو سفيان)	.٥١
٧٦	صدي بن عجلان	.٥٢
١٩٧	صفوان بن المعطل السلمي	.٥٣
٤١	صفوان بن أمية بن خلف	.٥٤
٦٩	صهيب بن سنان	.٥٥
١٢٠	طلحة بن عبيد الله	.٥٦
٧٨	طليب بن عمير	.٥٧
١٧	عاصم بن سليمان الأحول	.٥٨
١٢٠	عاصم بن عدي	.٥٩
٦٧	عامر ابن شراحيل (الشعبي)	.٦٠
٣٣	عامر بن عبد الله بن الجراح (أبو عبيدة)	.٦١
١٢٠	عباس بن عبد المطلب	.٦٢

١١٨	عبد الرحمن بن أبزي	٦٣.
٣٦	عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ	٦٤.
٦٥	عبد الرحمن بن أبي بكر (السيوطي)	٦٥.
٣٦	عبد الرحمن بن عبد الله (السهيلي)	٦٦.
٧٦	عبد الرحمن بن عوف	٦٧.
٧٢	عبد الكريم بن هوازن (القشيري)	٦٨.
١٩٨	عبد الله بن أبي ابن سلول	٦٩.
٢١٢	عبد الله بن جبير	٧٠.
٤٦	عبد الله بن جحش الأسدي	٧١.
٧٣	عبد الله بن رواحة	٧٢.
١٧	عبد الله بن سرجس ، (المزني)	٧٣.
١٣٧	عبد الله بن سلام	٧٤.
١٢٣	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ (أَبُو سَلَمَةَ)	٧٥.
٣١	عبد الله بن عمر (ناصر الدين البيضاوي)	٧٦.
١٣١	عبد الله بن عمر بن الخطاب	٧٧.
٢١١	عبد الله بن عمرو	٧٨.
٢١٦	عبد الله بن عمرو (أبو جابر السلمي)	٧٩.
١٢٧	عبد الله بن قيس	٨٠.
٨٦	عبد الله بن مسعود	٨١.
١٢٣	عبد الملك بن هشام	٨٢.
٨٧	عثمان بن عامر	٨٣.
٣٤	عروة بن مسعود (الثَّقَفِي)	٨٤.
٤٠	عكرمة بن أبي جهل	٨٥.

١٤٦	علي بن رفاعة	٨٦.
٢١	علي بن عمر أبو الحسن (الدارقطني)	٨٧.
٦٩	عمار بن ياسر	٨٨.
٥٠	عمرو بن ثابت	٨٩.
١٧٠	عمرو بن قيس	٩٠.
٤١	عمير بن وهب (أبو أمية)	٩١.
١٤٨	عويمر أبي الدرداء	٩٢.
٤٠	عياش بن أبي ربيعة	٩٣.
٤٧	قتادة بن دعامة	٩٤.
٢٢٩	كعب بن مالك	٩٥.
٦٩	مجاهد بن جبر	٩٦.
٢٥٥	محمد ابن عبد القادر (محب الدين بن أبي الفتح)	٩٧.
٢٨	محمد الطاهر (ابن عاشور)	٩٨.
٢٤٧	محمد بن إبراهيم المهدي، (أبو عبد الله)	٩٩.
٢٩	محمد بن أحمد (القرطبي)	١٠٠.
٢٤٤	محمد بن السائب	١٠١.
٣٥	محمد بن جرير (أبو جعفر الطبري)	١٠٢.
٣٨	محمد بن زياد (ابن الأعرابي)	١٠٣.
٢٥٤	محمد بن عبد الله (أبو بكر ابن العربي)	١٠٤.
٣١	محمد بن عمر (فخر الدين الرازي)	١٠٥.
٧٣	محمد بن كعب القرظي	١٠٦.
١٢٠	محمد بن مسلمة	١٠٧.
٣٠	محمد بن يوسف (أبو حيان)	١٠٨.

٨١	محمود بن عبد الله (الآلوسي)	١٠٩.
٣٢	محمود بن عمر (الزمخشري)	١١٠.
٢٢٩	مرارة بن الربيع	١١١.
١٧٢	مروان بن الحكم	١١٢.
١٥٥	مسطح بن أثانة	١١٣.
٦٠	مسعود بن عون	١١٤.
٣٤	مغيرة بن شعبة	١١٥.
٨٦	مقداد بن عمرو (المقداد بن الأسود)	١١٦.
٢٢٩	هلال بن أمية	١١٧.
١٢٣	هند بنت أبي أمية	١١٨.
٦٨	ورقة بن نوفل	١١٩.
٢٥١	الوليد بن عقبة بن أبي معيط	١٢٠.
٥٨	يحيى بن زياد (الدليمي)	١٢١.
٧١	يوسف بن عبد الله (ابن عبد البر)	١٢٢.

فهرس موضوعات الرسالة

فهرس موضوعات الرسالة

الموضوع	الصفحة
الإهداء.....	٣
كلمة شكر وثناء.....	٤
المقدمة.....	٥
التعريف بالموضوع:.....	٧
أهمية الموضوع:.....	٧
أسباب اختيار الموضوع:.....	٧
منهج البحث:.....	٨
خطة البحث.....	١٠
التمهيد: ويشتمل على مطلبين:.....	١٥
المطلب الأول: تعريف الصحابي.....	١٥
طبقات الصحابة.....	١٨
المطلب الثاني: التعريف بأشهر المصنفات في فضائل الصحابة.....	١٩
الفصل الأول: الأوصاف العامة للصحابة كما تحدث عنها القرآن الكريم.....	٢٥
المبحث الأول: شدتهم على الكفار وتراحمهم مع بعضهم.....	٢٧
المطلب الأول: شدتهم على الكفار.....	٢٨
المطلب الثاني: تراحمهم مع بعضهم.....	٣٧
المبحث الثاني: إخلاصهم وصدقهم وتقواهم.....	٤٤
المطلب الأول: إخلاصهم.....	٤٥
المطلب الثاني: صدقهم وتصديقهم.....	٥١
المطلب الثالث: تقواهم.....	٥٧
المبحث الثالث: رسوخ إيمانهم و أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.....	٦٣
المطلب الأول: رسوخ إيمانهم.....	٦٤
المطلب الثاني: أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.....	٧٠
المبحث الرابع: ملازمتهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - وعدم انصرافهم عنه.....	٨٠
الفصل الثاني: الأوصاف الخاصة لبعض الصحابة كما تحدث عنها القرآن الكريم.....	٩٠
المبحث الأول: أوصاف الصحابة الذين حضروا الغزوات.....	٩٢
المطلب الأول: أوصاف الصحابة الذين حضروا بدرًا.....	٩٢
المطلب الثاني: أوصاف الصحابة الذين حضروا أحدًا وحمراء لأسد.....	١٠١
المطلب الثالث: أوصاف الصحابة الذين حضروا الخندق.....	١٠٦
المطلب الرابع: أوصاف الصحابة الذين حضروا صلح الحديبية.....	١١٠

المبحث الثاني: أوصاف المهاجرين والأنصار	١١٦
المطلب الأول: أوصاف المهاجرين	١١٦
المطلب الثاني: أوصاف الأنصار	١٣٠
المبحث الثالث: أوصاف من أسلم من أهل الكتاب	١٣٦
المطلب الأول: أوصاف مسلمة أهل الكتاب عامة	١٣٦
المطلب الثاني: أوصاف بعض مسلمة أهل الكتاب خاصة	١٤٠
المبحث الرابع: أوصاف الصحابة الذين تحدث عنهم القرآن منفردين	١٥٠
المطلب الأول: ما نزل من القرآن في أوصاف أبي بكر - رضي الله عنه	١٥٠
المطلب الثاني: ما نزل من القرآن في موافقات عمر رضي الله عنه وأوصافه	١٥٩
المطلب الثالث: ما نزل من القرآن في أوصاف زيد بن حارثة - رضي الله عنه	١٦٧
المطلب الرابع: ما نزل من القرآن في عبدالله ابن أم مكتوم وأوصافه	١٧٠
المطلب الخامس: ما نزل من القرآن في عمار بن ياسر رضي الله عنه وغيره	١٧٣
المبحث الخامس: أوصاف أهل بيت رسول الله	١٧٩
التمهيد: من هم أهل البيت؟	١٧٩
المطلب الأول: الأوصاف العامة لأهل بيت النبي "صلى الله عليه وسلم"	١٨٨
المطلب الثاني: الأوصاف الخاصة لبعض أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم	١٩٢
الفصل الثالث: منهج القرآن الكريم في تعليم الصحابة	٢٠٩
المبحث الأول: الآيات التي نزلت لبيان أخطاء وقع فيها الصحابة في الغزوات	٢١١
المطلب الأول: المواقف التي عولجت فيها أخطاء وقع فيها الصحابة في غزوة أحد	٢١١
المطلب الثاني: المواقف التي عولجت فيها أخطاء وقع فيها الصحابة في غزوة الفتح ويوم حنين	٢٢١
المطلب الثالث: المواقف التي عولجت فيها أخطاء وقع فيها الصحابة في غزوة تبوك	٢٢٦
المبحث الثاني: الآيات التي نزلت لتعليم الصحابة	٢٣٦
المطلب الأول: المواقف التي علمت الصحابة الأدب مع رسول الله	٢٣٦
المطلب الثاني: تعليم الصحابة أدب التعامل مع اخوانهم	٢٤٧
المبحث الثالث: الآيات التي نزلت لتعليم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم	٢٦١
الخاتمة: وتشتمل على النتائج	٢٧٣
فهارس:	٢٧٧
فهرس المصادر والمراجع:	٢٧٧
فهرس الآيات القرآنية:	٢٩٢
فهرس أطراف الأحاديث والآثار الواردة في البحث:	٣٠٥
فهرس الأعلام الواردة أسمائهم في الرسالة:	٣١٤
فهرس موضوعات الرسالة	٣٢١